شوقي أبو خليل

الإسلام وحركات التحرّر العربيّة

دار الرشيد

الإسلام
وحركات التحرر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى :

١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

★ الغلاف صورة حقيقية للشيخ عز الدين القسام

أجازت وزارة الاعلام طبع وتداول هذا الكتاب تحت رقم ٥٦٠٤ تاريخ ١٩٧٥/١١/٢٧

تصـــدير

*** « لا أكتب التاريـخ الا في سبيل المجد الوطني ، والعـزة القومية ، ولولا هذه الغايـة لكسرت قلمي » .**

المؤرخ الالماني
« تريتشك »

* . مما يلفت النظر ، وبشكل واضح . كتابات كثير من المؤرخين في هذا العصر ، فغمط حق الاسلام ، ودوره في هذا المجتمع ، ظاهـرة غريبة ، بل عجيبة ! .

ان تحدثوا في أمور ايجابية نسوه ، وان تحدثوا في أمور سلبيـة لمزوا وغمزوا ... ان تحدثوا عن تحرير العبيد مثلاً ... نسوا دور الاسلام ، وان تحدثوا عن المرأة وتطلعاتهـا ، نسوا دوره في رفـع شأنها ، وعابوا عليها التمسك به ، وان كتبوا عن التحريـر مـن الاستعمار ، محوا دوره ، وأظهروه سلبيا قدريا متواكلا ... وكل ما رددوه عن الاسلام ، يبدو أنهم لم يتعبوا أنفسهم في دراسته على الاطلاق .

* وهذه عادة مقتبسة عن المستشرقين ، ومن في مثل هواهم ... فهم لا يجدون حركة مخربة ، أو بدعة هدامة ، أو رأياً مناهضاً للاسلام ، الا أكبوا عليها يدرسون ويبحثون، ثم يقولون ان الحركة المخربة ، هي ثورة جماعة مظلومة ، طف بهـا كيل الشقاء ، وأن البدعة الهدامة فلسفة ، وتفكير سليم ، والرأي المناهض حريـة فكر ...

وكتاباتهم بين أيدينا ، كلها مديح واستحسان للمذاهب الضالة، التي أنزلت بالاسلام أبلغ الضرر ، في عصره الاول ، كحركة القرامطة ، والباطنية ، والخرمية ، والبابكية ٠٠٠

يرددون شعارات براقة ، ظاهرها رحمة ، وباطنها فيه العذاب : « التحليل العلمي » ، « اعادة كتابة التاريخ »، « الدراسة الموضوعية المنهجية » ٠٠٠ فجعلوا باسم « التحليل العلمي » الحركات الشعوبية الحاقدة على هذه الامة ، منارات هدي في تاريخنا ٠

تمسكوا بشعارات « زئبقية » لما فيها من مجانبة للحق ، وتشويه للواقع ، وارضاء لنزعة في نفوسهم ، وخدمة لفكرة مسبقة ، يطوعون لها كل ما يرون ، ويقيسون بها كل ما يريدون ، علماً أنهم ما تثبتوا من الحقائق التاريخية ، وما لمسوا بعد ألف باء التاريخ وعلومه ٠٠٠

* فمن أغرب ما قرأت باسم « التحليل العلمي » ، دراسة عن صلح الحديبية، فجاء تقرير المحلل، أنه جاء لصالح المرابين القرشيين لا لصالح المسلمين ٠٠٠ وأورد البند الاول من الصلح المذكور كما يلي : « وضع الحرب بين المسلمين الثائرين والقرشيين المرابين عشر سنوات» ٠ وركز الكاتب على هذا البند ، ولكن بالشكل الذي اخترعه هو ، فمراجعنا العربية المختلفة العديدة ، حتى والاجنبية ، ما ورد فيها مثل هذا ٠٠٠ وكلها ذكرت أن صلح الحديبية ، فتح للاسلام والمسلمين ، فهو اعتراف خطي رسمي من قريش بالمسلمين لاول مرة ، ودخل في الاسلام بعد هذه المعاهدة ، قبائل عديدة ٠٠٠ حيث تفرغ النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه للدعوة ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ٠

وقالوا : « ان مجابهة الخليفة المعتصم للبابكيين ، تعتبر بحق مجابهة الاقطاع القوي المتآخي مع الرأسمالية القاصرة الضحلة ، للاشتراكية والوحدة الانسانية ٠٠٠ » ٠

كيف نسكت عن مثل هذه الاحكام ، التي صدرت تحت ستار « البحث العلمي » ، و « صاحب القناع الذهبي » « بابك الخرمي » ، نبت بما لا يرقى اليه الشك، أنه عميل للامبراطور الرومي «تيوفيل» الذي أمده بالسلاح والمؤن ، بغضا لهذه الامة وعقيدتها ، وحبا في تفكيك عراها ، كيف نرضى بزعامة شعوبي ، كرس حياته لطعن هذه الامة بمبدأ اباحي ، ناهيك عن عمالته للروم ، ولكن باسم « التحليل العلمي » كل شيء قد يحدث وقد يصبح الفاضل حقيرا ، والحقير فاضلا ...

أرخوا « للقرامطة » ، معتمدين على كتب عرف مؤلفوها بشعوبيتهم ، وبعدائهم لامتنا والاسلام معا ، ككتاب ناصر خسرو الفارسي في كتابه « سفرنامة»، علما أن المؤلف رحالة وليس مؤرخا! فاذا النتيجة تفاجئنا : القرامطة أول جمهورية اشتراكية في وطننا العربي قامت كرد فعل ضد الدولة العباسية الاقطاعية الرأسمالية اليمينية ؟!

فكيف نقبل أن يكون عصرنا الذهبي أيام الرشيد والمأمون ، عصر التأخر والاقطاع ؟ ونقبل أيضا ان حركة اباحية جنسية « كالقرامطة » حركة اشتراكية ، ويزيد الطين بلة ، اعتماد هذا « المحلل العلمي » على كتب رحالة كناصر خسرو الفارسي ؟!!

الاستعمار يعلم حق العلم،أن لاعروبة أصيلة بدون نظرةايجابية الى الاسلام دينا وحضارة ، ولا ثورة ، ولا نصر بدون تفاعل تام مع الاسلام وطاقاته الغنية الزاخرة بالفداء والجهاد والذود عن أرض الوطن ..

الاستعمار يعلم : أن الامة العربية ما دخلت التاريخ من بابه الواسع ، الا وهي تحمل راية الاسلام عقيدة وفكرا ومنهجا... كما أن الاسلام ما انتشر وبلغ شأوه ، الا بعد أن وحد الامة العربية ،

فحمله العرب المسلمون الى العالم .. فلا امكانية لفصل مفتعل بين بقاء الاسلام وحياته ، وبقاء الامة العربية وبقائها وحياتها .

آئمة الاستعمار أول من يعلم أن الاسلام هو الذي حرر العرب من الفرس والروم والاحباش ، وأقام لهم دولة عالمية من الصين الى فرنسا ، وهو الذي هزم المغول ومن قبلهم الصليبية الاوروبية ...

هذا كلام ، بل هذا حكم يحتاج الى دليل وبرهان، والدليل نلمسه ونأخذه من أفواه القادة الاستعماريين الذين وجهوا ، أو قادوا الحملات الى بلادنا العربية ، وهذه بعض الادلة :

١ ــ كان الفيلسوف الالماني « ليبنتز » يغري لويس الرابع عشر بفتح مصر ، للقضاء على المستعمرات الهولندية ، ويقول له : « ان هولندا لا تجسر حينئذ على معارضتها ، لانها تجر عليها غضب العالم المسيحي ، اذا حاربته وهو مشغول بفتح معقل الاسلام » .

٢ ــ ولما فكرت الدول في أمر قناة السويس ، كان المركيز « دارجنسون Dargenson » يروج للمشروع من الناحية الدينية فيقول: « انه فتح صليبي لجميع المسيحيين » .

٣ ــ « اللنبي Allenby » الانكليزي ، لما دخل بجيشه الى القدس عام ١٩١٦ قال : « الآن انتهت الحروب الصليبية » .

٤ ــ « غورو » ، لما دخل دمشق في أوائل شهر آب ١٩٢٠ ، كان أول ما فعله بعد وصوله ، أن توجه الى ضريح صلاح الدين ، دخل بملابسه العسكرية وسيفه الى جانبه ، وعمرته فوق رأسه ، ثم قال بتهكم وشماتة : « يا صلاح الدين .. أنت قلت لنا في ابان حروبك الصليبية انكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا اليه ... وها أننا قد عدنا .. فانهض لترانا هاهنا، ولقد ظفرنا باحتلال سورية» .

٥ ــ لما انقسم مجلس الوزراء الفرنسي على نفسه عام ١٨٢٨ ، بخصوص أهداف الحصار الفرنسي على الشواطىء الجزائرية ،

دافع « كليرمون دي تونير » وزير الحربية ، عن وجهة نظر الحزب اليميني في الاحتلال ، في تقرير قال فيه : « لقد أرادت العناية الالهية أن تثار حمية جلالتكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد أعداء المسيحية ، ولعله لم يكن من باب المصادفة أن يدعى ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين وللانسانية ، ولاهانته الشخصية في نفس الوقت ، وربما يسعدنا الحظ بهذه المناسبة لننشر المدنية بين السكان الاصليين وندخلهم في النصرانية » ٠

لذلك قام شارل العاشر بحربه في الجزائر ، بهدف كسب عطف الكنيسة الكاثوليكية ، بهجومه على دولة اسلامية ، يستدر بذلك العطف عليه ، مع اشغال الشعب الفرنسي بأمر خارجي صليبي ، لينسى المشكلات التي عانتها فرنسا في عهد شارل العاشر ٠

٦ ــ أقام « بورمون » قائد الحملة الفرنسية على الجزائر ، صلاة الشكر بمناسبة انتصاره ، بعث بوصف لهذا الاحتفال ، قال في نهايته : « مولاي ٠٠٠ لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطىء افريقيا ، ورجاؤنا أن يكون هذا العمل بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في تلك البلاد » ٠

٧ ــ ولم يخف المؤرخون المعاصرون هذه الحقيقة ، فوصف « ادوار دريو » المؤرخ الفرنسي المعروف بدراساته عن الشرق ، حادث الاستيلاء على الجزائر : « بأنه كان أول اسفين دق في ظهر الاسلام » ٠

٨ ــ رئيس وزراء فرنسا « مارتيناك » ، دعا في منشور وزعه في ١٢ آيار « مايو » ١٨٣٠ ، حلفاء فرنسا لعقد مؤتمر دولي يناقش الوضع الجديد الذي يمكن اقامته في الجزائر لخير المسيحية جمعاء » ٠

* هذه بعض الادلة ، سقتها على سبيل المثال ، وهي لا تحتاج الى شرح وتأويلات « وتحليل علمي » ، انها اوضح من أن يعلق عليها انسان ، وفيها ما يكفي من البيان ٠

ولما سبق ...

من باب أولى ، أن يقوم الاسلام ، متمثلا في أبنائه ، للذود عن هذه الارض التي هوجم عليها ، لقد قام رجالاته العاملون ، يحملون سلاحا روحيالا يضاهى ، الى جانب السلاح المادي ، ليواجهوا بـه العدوان الاستعماري المسلح .

قام رجالات الاسلام ، يحملون قلما وفكرا ، يدافعون بهما عن تاريخ هذه الامة العربية الاسلامية ، وعن لغتها العربية ، لغة القرآن الكريم . وقفوا أمام الذين شوهوا تراث الامة ، وأرادوا طمس ذاتيتها ، وتشويه عقيدتها ...

لقد قام علماء الاسلام ، والمؤمنون بهذا الدين ، يكافحون عن أرض هذه الامة وتراثها ، فمنهم من نجح في جهاده ، وقطف ثمار غرسه في حياته ، ومنهم من بذر ، فأينع زرعه فيما بعد ، فقطفت أجيال بعده ثمار زرعه ، ومنهم من أخفق لقوة المستعمر العسكرية وهذا لا يهم ، فالهدف :

شرف الوثبة أن ترضي العلى
غلب الواثب أم لم يغلب

* وأنا في هذا الكتاب ، لست في معرض التغني بماض مجيد ، ولكنني أعرض ما أعرضه ، لاظهار حقيقة يغفلها كثيرون عن قصد ، وأعرض ما أعرضه للقدوة والاسوة . رائدنا انصاف هذا الدين الذي ظلم من قبل أهله وأبنائه ، ومن عنده غير ما سنعرضه بمراجعه العديدة في هذا الكتاب ، فليخرجه لنا بهدوء ، دون تحيز وعويل وتهويل ، وأنا أول المتبعين للحق أينما كان :

[قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ... أن تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون](١) .

---

١ ــ سورة الانعام ، الآية الكريمة : ١٤٨ .

* الموضوعية طريق بحثنا ، ندلل عليها بغزارة المراجع ، واسناد كل حادثة أو قول الى صاحبه ، ولن ننهج طريق من « يحللون علميا » فيشوهون معالم الصورة الحقيقية للوصول الى مبتغى معين ، كمن قال ان الشيخ العالم فلان ، تعامل مع نابليون ، وأخذ يظهر ذلك بشكل مجسم مهول ، ثم قال ان « السيد » عمر مكرم قام في وجه نابليون والاستعمار الفرنسي ، مع أن الاول ، الذي وصف بالشيخ العالم ليس بشيخ ولا بعالم ، وان تزيى بزي العلماء ، وعمر مكرم شيخ عالم ، نقيب للاشراف في مصر ، دفعه اسلامه وايمانه للجهاد !!..

وبالمناسبة أقول : هناك من تزيا بزي العلماء وليس منهم ، فكان موقفه غير مشرف ، وهؤلاء على ندرتهم وقلتهم ، ليسوا دليلا على سلوك الاسلام تجاه التحرر ومحاربة الاستعمار . فليست كل فئة مهما كانت صفتها ، طاهرة مطهرة ، مخلصة بمجموعها ، فلا بد من بعض الدخلاء ...

ولكن اذا قام مهندس ببناء دار ، ثم سقطت الدار على من فيها، لقلة أمانة المهندس ، وسوء خلقه ، وتلاعبه في نسب مواد البناء ، أمن العدل القول : ان جميع المهندسين سيئون ؟ أو ان الهندسة هي السبب ؟!

طبيب ما قام بواجبه جيدا ، على الرغم من حمله لشهادة عالمية ، فتسبب بموت مريض ، أمن العدل والانصاف والموضوعية القول : كل طبيب مهمل ، أو أن الطب يسبب موت المريض ؟ فالاصل الاخلاص ، ونقيس الرجال بالمبدأ ، ولا نقيس المبدأ بالرجال ان حادوا عنه سعيا وراء شهوات ، أو أخطؤوا في التصور .

* فنحن نكتب دون تقرير لاحكام مسبقة ، لتطويع الاحداث لها ، لسنا كالذين جعلوا من القرامطة حركة ثورية اشتراكية ،

ولسنا كالذين جعلوا من بابك الخرمي الشعوبي العميل لعدو هذه الامة ، زعيما تقدميا ضد الاقطاع والرأسمالية المتمثلين في عصرنا ألعباسي الذهبي ...

كما أننا لا نؤرخ أحداثا ، وصور معارك ، لا ... لن يجد القارىء في هذا الكتاب الا النزر الضروري منها لاتمام شرح موضوع ما ، انما نبحث هنا في أسباب ثورات ، ونبحث في قادتها وحوافزهم الفكرية ، لا كما نتخيلها نحن ، بل كما أظهرها أصحابها بأقوالهم وأفعالهم ، لذلك سيرى القارىء صدق النقل ، ووضوح المراجع المأخوذ عنها ، وهذا ليس فضلا منا ولا منة ، فعقيدتنا واسلامنا وقرآننا يأمرون بذلك ، لقد علمتنا آيات كتاب الله أن ننصف الناس :

[ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم ، ان كنتم مؤمنين](١) .

وهذا يجعلنا نذكر من أساء ولو تزيا بزي العلماء ، لقد علمتنا الاية الشريفة الموضوعية :

[فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرّفون الكلم عن مواضعه. ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم ، فاعف عنهم ، واصفح ان الله يحب المحسنين (٢) .

فهذا الاستثناء : « الا قليلا منهم » ــ وأمثاله في القرآن العظيم كثير ــ هو تعليم لنا ، أن نتحرى الصدق في أحكامنا ، وألا نصدر أحكاما يذهب بها الصالح بين الطالحين ، ولا الطالح بين الصالحين .

فموضوعيتنا جزء من ايماننا باسلامنا ، نابعة من القرآن الكريم .

* والى كل قارىء يقع هذا الكتاب بين يديه ، نستميحه عذرا ،

---

١ ــ سورة الاعراف ، الآية الكريمة : ٨٤ .
٢ ــ سورة المائدة ، الآية الكريمة : ١٣ .

ان كان يعرف رجالا مسلمين ، غير الذين سنذكرهم في هذه الطبعة ، وندعوه الى ارسال ما يعرفه مع ذكر المرجع المأخوذ عنه ، وله جزيل الشكر ، فهو بذلك يساهم باتمام واكمال هذا الكتاب في طبعته الثانية ان شاء الله .

وملاحظة اخرى نوردها قبل ختام هذا التصدير :

* لا بد أن نذكر أن ثورات التحرر العربية ، قامت على يد علماء عاملين مخلصين ، كثورة الجزائر عام ١٨٣٢ ، التي فجرها المجاهد الكبير عبد القادر الجزائري، وحركة الاصلاح التي قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتوجيه العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكذلك الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، والتي محت والى الابد فكرة الفرنسة والاندماج .

وثورة الريف في المغرب التي فجرها عبد الكريم الخطابي، وثورة فلسطين ١٩٣٥ التي بدأها الشيخ عز الدين القسام وتابعها تلامذته ومريدوه .

وهنا لا ننكر مساهمة بعض الشرفاء من غير المسلمين في بعض الثورات الوطنية ، كما في مصر في ثورة ١٩١٩(١) .

★ ★ ★

وأخيرا ...

* ان الادلة التي سنعرضها خلال هذا البحث التاريخي ، ليرى القارىء من خلالها دور الاسلام في حركات التحرر العربية ، ستقنع المنصف ، ولن تقنع أولئك الذين وصلوا الى « الجهل العلمي » عندما

---

(١) (ونقطة ضرورية اقولها هنا : انني عندما أذكر التبشير والاستعمار والحروب الصليبية ، أعني بما أقول أوروبة التي مزق قلبها الحقد ، اذ كيف ينطلق المارد من جزيرة العرب محررا فاتحا ، يمتلك ما بين المحيطين ؟

ولا أعني بكتابي هذا الاخ العربي المسيحي ، المواطن الشريف ، الذي نقف معه جنبا الى جنب في مواجهة هذا الخطر ..) .

بدؤوا بتفسير التاريخ تفسيرا علميا، وكأن اللغة العربية التي دونت تاريخنا ، تحمل لكل نص معنيين، معنى واضحا جلياً عبر به المؤرخون الاقدمون عما أرادوا ورأوا ، ومعنى جديدا يريده داعية التحليل العلمي ، فيدور ويحوم ويؤول ، ليصل الى مبتغاه •

ان سلطان البرهان في الاقناع بعيد عن أذهان هؤلاء ، واننا آخر من يقنع أن الادلة التي سنوردها ستجعلهم يعيدون النظر بما كتبوا، أو ستجعلهم يكتبون في المستقبل بتجرد ونزاهة ، وان كنت أنصح لهم أن يتريثوا قبل أن يكتبوا لسببين :

ــ رأفة « بالبحث العلمي » الذي يحملون شعاره، فهم أبعد الناس عنه •

ــ وشفقة عليهم ممن يعرفون الحقيقة ، فالمطلع الباحث الدارس لا يثق بهم ، ولا بكتاباتهم « المطوعة » لاهداف معينة •

لقد رأيت أناسا ــ في تعنتهم ومكابرتهم ــ أغرب ممن ينكرون الشمس في رابعة النهار ، ليس دونها سحاب ، ينكرون فضل الاسلام في طرد المستعمر من هذه الارض ، ولو لمسوا مائــة دليــل ، فليس غريبا عنهم عنادهم ومكابرتهم أن واحدا وواحدا يساويان اثنين ، وفي اثنين واثنين يساويان اربعة ••• ولن يفلح أو ينفع العناد اذا جابهتهم الحقائق ، ودفعتهم الحوادث ، وظهرت للملأ أنها على عكس ما يرون •

* ولن يتحقق ــ باذن الله ــ ما يريده الاستعمار الثقافي لنــا ، ولن يرانا أعداء الاسلام ننظر اليه بسلبية وخفة !!

فالمطلع على تاريخ الاسلام يعلم أنه دين العقــل ، وأبنــاؤه يعرفون أنه دين الوحدة ، دين الاستقلال والحرية ، ودين التقدم والصناعة ، ودين الرفاه والعلم ، ودين الاخاء والمساواة ••• دين التحرر من الاستعمار ، ودين الطمأنينة والامن •

وسيبقى الاسلام دين العزة والتقدم ، وهيهات لمنصف أن يصمه بالرجعية ، التي عرّفها الدكتور عصمة سيف الدولة : « الرجعيون الذين لا يدركون مشكلات ظروفهم ادراكا صحيحا(١) ، أو يبتكرون ظروفا ومشكلات لا وجود لها(٢) ، والذين تقعدهم السلبية عن بذل الجهد حلا للمشكلات » ٠

فنحن نعرف عن الاسلام ما لا يعرفون ، ونعي منه ما لا يعون ، ففي ظله حقق العرب حضارة خالدة ، انسانية شاملة ، تجاوزوا بها التخلف قبل الاسلام ، واقتحموا بها الطبيعة ، وعرفوا من قوانينها ما لم يكن يعرفه معاصروهم ، واستعملوا تلك القوانين استعمالا علميا حقق حياة جديدة في اركان الارض ٠

عرفنا الاسلام أنه قوة دافعة ، قادت ثورة الجزائر الى النصر في العصر الحديث ، واذا عرف الباحثون التقدمية والتقدميين : « بأنهم كل ضحايا الاستعمار الذين يرفضون استمراره ، ويناضلون في سبيل التحرر ، وكل ضحايا التجزئة ، وكل ضحايا الاستبداد والتخلف » ٠ فأي فكر ، وأي منهج ، وأي أرض ، وأي أتباع يتعرضون لهجمات الاستعمار كفكر وكمنهج وكأرض وكأتباع الاسلام ، منذ الحروب الصليبية،مرورا بالغزو المغولي الى الاستعمار الاوروبي ؟!!

فهو أولى المبادىء بشعار التقدمية ، لانه حمل راية التحرير ضد الاستعمار ، وقاد حركات التحرر ، وطرد الاستعمار من الارض العربية ٠٠٠

---

١ ـ راجع هذا التعريف والتعريف الذي سيأتي أيضا في كتاب«أسس الاشتراكية العربية » للدكتور عصمت سيف الدولة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، في الفصل السادس : (في البعد الرابع) ٠ ومن هؤلاء الذين وصفهم التعريف المتعامين عن دور الاسلام في ثورات التحرر ، وخوض غمرات الموت في سبيل الحياة الكريمة ٠

٢ ـ يبتكرونها اما في سبيل حب الظهور ، واما تعنتا وصليبية وشعوبية ، كاختراعهم فكرة التحليل العلمي ظاهرة واضحة الحافز والهدف ٠

والیك ـ أيها القارىء الكريم ـ الدليل على صفحات هذا الكتاب .

شوقي أبو خليل

دمشق : ٢ رجب ١٣٩٥ هـ .

الموافق ١٠ تموز ١٩٧٥ م .



خطة البحث

* صنف البحث بحسب الترتيب الزمني لسنوات الثورات وبدء المقاومة ، على النحو التالي :

١ ـ مصر :	١٧٩٨
٢ ـ الجزائر :	١٨٣٢
٣ ـ تونس :	١٨٨١
٤ ـ السودان :	١٨٨١
٥ ـ الصومال :	١٩٠٢
٦ ـ ليبيا :	١٩١١
٧ ـ سورية :	١٩٢٠
٨ ـ المغرب :	١٩٢٥
٩ ـ فلسطين :	١٩٣٥
١٠ ـ العراق :	١٩٤١

★ ★ ★
★ ★
★

مصـــر

* « العلم في الاسلام لا يبـــاع »

الشيخ محمد بخيت المطيعي
مفتي الديار المصرية

الاحتلال

* كلفت حكومة الثورة الفرنسية الجنرال نابليون بونابرت ، بتهيئة حملة لغزو انجلترا ، بعـد أن انتصرت الثورة في حـروب طاحنة مع الدول الاوربية المتحالفة ضدها . ولم يبق أمامها معارض للثورة وافكارها سوى انجلترا ..

غيرأن نابليون وجد صعوبة في تحقيق هذا الغزو للجزر البريطانية بالنسبة الى قدرة فرنسا البحرية ، واقترح غزو مصر ، لتهديد انجلترا في طرق مواصلاتها مع درة التاج البريطاني « الهند » ، كما تعوض فرنسا باحتلال مصر ، ما خسرته من مستعمرات ، وتنطلق الى البلاد العربية والآسيوية .

وفي ١٩ أيار « مايو » عام ١٧٩٨ م ، غادر الاسطول الفرنسي بقيادة نابليون ميناء طولون سرا ، وعليه ٤٠ ألف جندي ، لاحتلال مصر ، فوصل شواطىء الاسكندرية في ١٨ المحرم ١٢١٣ هـ/٣تموز ١٧٩٨ م .

ووطئت قدم الاحتلال أرض الكنانة ، فمن للمقاومة ؟!

ديوان فصل الحكومات

* « ليس الباطل الا كالطلاء،
يزول مع الزمن » .

* لما دخل نابليون القاهرة شكل (نابليون) ديوانا وطنيا لمعاونته في ادارة البلاد ، من عدد من العلماء هم : الشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ خليل البكري ، والشيخ مصطفى الصاوي ، والشيخ سليمان الفيومي ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ موسى الرسي ، والشيخ مصطفى الدمنهوري ، والشيخ أحمد العريشي ، والشيخ محمد الدواخلي »(١) .

اتخذ بعض المعادين للاسلام والمسلمين من هذا المجلس دليلا للغمز واللمز ، وبخاصة بحق رئيس المجلس الشيخ عبد الله الشرقاوي ، فالمجلس عند هؤلاء دليل على ممالأة الاسلام لنابليون ، فهل هذه حقيقة !؟!

* لنقرأ معا ما قاله الجبرتي في يومياته بتاريخ : ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣ هـ/أول سبتمبر « أيلول » ١٧٩٨ م : « طلب صاري عسكر بونابرته المشايخ ، فلما استقروا عنده ، نهض بونابرته من المجلس ، ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمر وكحلي ، فوضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوي ، فرمى به الى الارض ، واستعفى ، وتغير مزاجه ،

---

١ ـ « المختار من تاريخ الجبرتي » ، كتاب الشعب ٢٧ ، ص : ٢٥٤/٢٥٥ .

وامتقع لونه ، واحتد طبعه » واغتاظ نابليون وقال : ان الشرقاوي لا يصلح للرياسة ونحو ذلك »(١)!!

* وقال الجبرتي المؤرخ المعاصر للاحداث بتاريخ ١٢ المحرم ١٢١٣ هـ/٢٦ يوليه « تموز » ١٧٩٨ م : « تشفع أرباب الديوان في أسرى المماليك ، فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم »(٢) ٠

* ونجد في « الاعلام » : « عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشرقاوي (١١٥٠ ـ ١٢٢٧ هـ/١٧٣٧ ـ ١٨١٢ م) أزهري ، فقيه من علماء مصر ، ولد في الطويلة (من قرى الشرقية بمصر) وتعلم في الازهر ، وولي مشيخته سنة ١٢٠٨ هـ » ، ثم ذكر الكتاب مؤلفاته وقال : « وهو أحد الذين أكرهوا ، في عهد الاحتلال الفرنسيس لمصر ، على توقيع بيان بالتحذير من معارضتهم »(٣) ٠

*ويقول الجبرتي في يوميات (جمادى الآخرة مستهله ١٠ نوفمبر « نشرين الثاني » ١٧٩٨ م : « كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وارسلوها الى البلاد ، وألصقوا منها نسخا بالاسواق والشوارع ٠٠» وعبارة « على لسان المشايخ » لا يفهم منها أن المشايخ قد كتبوها حقاً ، أو أقروها ٠٠

وبعد هذه النصوص التاريخية : من الملاحظ أن زملاء الشيخ الشرقاوي ما وجهوا اليه اتهاما ، بل كانت الانتقادات من بعض أفراد الشعب وعامته الذين لم يمتد نظرهم بعيدا !

فالشيخ الشرقاوي حاول الفرنسيون التماس سبب للتنكيل به في أول فرصة أو مناسبة ، ونابليون يقول بصريح العبارة عندما رمى الشرقاوي العلم الفرنسي الى الارض واستعفى :«انالشرقاوي لا يصلح للرياسة !!» ٠

---

١ ـ المرجع السابق ، ص : ٢٦٢ ٠
٢ ـ المرجع السابق ، ص : ٢٥٧ ٠
٣ ـ « الاعلام » ج : ٤ ، ص : ٢٠٦ ٠

اذن في الامر شيء ، فهو في ديوان فصل الحكومات ، ومع ذلك يريد الفرنسيون الاساءة اليه والوقيعة به ، ففي الامر شيء دقيق ٠ تشفعاته كثيرة ، ورد في « حلية البشر » بالحرف الواحد: «فاستشفعوا بالمشايخ فتشفعوا عندهم »(١)٠ فهو دفع الضر عن مئات المواطنين ٠٠ فماذا يلوح في طيات هذا الكلام ، قبل أن نحكم على انسان بالخيانة والممالأة بدل الامانة والوطنية ؟!

الشرقاوي وقد عرف بايمانه ، وعفته وتقواه ، ووطنيته ، فمواقفه أمام نابليون مشهورة ، رضي بعضوية الديوان ورئاسته لمصلحة الشعب ، فهو يعلم أن هذا الشعب وقد دخل الفرنسيون أرض الوطن ، لا قبل له بقوة فرنسا الحديثة،وهذا طبعا من أخطاء هذه الامة وسبب تأخرها وهو عدم مواكبة ركب التقدم العلمي الحديث ، فقبل بأمر أقل ضررا من أن يبقى في منزله منزويا في معزل يترك نابليون يتصرف دون التزام أدبي مع أعضاء الديوان ٠

فوظيفة الشرقاوي لا تحتاج الى دلائل أكثر مما سبق ، لقد قاوم الفرنسيين قبل دخولهم ، أي خرج للجهاد ، رفض العلم الفرنسي ورماه أرضا أمام نابليون ، ثم تشفعه بالمواطنين الشرفاء المجاهدين، عدم مهاجمته من علماء زمانه وأقرانه ، تجعلنا نقول : لقد اجتهد الشرقاوي ، قاوم وجاهد ، ثم عمل لصالح مصر الى آخر لحظة في حياته ٠

★ ★ ★

١ ــ « حلية البشر » ج : ١ ، ص : ١١٨ ٠

الشيخ محمد السادات

رئيس اللجنة الثورية في ثورة القاهرة الاولى .

*ذكر الجبرتي أن تقرير الضرائب الفادحة التي فرضها الفرنسيين في : ٢١ تشرين الاول « أكتوبر » ١٧٩٨ م ، هو الذي أدى الى نشوب ثورة القاهرة الاولى ، علما أن الشعب كان مهيأ للثورة لتحرير بلاده ..» .

ـ يقول الجبرتي : « لما أشيع ذلك (أي الضرائب) في الناس ، كثر لغطهم واستعظموا ذلك ..» .

ـ ويقرر نقولا الترك : « وفي ذات يوم نهار الاحد في ٢٠ ربيع الاول/ ٢١ تشرين الاول ١٧٩٨م نزل أحد المشايخ الصغار وكان من مشايخ الازهر ، وبدأ ينادي في المدينة أن كل مؤمن موحد بالله عليه بجامع الازهر ، لأن اليوم ينبغي لنا أن نغازي في الكفار(١) ..» .

وقد بدأت أحداث القاهرة في السادسة صباحا حين ردد المؤذنون من فوق المآذن نداءات الثورة ، وانطلق بعض الثوار في الشوارع يعلنون الثورة ويطالبون الناس بالتوجه الى الازهر الذي تحول الى مقر قيادة الثورة ..

اقيمت المتاريس في الشوارع، وبدأت مجموعات من الثوار تهاجم

---

١ ـ راجع لهذا البحث « الهلال » عدد خاص عن « مصر المحاربة » عدد حزيران « يونيو » ١٩٧٠ . راجع ص : ٦٢ الى ٧٠ .

مراكز الفرنسيين وخصوصا مقر قيادتهم في الازبكية ، ومهاجمة باقي المراكز والدوريات ...

عندها تعمد نابليون قصف الازهر ، مقر القيادة ، بالمدفعية والقنابل ، لقد دفع الثوار ثمنا غاليا ، تمثل في مقتل أربعة آلاف وتدمير أقسام كبيرة من أحياء الثورة ، ولكنهم في نفس الوقت جعلوا الفرنسيين ينزفون كثيرا ، وحتى نتبين ضراوة القتال رغم عدم تكافئه ، يكفي أن نعرف أن الفرنسيين خسروا في موقعة أمبابة ٢٩ قتيلا وحوالي ١٢٠ جريحا ، بينما خسروا في قتال الشوارع حوالي ٥٠٠ جندي .

ان الجبرتي وكريستوفر هيرولد ... يؤكدان أن العناصر التي قامت بالثورة هي العناصر المجاهدة ، المتدينة كالائمة وطلاب الازهر والاولياء والعلماء ...

وهكذا يحفظ التاريخ للازهر الشريف وللشيخ محمد السادات مواقفه الخالدة أمام الاستعمار الفرنسي ، ويسجل التاريخ للشيخ محمد السادات كيف اعتقل في حجرة كان ينام فيها على التراب ، ويرفع رأسه على حجر ، وكيف كان يُضرب مرة في الصباح ، وأخرى في المساء أمام زوجته وولده ، فما ركع ولا رجع ، بل ألهب الشعور بسجنه وتعذيبه بأكثر مما كان في حريته وتكريمه(١) .

ولقد اعترف نابليون ذاته في مذكراته التي أملاها في سجنه بجزيرة سانت هيلانه ، بأنه كانت توجد لجنة عليا للثورة ، مكونة من ثلاثين عضوا هي التي دبرت ثورة القاهرة ، لذلك في ٢٤ أكتوبر « تشرين الاول » ١٧٩٨ م بعد قيام الثورة بثلاثة أيام ، يذكر الجبرتي أن نابليون طلب الشيخ سليمان الجوسقي ، والشيخ أحمد

---

١ ـ « المسلم » مجلة العشيرة المحمدية ، عدد ذي القعدة ١٣٧٥ هـ يونية (حزيران) ١٩٥٦ ، العدد ٤ ، السنة ٦ ، ص: ٧ .

الشرقاوي ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي ، والشيخ يوسف المصيلحي ، والشيخ اسماعيل البراوي ، كمتهمين في اثارة الفتنة(١) ...

هذا هو موقف الازهر وعلمائه ومن المؤسف أن تتعاون أمور أخرى على طمسها واخفائها ، هذا هو موقف الازهر وعلمائه من الفرنسيين ونحن ندع الحكم عليه للقارىء الكريم .

★ ★ ★



الشيخ محمد كريم :

• قاوم الاستعمار الفرنسي ، ورفض التعاون مع الفرنسيين .

★ ★ ★

---

١ ــ « المختار من تاريخ الجبرتي » ص : ٢٧٦ . ومما يذكر هنا : أن محمد فضل الله المهدي المولود عام ١٧٣٧ م وأصله مسيحي أسلم،مالأ الفرنسيين في هذه الفترة على الرغم من أنه دخل الازهر وتخرج منه ولبس لباس العلماء !! راجع للتوسع في حياة هذا الانسان القلقة ، ص : ١٨٩/١٩٠ من كتاب السيد « عمر مكرم » ط كتاب الهلال ، العدد ٧ ، ١٩٥١ م .

الشيخ عمر مكرم

*** « نقيب الاشراف ، روح حركة المقاومة ، ومدير ثورتها ، وقائد الشعب الذي لا يسكن » ٠**

*عمر مكرم بن حسين السيوطي،ولد حوالي ١١٦٨هـ/١٧٥٥ م(١) ، تخرج من الازهر ، وحصل على قسط وافر من العلوم ، اقتنى مكتبة كبيرة في الدين والفقه ، لا يزال جزء منها محفوظا في دار الكتب المصرية يحمل اسمه ، لم يتفرغ للتأليف ولا للتصنيف ، اذ كان اهتمامه منصبا على الامور العامة في المجتمع ٠

كان أثيرا عند الناس ، ذا مكانة سامية في نفوسهم ، لدماثة خلقه ، وكرم نفسه ، وعفته عن المال ، لذلك لم يرتفع صوت انكار عندما تولى « نقابة الاشراف » ٠

وصلت حملة نابليون بتجهيزها الحديث،وقيادتها المجربة،فخرج « مراد بك » و « ابراهيم بك »(٢) لملاقاة نابليون وعمر مكرم يعلم أن أولئك الافراد لن يستطيعوا حماية الشعب ، فنادى الشعب أن يهب لحماية نفسه بما استطاع ، وكان جواب الشعب باهرا نبيلا ،

---

١ ــ راجع « الاعلام » ج ٥ ص ٢٢٩/٢٣٠ ٠ و « حلية البشر » ج ١ ص ١٠٩ و « زعيم مصر الاول السيد عمر مكرم » لمحمد فريد أبو حديد ٠٠٠ سمي الشيخ عمر « بالسيد » ولم يعرف بلقب «شيخ» لاشتغاله بالحالة العامة للشعب وانصرافه عن التأليف والتدريس !؟! « ص ٥٥ ، السيد عمر مكرم » ٠

٢ ــ عند مجيء الحملة الفرنسية الى مصر ، كان يقتسم حكمها اثنان من المماليك هما : ابراهيم بك وبيده السلطة الادارية ، ومراد بك وبيده السلطة الحربية ٠

اذ لبى جميعه نداء الواجب الذي هتفه « نقيب الاشراف » الشيخ عمر مكرم ، فخرج كل من في القاهرة وضواحيها للجهاد ، و نشر عمر مكرم علما كان العامة يسمونه « البيرق النبوي » ، ونزل من القلعة الى بولاق ، والناس حوله آلوف مؤلفة يحملون السلاح البسيط، وهم يهللون ويكبرون ٠

وفي ٢١ تموز « يوليو » كانت معركة أمبابة ، ولم تمض الا ساعات قليلة ، حتى قتل من الجيش المصري ستمائة وغرق نحو الالف وأصبح نظامه أثرا بعد عين، وانهزم مراد ناجيا بنفسه الى الجنوب قاصدا الجيزة ٠ كما أسرع ابراهيم الى الهرب ، وعمر مكرم ينظر ، فـان صدقت عزيمته في الجهاد ، فقد خانته المقدرة في السلاح ، وعصته الحيلة ، وعزت عليه الوسيلة ٠



الشيخ عمر مكرم :

٠ نقيب الاشراف في مصر ٠٠ قـاوم نابليون ٠٠ وخاض معركة امبابة ٠٠ ثم تزعم ثورة القاهرة الثانية عام ١٨٠٠

لقد صحت فيه عزيمة الجهاد ، ولكن الخطأ ، خطأ التصنيـع واللحاق بركب الحضارة !

ولما دخل نابليون القاهرة ، خرج منها عمر مكرم ، واستقر في

« العريش » ثم في « يافا » ، وأغار نابليون في السنة نفسها على يافا فاحتلها وقتل من أهلها نحو ستة آلاف كانوا قد استسلموا ، ولكنه أكرم من وجد فيها من المصريين ، وبينهم عمر مكرم.فعاد الى القاهرة بعد غياب ثمانية أشهر • ثم عاد نابليون الى بلاده بعد فشله على أسوار عكا ، وتولى الجنرال كليبر حكم مصر •

ثورة آذار ١٨٠٠ :

فاوض كليبر الانجليز(١) في الشروط التي يستطيع بها أن يخرج من مصر ، وكان الجيش العثماني قد بدأ يزحف نحو مصر من ناحية الشام ، فوقع معهم اتفاقية العريش في ٢٤ كانون الثاني « يناير » ١٨٠٠ ، التي نصت على اعلان الهدنة لمدة ثلاثة أشهر ينسحب خلالها الفرنسيون من المدن المصرية ويتجمعون على الساحل لنقلهم على سفن انكليزية الى فرنسا على نفقة الدولة العثمانية •

لكن انكلترا تراجعت عن هذا الاتفاق . بعد أن اطلعت على ضعف الجيش الفرنسي ، فاعتبر الفرنسيون ذلك اهانة لشرفهم العسكري ، اذ اشترط الانجليز على الفرنسيين تسليم أسلحتهم ومعداتهم واعتبارهم أسرى حرب •

تسربت أخبار هذه الحوادث الى القاهرة ، وبخاصة لما اشتبك الجيش الفرنسي مع جيش عثماني في القاهرة . فاذا هم يرون الآمال التي كانوا يتطلعون الى تحقيقها توشك أن تتبدد ، فيعود اليهم الاجنبي ، بعد أنْ عللوا النفس بقرب انصرافه عنهم ، فهاجوا واضطربوا ، واشتعلت في صدورهم الكراهية والكبرياء ، وانفجرت حفيظتهم انفجارا لم يسبق له مثيل ، واتجهت أنظارهم الى زعماء

---

١ ـ أغرق الاسطول الانجليزي نظيره الفرنسي ، واعتقد «كليبر» أن بقاء الفرنسيين في مصر ، بعد ذهاب نابليون أصبح ضربا من المحال ، وبدأ يكتب التقارير لحكومته يصور فيها مستقبل الحملة تصويرا قاتما ، فالانكليز يحاصرونها من البحر ، والشعب في مصر ضدها ••

يثقون بهم ويتيمنون برأيهم ، فكان الشيخ عمر مكرم كبير هؤلاء الزعماء وأعظمهم في أعين الناس ، فنادوه وهتفوا باسمه ، ولم يكن لينتظر دعوة ولا هتافا، بل سارع الى الخروج،اذ رأى الواجب يناديه الى العمل ، والى مكافحة العدو ٠

لقد تزعم عمر مكرم ثورة القاهرة الثانية ، وبث من قلبه ما يفيض منه من ايمان وقوة في نفوس الشعب ، فقاتل وقاتلوا الفرنسيين ٣٧ يوما ، وهم ينتظرون المدد من جيش عثماني ، أو تلوح لهم جنود مراد بك ٠ ولكن أملهم في كل ذلك كان خائبا،وبخاصة عندما أصلى كليبر القاهرة وابلا من قذائف المدفعية ٠ فتوقف القتال بوساطة بعض العلماء لوقف نزيف الدم غير المتكافىء ٠

ولقي الشيخ عمر مكرم نقمة كبرى من الفرنسيين ، فنهبوا بيته وما عاد الى القاهرة الا بعد اغتيال كليبر ٠ توفي الشيخ عمر مكرم عام ١٢٣٧ هـ/١٨٢٢ م(١) ، بعد أن أبعده محمد علي باشا الى طنطا بعد دمياط ٠

قال الرافعي : « لم يعرف فضله ، ولا كوفىء على جهاده ، بل كان نصيبه النفي والحرمان والاقصاء من ميدان العمل ونكران الجميل » ٠

رحم الله الشيخ الجليل ، والعالم العامل ، الذي وقف في وجه الاستعمار الفرنسي لما دخل مصر ، وقام في وجهه في ثورة القاهرة الثانية ، ليثبت للعالم أجمع أن اسلامه وايمانه دفعاه الى الجهاد ، والى الذود عن أرض الوطن ٠

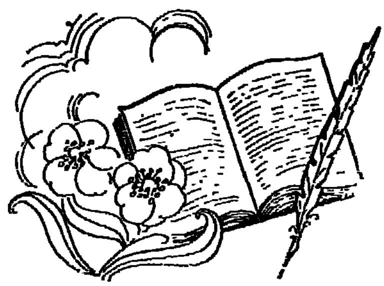
رحم الله عمر مكرم فلو كان ضعيف الايمان في جهاده، مترددا في اسلامه ، لكان ما شهده من مناظر الحرب ، وما قاساه في حياته كافيا

---

١ ـ « الاعلام » ج ٥ ، ص ٢٣٠ ٠

لان يخلع قلبه ويحمله على النكوص والرجوع ٠ ولكن نفس ذلك الرجل العظيم الشيخ الفاضل المجاهد ، لم تكن من النفوس التي تلتمس الاعذار رياء الناس ، أو تريد النجاة من تحمل الواجب ، فتسلك الى ذلك ما يتهيأ لها من السبل ٠ ولهذا نجد أنه بقي على مسلكه وعقيدته ، واستمر طيلة حياته يترقب فرص الجهاد ليبرهن على الاسلام العمل النضالي ، حتى اذا سنحت له انتهزها مبادرا(١) ٠

وهكذا ٠٠ ان الاسلام أول قوة وقفت في وجه الغزو الفرنسي متمثلا في شخص عمر مكرم سيد مصر الاول ٠



١ ـ (زعيم مصر الاول : السيد عمر مكرم) ، ص ٦٩/٧٠ بتصرف ٠
ـ وفي ثورة القاهرة عام ١٨٠٠ م قاد الجهاد في بولاق الحاج مصطفى البشتيلي وقتل من الفرنسيين ومن معه الكثير ٠

مقتل كليبر

* جاء في يوميات الجبرتي الخميس ٥ المحرم ١٢١٥هـ/٢٩ مايو « أيار » ١٨٠٠ م ما يلي :

ــ أصعدوا الشيخ محمد السادات الى القلعة ، ورأى نابليون الابقاء على حياته ، لما اعتقده من أن الحكم باعدامه يضر بمركز الفرنسيين أكثر مما ينفعهم ، وعقب اخماد الثورة ، سأل كليبر نابليون : كيف لا يقضي باعدامه وهو زعيم الثورة ، فأجابه نابليون : ان اعدام مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين ، بل يؤدي الى عواقب وخيمة ٠

لذلك حقد كليبر على الشيخ السادات ، وهو الذي أمر بتعذيبه وضربه ، وكان هذا من أهم الاسباب التي أدت الى مقتل كليبر(١) ، بعد ثورة القاهرة الثانية ٠

وقاتل كليبر Kléber هو سليمان بن محمد أمين الحلبي ، ولد بحلب : ١١٩١ هـ/١٧٧٧م ، وأقام في الازهر ثلاث سنوات يتعلم ، وعاد الى حلب وحج مرتين ، وزار القدس وغزة ، فعاهد بعض أصدقائه على قتل كليبر بعد عودة نابليون الى فرنسا ، وحمل من علماء غزة رسائل الى بعض علماء الازهر ، يوصونهم بمساعدته،وفي القاهرة ترصد كليبر ٣١ يوما حتى ظفر به يتمشى مع فرنسي أخر ، فطعنه بخنجر كان يخفيه في ثيابه ، عدة طعنات ، مات كليبر على أثرها ٠

---

١ ــ راجع « تاريخ الحركة القومية » عبد الرحمن الرافعي ، جـ ٢ ، ص ١٨٩

اتجهت أنظار الفرنسيين في بادىء الامر الى اتهام العلماء الذين عرفوا بالتحريض على الثورة الاخيرة ، والحض على كراهية الجنس الفرنسي ·· ففتشت بيوتهم ، ولكن لم يجدوا ما يدينهم أو يبعث على الاشتباه فيهم · وكان الفرنسيون يوجهون التحقيق الى جمع البينات لاثبات علم الشيخ الشرقاوي بنية القاتل قبل ارتكابه الجناية ، ولكن التحقيق لم يسفر عن ادانة الشيخ الشرقاوي أو غيره من كبار العلماء ···

وفي التحقيق قال سليمان الحلبي : انني من ملة محمد ، وبعد تعذيب شديد اعترف بتحريض ثلاثة من العلماء هم : الشيخ محمد الغزي ، الشيخ عبد الله الغزي ، والشيخ أحمد الوالي(١) ·

وسئل سليمان الحلبي عن علاقته بالشيخ الشرقاوي،وعن تردده مرارا عديدة ليبيت عند الشيخ الشرقاوي فنفى ذلك بعد أن أقره بالامس ، وسئل الشيخ الغزي هل أخبر بالذي أقدم عليه سليمان لاحد من المدينة وخصوصا الى الشيخ الشرقاوي ؟

فقال الشيخ الغزي الذي ضرب بشكل لا يطاق:ان سليمان أخبره أنه سيقتل كليبر ، وقال : ان سليمان قد قال له ، انه حضر من غزة لاجل أن يغازي في سبيل الله بقتل الكفرة الفرنسوية ·

وسئل المدرس التركي « مصطفى أفندي بروسه » في التحقيق : « هل يعرف بأن سليمان راح عند ناس من البلد، وخصوصا عند أحد من المشايخ الكبار ؟ فجاوب : انه لا يعرف شيئا ، لانه ما شافه الا قليلا ، وانه لم يقدر يخرج كثيرا بسبب ضعفه وكبره »(٢) ·

لقد حكمت المحكمة الفرنسية على المجاهد المسلم سليمان الحلبي باعدامه صلبا على الخازوق ، بعد أن تحرق يده اليمنى ، ثم يترك

---

١ ــ راجع « الاعلام » ج ٣ ، ص ١٩٧ ، والمختار من تاريخ الجبرتي ، ص٣٧٧ والرافعي ج ٢ ، ص ٢٠١ ·

٢ ــ النص حرفيا من مذكرات الجبرتي المرجع السابق ص : ٣٨٥ ·

طعمة للعقبان ، ونفذ فيه ذلك ، في تل العقارب يوم ١٧ يونيه « حزيران » ١٨٠٠ م ، وعلقت الى جانبه رؤوس ثلاثة من علماء الازهر ، كان قد أفضى اليهم بعزمه على القتل ، ولم يفشوا سره ، وهم : الشيخ عبد الله الغزي ، والشيخ محمد الغزي ، والشيخ أحمد الوالي ٠

واحتفظ الفرنسيس بالهيكل العظمي من جسم سليمان، فوضعوه في متحف حديقة الحيوانات والنباتات في باريز، كما حفظوا جمجمته في غرفة التشريح بمدرسة الطب بباريز ٠ وما زال الخنجر الذي طعن به كليبر محفوظا في مدينة كاركاسون Caracasson بغرنسا(١) ٠

هكذا قدم سليمان الحلبي روحه بدافع من ايمانه واسلامه ، للثار للشيخ محمد السادات ، وقدم الازهر الشريف ثلاثة من علمائه في سبيل قتل كليبر الذي عرف بعدائه للمسلمين !!

★ ★ ★

الشيخ الكيلاني

* تواترت الاخبار الى الحجاز ، أن الافرنسيين نزلوا مصر ٠ فازعج ذلك أهل الحرمين الشريفين ، وضجوا في الحرم، وأخذ الشيخ محمد الكيلاني المغربي يعظ الناس، ويدعوهم الى الجهاد، ويحرضهم على نصرة الدين والحق ، وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا في معنى ذلك ، فاتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو ستمائة من المجاهدين وركبوا البحر الى مدينة القصير ، على ساحل البحر الاحمر في مصر ، مع من انضم اليهم من أهل ميناء ينبع في الحجاز ٠٠٠ فورد الخبر الى القاهرة ، أنه انضم اليهم جملة من أهل الصعيد ، وبعض أتراك ومغاربة ٠٠ وحاربوا الفرنسيس ،

---

١ ــ « الاعلام » ج ٣ ، ص ١٩٦/١٩٧ ٠

فلم تثبت فرقة البدو التي انضمت الى الشيخ ، وثبت الحجازيون ، ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب بعدة مواضع ، وينفصل الفريقان بدون طائل(١) .. وبقي الحال فترة طويلة سجالا ...

لقد تمثلت في الشيخ محمد الكيلاني روح التضامن الاسلامي ، فنفر من الحجاز « وهو مغربي الاصل » لنجدة مصر في محنتها عندما دنس أرضها الفرنسيون .

وتمثلت فيه مبادىء الاسلام عمليا فقام يحرض الجند على الجهاد ، وكان عند اللقاء في مقدمتهم .

★ ★ ★

الشيخ سليمان الفيومي المالكي الأزهري

* كريم النفس جدا ، يجود وما لديه قليل ، مع حسن المعاشرة ، والبشاشة والتواضع ، والمواساة للكبير والصغير ، والجليل والحقير وطعامه مبذول للواردين ، فكل من دخل عليه لا بد أن يقدم له طعاما ، مع كونه نافذ الكلمة ، مقبول الشفاعة ، ولا يقبل من أحد شيئا مكافأة على فعله ، فمالت اليه القلوب ، ووفدت عليه الناس من كل جانب ، وطارت شهرته في البلاد والاماكن ، وكان اذا نزل عنده ذو حاجة ، فلا يخرج من داره حتى تقضى حاجته ، فيودعه ويزوده ما يكفيه الى وطنه(٢) .

هذا العالم الجليل ، بهذه الصفات التي وردت في « حلية البشر » كان في « ديوان فصل الحكومات » وقال عنه مؤلف المرجع المذكور :

---

١ ــ « المختار من تاريخ الجبرتي » ص ٢٩٥ ، و « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » ، ص : ١١٨ ، جـ ١ .

٢ ــ « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » ، جـ ٢ ، ص ٦٩٦ .

« ولما أخذ الفرنساويون مصر عام ثلاثة عشر ، كانت داره ملجأ القاصدين ، ومنهل الواردين من الناس ، لانه كان عند الفرنساويين من المقدمين على غيره » ٠

فهو يذكرنا بذلك بالشيخ عبد الله الشرقاوي ، رئيس ديوان فصل السلطات ٠ ويذكرنا بالملاحظات التي أوردناها في حينها وأبينا ان يكون من أعضاء الديوان لمصلحة شخصية . أو حبا بالفرنسيين؟!

البكريون

* الاسرة البكرية ، أسرة عريقة ، قدمت في كل جيل علما من الاعلام ، يهمنا في هذه الفترة ذكر السيد علي البكري الصديقي والد السيد محمد توفيق البكري ٠

ان حياة علي البكري لا تختلف عن حياة آبائه في الجهاد ، انها حياة عريضة، بمعنى أنها صورة مكبرة لحياةأجداده،وصورةمصغرة لحياة أمة كلها ٠ فهو المرجع الاعلى في الشؤون الدينية ، وهو نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرقالصوفية٠وفي بيته كانتتعقد أخطر الاجتماعات الدينية والسياسية ٠

والتاريخ يخبرنا أن الخديوي اسماعيل رتب على مصر ديونا طائلة بسبب تبذيره واسرافه ، لقد مد يده الى الاسواق المالية البريطانية والفرنسية ليستدين منها بفوائد فاحشة ، ولم يلبث أن عجز عن قضاء هذه الفوائد ، وعندئذ عرض حصة مصر من أسهم قناة السويس للبيع فأسرعت بريطانيا لشرائها عام ١٨٧٥ م ، هذه الاحداث جعلت أعيان الامة يجتمعون في داز السيد علي البكري ليضعوا اللائحة الوطنية التي تعهدوا فيها بوفاء ديون اوروبا ، حتى لا تتدخل أصابع الدول الاجنبية في شؤون مصر ، وكان هذا من أكبر الاجتماعات التي شهدتها الدار، فقد أحدث فيالناس شعورا

بالقوة لم يلمسوه في أنفسهم من قبل ، وأحسوا أنهم يستطيعون أن يعتمدوا على قوتهم ، وأن يوجهوا أمورهم كما يقول الشيخ محمد عبده ، ومن هنا لقبته الجرائد بشيخ الامة(١) ٠

وزاره الخديدي اسماعيل بعد ذلك في داره شاكرا له مسعاه ، طالبا منه أن يسعى مرة أخرى في انقاص نسبة الفائدة على الديون المصرية ، فتوجه الى السير بارنج ــ لورد كرومر فيما بعد ــ وأكبر الرجل هذه الزيارة من رجل الدين الكبير وشيخ الامة ، ورفض السيد علي البكري ، أن يذوق شيئا قبل أن يسمع رأي السير بارنج في انقاص نسبة الفائدة الكبيرة ، فأجيب الى طلبه في الحال ، وخرج يملأ القلوب والافواه كما كان يقال عنه ٠

هذا الرجل ، شيخ الامة ، السيد علي البكري ، الذي جعله اسلامه يتحسس أمور زمانه السياسية ويتدخل لوضع حلول لصالح شعبه ، وقد استشف في الافق خطر تدخل أوروبي بسبب ديون الخديوي ، هذا الرجل ربى ابنه الشيخ محمد توفيق تربية هيأته ليتابع مصلحة الامة من بعد أبيه ، فجمع الابن العلوم العصرية المدنية مع العلوم الدينية ، لقد حمل شهادة من الازهر ، ولبس جبة وعمامة على ملامح لطيفة أكسبته سمة العلماء ووقارهم في ريعان شبابه وعنفوانه ٠

كما تسلم من بعد أبيه مشيخة الطرق الصوفية ، ونقابة الاشراف ٠٠٠

* من ملامح شخصية الشيخ توفيق في معترك السياسة، التي ألقى بنفسه فيها منذ وقت مبكر ، أن الاحتلال في ذلك الوقت كان يحاول أن يئد روح الوطنية في النفوس بعسفه وطغيانه ٠ فصار عدم الاكتراث بالوطنية شعار هذا الجيل والجيل الذي تلاه ، واصبح

---

١ ــ محمد توفيق البكري ، د٠ ماهر حسين فهمي ، ص : ٢٤/٢٥ ، ورأى الشيخ محمد عبده في « تاريخ الامام » ، ج ١ ، ص ١٦١ ٠

سبيل النجاح سواء في مناصب الحكم ، أو في الحياة الاجتماعية عامة هو الولاء للاحتلال الاجنبي ، والزراية بالمبادىء الوطنية وقلة الاخلاص للبلاد ، ودرج الناس على هذه الحالة حتى ألفوها ، وحتى عدوها حالة عادية ، وكأن الخروج عليها ضرب من السخف أو الجنون وهكذا يمسخ الحكم الاجنبي نفسية الامة ويفقدها روح القومية والكرامة ، وينشىء نفوسا مريضة يروضها على التفريط في حقوق الوطن والتضحية بمصالحه ، وألغى الاحتلال النظام الدستوري الذي نالته البلاد من قبل · والذي كان أداة لمقاومة التدخل الاجنبي والحد من سلطة الفرد ، وكان يقرر سلطة الامة ويجعل الوزارة مسؤولة أمام مجلس نيابي كامل السلطة ، وأنشأ بدلا منه نظاما صوريا قوامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وهما هيئتان محرومتان كل سلطة ونفوذ ، وبذلك فقدت البلاد في وقت واحد استقلالها ودستورها وفقد الناس الطمأنينة على حياتهم وحريتهم »(١) ·

لقد قام الشيخ محمد توفيق البكري أمام هذا الواقع ينادي : مصر للمصريين ، وأنا ضد أي احتلال فرنسي أو ايطالي أو بريطاني ان البلاد قادرة على حكم نفسها بنفسها · لقد جاهر بعدائه للاستعمار البريطاني ، وبدأ يبث الروح الوطنية بمفهومها الذي ساد في نهاية القرن ١٩ ومطلع القرن العشرين في مصر ، وهي اهتمام المصري بوطنه ، والتمسك بدعوة الجامعة الاسلامية فكريا وعمليا(٢) ·

ولما زار ولي عهد بريطانيا مصر ، خطا البكري خطوة أخرى ، فكتب له كتابا مفتوحا نشر في « المؤيد » طالب فيه بريطانيا بوفاء وعدها بالدستور والاستقلال · ونشرت الاهرام والمقطم والجوائب وكثير من الصحف الاجنبية الكتاب ، فأثار ضجة كبيرة في الرأي العام

---

١ ــ ص : ٦٩ « محمد توفيق البكري » عن كتاب « مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال » ص ١٧٥ ·

٢ ــ « محمد توفيق البكري » ، ص : ٧٣ ·

وللحقيقة نقول : لم يكن البكري ولا غيره يملك أن يصنع أكثر من محاولة تكتيل الرأي العام نحو هدف معين ، وأكثر من تكريس المصري و « فعل بمصر في النفوس والعقول ما تفعله شعلة النار آلقيت في بحر من البترول »(١) .
قلمه في سبيل محاربة المستعمر وايقاظ أبناء وطنه ، وبث روح المسؤولية فيهم ·

* هذه الشخصية الوطنية ، التي أتقن صاحبها الفرنسية والتركية والانكليزية الى جانب العربية ، وزار اوروبا مرتين فاطلع وفهم المدنية الحديثة ، فعلت شهرته في مجابهة الاستعمار البريطاني لبلاده ، وتحسس آلام الشعب المصري في حينها ، فهو الذي نادى بالقضاء على ويلات الانسان في ظل التفرقة الطبقية وقال: « فبينما ترى قصورا وثراء ، وحبورا وسراء ، وعربات تترى ، يعدو أمامها السليك والشنفري ، وخراج قرية أو قريتين ، يذهب في لهو ليلة او ليلتين ، نجد أرامل صناعا ، وأيتاما جياعا ، وشيخا يعمل ، أو مريضا عاجزا عن العلاج ··· حال تطرف العيون ، وتثير الشجون » (٢) .

هذه الشخصية تغير عليها الخديوي عباس عام ١٣٢٧ هـ ، وطارده ، ثم رمي بالجنون تخلصا منه ، ونقل الى مصح في بيروت عام ١٣٣٠ ، فبقي فيها ١٦ عاما يقابل الناس بشكل طبيعي ، ثم عاد الى القاهرة بعد أن ضج الادباء فيها · توفي عام ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م (٣) ·

★ ★ ★

١ ـ المؤيد : ٣/٤/١٩٠٦ ، راجع المرجع السابق ، ص : ٧٥ ·
٢ ـ « محمد توفيق البكري » ص : ٤٤ ، عن : « صهاريج اللؤلؤ » ص : ١٥٨·
٣ ـ « الاعلام » ، ج ٦ ، ص :٢٩١ ·

ثورة أحـمد عرابي

* « لقد خلقنا الله أحرارا ،
ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله
الذي لا اله الا هو اننا لن نورث
ولن نستعبد بعد اليوم » ٠

[عرابي للخديوي توفيق في ١٨٨١/٩/٩]

* أحمد عرابي بن محمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم :[١٢٥٧ ـ ١٣٢٩ هـ / ١٨٤١ ـ ١٩١١ م] ، ولد في قرية « هرية رزنة » من قرى الزقازيق بمصر ، وجاور في الازهر سنتين ، ثم انتظم جنديا في الجيش سنة ١٢٧١ هـ ، وبلغ رتبة « أميرالاي » في أيام الخديوي توفيق(١) ٠

ازداد التدخل الاجنبي في شؤون مصر ، وحنق رجال الجيش لاضطهاد الاحرار الوطنيين ، ناهيك عن عدم السماح لضباط الجيش المصريين أن يتجاوزوا في الترقية رتبا معينة ٠٠ فتولى زعامة الوطنيين في الجيش أحمد عرابي ، وتوثقت العلاقة بينه وبين الزعماء السياسيين ، فاعتمدوا عليه في تحقيق مطالبهم التي تتلخص في اقامة الحياة النيابية في البلاد ، ووقف التدخل الاجنبي ٠

سار عرابي بمظاهرة سلمية الى ميدان عابدين (ايلول عام ١٨٨١ م) مع فرق الجيش ، يحيط بهم آلاف من أفراد الشعب ، وقدم للخديوي ومستشاريه ورئيس الوزراء والمندوب الانكليزي

---

١ ـ « الاعلام » ج١، ص : ١٦٢/١٦١ ٠ ورتبة أميرالاي تعادل رتبة عميد حاليا

مطالب الشعب والجيش وتتلخص بعزل رئيس الوزراء ، وتأليف مجلس نواب ، وزيادة عدد الجيش وتقويته ليصبح قادرا على الدفاع عن البلاد ٠

اضطر الخديوي الى الاذعان ، فعهد الى شريف باشا بتأليف الوزارة ، وباعداد الدستور الذي رفع الى مجلس النواب ، فأصر المجلس على مناقشة الميزانية وأعلن احترامه لالتزامات الحكومة بما يتعلق بشأن الديون ٠

الا أن اوروبا وبخاصة فرنسا وانجلترا فزعت من هذا الخبر الذي يمس مصالحها الاستعمارية ، فأرسلت انجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة الى الحكومة المصرية (كانون الثاني ١٨٨٢) تعارضان فيها حق المجلس في مناقشة ميزانية الدولة واقرارها ، وتهددان بالتدخل لتأييد سلطة الخديوي ٠

وفكر الخديوي أن يستغل هذه المذكرة لقلب الحكومة وحل المجلس النيابي واعادة السلطة المطلقة ، لكن النواب وقادة الجيش لم تزدهم المذكرة الا تكتلا واصرارا على موقفهم ، واعلان حق المجلس في مناقشة الميزانية ٠

فخالفهم شريف باشا رئيس الوزراء ورأى تأجيل هذا الامر حتى يفاوض الدولتين لاقناعهما بوجهة النظر المصرية ، تلافيا للازمة ولكن مجلس النواب رفض اقتراح شريف باشا فلم يجد بدا من الاستقالة ٠

تألفت وزارة جديدة برئاسة محمود سامي البارودي ، فسلم فيها أحمد عرابي وزارة الحربية والبحرية ، فبدأت الوزارة عملها بتقديم مشروع اصلاحي لمختلف نواحي البلاد ، وتعديل الفقرة الخاصة بالميزانية من مشروع الدستور بحيث يصبح للمجلس حق النظر في الميزانية باستثناء الجزء الخاص بالحصة التي تدفع للباب

العالي ، وبنفقات الدين العام ، وذلك كي لا يفسح المجال أمـــام الدول للتدخل في شؤون مصر • وأقر مجلس النواب مشروع الدستور الجديد ، واضطر الخديوي توفيق في ٧ شباط ١٨٨٢ م ، الى اصدار مرسوم بالدستور وتحقق أول أمل للشعب في عهد الوزارة الجديدة •

الا أن انكلترا ، التي كانت تتحين الفرص لاحتلال مصر، وجدت في هذا التدبير عملا يجعل مصر تفلت من يدها ، وأخذت تدبر الخطط لاثارة الفتنة والانقسام بين صفوف المواطنين ، ووجدت في شخصية الخديوي أداة طيعة لتحقيق مآربها •

ولما اشتد الخلاف بين الخديوي والوزارة ، ولاحت بوادر الثورة ادعت انجلترا أن الحالة خطيرة ، يخشى منها على أرواح الرعايا الاجانب ، وتحفزت للتدخل المسلح ، فأرسلت أسطولا الى ميـــاه الاسكندرية ، وطالبت مع فرنسا باسقاط الوزارة وابعاد عرابـــي عن مصر ، فاستقال محمود سامي البارودي ، على حين أصر عرابي على الاحتفاظ بمنصبه ، فحاكت بريطانيا والخديوي في (١١ حزيران ١٨٨٢) حادث الاسكندرية ، الذي تسبب بفتنة عندما اشتبك أحد رعايا الانكليز مع عامل مصري وتطور الى تبادل اطلاق الرصاص بين الاهلين والاوروبيين ••• أطلق البريطانيون قنابلهم علـــى الاسكندرية ونزلت قواتهم الى البر وأقر الخديوي عمل بريطانيا وأمر بعزل عرابي ، لكن الشعب التف حول عرابي ولقبه « حامي البلاد » ، فأعد العدة للمقاومة وعزم على ردم مدخل القناة ليمنع الاسطول الانجليزي من انزال جنوده في الجبهة الشرقية ، ولم يثنه عن عمله سوى تدخل ديلسبس ، الذي وعده بمنع الاسطول من المرور في القنال اعتمادا على حيادها(١) •

الا ان القوات الانجليزية نزلت عند الاسماعيلية ، وزحفت

---

١ ــ « تاريخ العرب الحديث والمعاصر » ، ص : ١٢٦/١٢٢ •

منها نحو القاهرة ، والتقت بقوات أحمد عرابي في معركة التـــل الكبير ، ودخل الانجليز القاهرة في ١٤ أيلول ١٨٨٢ ، فحلوا الجيش المصري ، ونفوا عرابي الى جزيرة سيلان ، حيث مكث ١٩ عاما ، وأطلق في أيام الخديوي عباس فعاد الى مصر وتوفي بالقاهرة ٠

تلك هي باختصار أحداث الثورة العرابية من الناحية العسكرية فلننظر الى المبادىء والافكار التي وجهتها ، والى مكانة رجالاتها في المجتمع آنذاك !!

★ ★ ★

عرابي :

مسلم صوفي ، جاور في الازهر عامين ، اتصاله وثيق مع العلماء كما سنرى ، لذلك نظر اليه رئيس الوزارة الفرنسي « ليون جمبتا Léon Gambetta» على أنه يقود عصيانا ثوريا ، وتعصبا اسلاميا(١) ٠

لقد طبقت شهرة عرابي الآفاق في العالم الاسلامي لنجاحه في تحدي الاستعمار ، حتى سمي « بطل الاسلام » ، والمدافع عنه في وجه انجلترا وفرنسا ، وكان رجوعه الى وزارة الحربية قد قوبل بالفرح في تونس وسورية ومراكش والجزائر وغيرها ، باعتباره هزيمة لانجلترا وفرنسا ، مما ادى الى ازدياد ثقة المسلمين بأنفسهم وأصدر علماء الازهر فتوى مضمونها أنهم لن يطيعوا السلطان اذا ما انضم الى الاوروبيين ضد عرابي ، وأخذوا يوثقون علاقتهـم بعلماء طرابلس وتونس ، وحاول علماء البلدان الثلاثة أن يقنعوا أحمد أسعد سادن الحرمين الشريفين ، بأن نجاح قضية الاسلام في شمال افريقيا ــ بل وجود الاسلام على الاطلاق ــ يتوقف على بقاء عرابي في الحكم(٢) ٠

١و٢ ــ « الثورة العرابية » د٠ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، على التوالي ص : ٧٧/١٠٢ ٠

كتب عرابي الى انجلترا في٢ تموز ١٨٨٢ : « لتتأكد انجلترا أن أول بندقية تطلقها على مصر ستحرر المصريين من كل المعاهدات والاتفاقيات ، ومعنى ذلك انتهاء الديون والمراقبة ، سندمر قنواتنا ونقطع مواصلاتنا ، ونستغل الحماسة الدينية الاسلامية لاعلان الجهاد المقدس في سورية والجزيرة العربية والهند ··· وقد ألقيت الخطب بهذا المعنى في مساجد دمشق ، وتم الاتفاق مع الزعماء المدنيين في كل بلد في سائر العالم الاسلامي(١)···

وفي تقرير أرسله قنصل انجلترا في دمشق بتاريخ ١٤ و ٢٠ حزيران « يونيو » الى دولته والدولة العثمانية، ذكر فيهما القنصل: تجمع علماء وأعيان دمشق ، وكثير من الناس ، لمقابلة مندوب عرابي ، وهو أحد مشايخ الازهر ، واجتمعوا به في المسجد الاموي · وقال لهم : ان مصر باب الكعبة ، وبيضةالاسلام، وان هدف الانجليز هو القضاء على الاسلام ، وأن على كل مسلم أن يهب لمساعدة عرابي بقواه وماله ·· وكان لهذه الخطبة أثر بالغ في الناس ·

وارسل عرابي خطابات الى والي الحجاز ورعيته ، يذكر لهم أنه قد حمل السلاح للدفاع عن البلاد ، وطلب منه ومن رعيته أن يدعوا الله في صلوتهم أن يكلل جهودهم بالنصر ·

وأرسل كذلك رسله الى الهند وتونس وطرابلس لاكتساب عطف الرأي العام الاسلامي والاعداد للجهاد ·

* « أرسل القنصل البريطاني في سالونيك في ٨ أغسطس (آب » يذكر ان السكان بوجه عام يعتبرون انجلترا وفرنسا عدوتين لدينهم ولكيانهم ، وأن هذا الشعور لا يقتصر على العوام ، بل انه يوجد كذلك لدى ضباط الجيش متحمسون ضد انجلترا ، وأنهم يعتبرون

١ ـ المرجع السابق ، ص : ١٠٧ ·

عرابي بطل الاسلام ، ومن ثم عطف السكان عليه وعلى الثورة المصرية(١) » .

* كيف يعتبر عرابي بطل الاسلام في العالم الاسلامي شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ؟ هل هذه التسمية مصادفة ؟ أم أنها حرب صليبية أرادتها بريطانيا ضد مصر ، فتصدى لها بطل مسلم متمسك بدينه واسلامه هو أحمد عرابي !!

* وجند عرابي مؤمنون يقضون الليل في الاستماع الى تلاوة آيات القرآن الكريم ، وفي حلقات الذكر(٢) ، وعرابي في مذكراته يذكر تمسكه بواجباته الدينية كالصلاة وغيرها ، لذلك كان أول ما طلبه في سجنه « سجادة للصلاة وقرآن كريم(٣) » .

★ ★ ★

الشيخ محمّد عبده

من كبار رجال الاصلاح والتجديد في الاسلام ، لا يهمنا تلخيص أفكاره في التجديد والاصلاح ، والذي يهمنا دوره في ثورة عرابي .

يذكر « الاعلام » : « ولما احتل الانجليز مصر ناوأهم وشارك في مناصرة الثورة العرابية ، فسجن ٣ أشهر للتحقيق ، ونفي الى بلاد الشام »(٤) .

لقد كان محمد عبده ، مستشار الثورة العرابية ، وما قامت الثورة الا باذنه وتوجيهه : « وفي أحد الايام اجتمع الضباط في ثكنات عابدين وأقسموا يمين الولاء لمصر على المصحف الشريف الذي

---

١ ــ الحقائق السابقة في « الثورة العرابية » د. أحمد عبد الرحيم مصطفى . وراجع لثورة عرابي الكتب التالية ايضا :

* « مؤسسو مصر الحديثة » ، ماري رولات .
* الهلال عدد ايلول ١٩٧١ ، عدد خاص عن الثورة العرابية بعد ٩٠ سنة .

٢و٣ ــ « مؤسسو مصر الحديثة » ص ٨٦ ، و ص : ٩٧ .

٤ ــ « الاعلام » جـ ٧ ، ص ١٣٠ .

كان يحمله محمد عبده ، وكف الضباط عن الجدال معه ، وراحوا يستشيرونه في أمورهم »(١) ٠

* لقد أدى الشيخ محمد دوره كاملا في ثورة عرابي ، وبخاصة حين أفتى مع اخوانه في الازهر بخلع توفيق لتعاونه مع الانجليز ، وهذه خطوة لا يقدر عليها ، ولا يقدم عليها ، الا صاحب عقيدة أحس واقعه وآلام شعبه ، وعرف أن بريطانيا تكيد بحقد صليبي على شعب عربي مسلم ٠

★ ★ ★

عبد الله النديم

عبد الله بن مصباح بن ابراهيم الادريسي الحسني ، ولد في الاسكندرية « ١٢٦١ هـ/١٨٤٥ م » وأنشأ فيها الجمعية الخيرية الاسلامية ، أصدر جريدة « التنكيت والتبكيت » مدة ، واستعاض عنها بجريدة سماها « الطائف » أعلن بها جهاده الوطني ، وحدثت في أيامه الثورة العرابية ، فكان من كبار خطبائها فطلبته حكومة مصر ، فاستتر عشر سنين ، ثم قبض عليه سنة ١٣٠٩ هـ فحبس اياما ، وأطلق على أن يخرج من مصر ، فبارحها الى فلسطين ، وأقام في يافا نحو سنة ، وسمح له بالعودة الى بلاده ، فعاد واستوطن القاهرة وأنشأ مجلة « الاستاذ » سنة ١٣١٠ هـ ٠ ونفاه الانجليز ثانية الى يافا ، ثم الى الاستانة فاستخدم في ديوان المعارف ، واستمر الى أن توفي فيها(٢) ٠

---

١ ــ « مؤسسو مصر الحديثة » ، ص : ٤١ ٠
٢ ــ « الاعلام » ، ج ٤ ، ص ٢٨١ ٠

رحم الله عبد الله النديم ، لقد عاش منفيا معذبا ، ولكن في سبيل الله ما لاقاه ، لقد دفعه دينه الى استعمال قلمه ولسانه في سبيل خدمة أمته ، فسجل له التاريخ هذا الموقف الاسلامي المجيد في ثورة عرابي ·

★ ★ ★

الشيخان

حسن العدوي ومحمد عليش

* « ثم جاءت الثورة العرابية ، فكان قائدها أحمد عرابي الصوفي المحب لاهل البيت ، وكذلك كان أصحابه كما هو معروف من تاريخهم ، وكان في مجلس القيادة الاعلى الشيخان الجليلان الصوفيان المعروفان : الشيخ حسن العدوي ، والشيخ محمد عليش كان الاول من أقدر خطباء الثورة وأشهرهم ، وكان الثاني من أمهر كتابها وأقدرهم ، ثم انتهى الامر بنفي الشيخ العدوي الى بلدته حتى مات ، واعتقال الشيخ عليش حتى انتهى الامر »(١)

* وكان تلميذهما المجاهد الشيخ محمود أبو عليان الشاذلي البصيلي ، قد ملأ مصر دعوة وجهادا »(٢) ·

* « وكذلك كان من كبار الصوفية المسهمين في الثورة العرابية « الشيخ محمد القاياتي ، والد المرحوم العارف بالله الشيخ عبد العظيم ، ومعه الشيخ أحمد القاياتي والد المرحوم الشيخ مصطفى عضو الوفد ، وغير متروك موقف السيد حسن العقاد ، الذي كان أول ثائر على ظلم الخديوي توفيق واستبداده ، فأوذي في نفسه وماله وأهله ، ونفي الى السودان »(٣) ·

---

١ ــ « المسلم » مجلة العشيرة المحمدية ، السنة ٦ ، العدد ٤ ، ذي القعدة ١٣٧٥، ١٠ حزيران ١٩٥٦ ·

٢ ــ المسلم ، ذي الحجة ١٣٧٤ ، ٢١ تموز ١٩٥٥ ، ص ٧ ·

٣ ــ المسلم ، السنة ٦ ، العدد ٤ ، ص ٧و٨ ·

* « السيد علي الغاياتي صاحب « منبر الشرق » ، اشترك في كل كفاح وطني وديني من بعد الثورة العرابية ، وخرج من مصر متخفيا في سبيل حق وطنه ودينه ، فأقام بجنيف في سويسرا يصدر « منبر الشرق » بلغة الغرب ينافح عن قضايا الوطن والعروبة والاسلام

و ينفق من صحته وأعصابه ، وذات نفسه حتى عاد الى القاهرة فأصدر « المنبر » ووهبه كل حياته وأمانيه »(١) .

* ولا يغرب عن البال الشيخ الجليل طنطاوي جوهري ، صاحب تفسير الجواهر ، الذي ناصر الحركة الوطنية ووضع كتابا في « نهضة الامة وحياتها »(٢) .



١ ــ المسلم ، العدد ٧ ، السنة ٦ ، غرة صفر ١٣٧٦ ، ٦ ايلول ١٩٥٦ .
٢ ــ الاعلام ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .

مصطفى كامل

١٨٧٤ ـ ١٩٠٨ م

*** « من المستحيل احياء الامة وانهاضها بغير الحقيقة الدينية ، لانه لا سبيل لإبادة جيش الباطل التي ألف ونظم باسم الدين الا بالدين نفسه » ٠**

مصطفى كامل[١]

* يلقب المؤرخون « مصطفـــى كامل » بباعث الحركة الوطنية ، فتبادر الى الذهن معنى هذا اللقب الحالي كما نفهمه في عصرنا ٠ والحقيقية التاريخية الثابتة، أن الحركةالوطنية التي قادهامصطفى كامل في مطلع هذا القرن كانت تعني بلا ريب : « الالتزامالديني »٠

هذا الكلام ، مع صدقه تاريخيا ، ندلل عليه بمقتطفات من آثار مصطفى كامل :

* جاء في خطابه الى جلادستون « رئيس وزراء بريطانيا » بشأن الجلاء بتاريخ ٢ يناير « كانون الثاني » ١٨٩٦ : « وفضلا عن ذلك فان تصريحا منكم في مسألة مصر ، يكون له أعظم قيمة في هذه الايام التي يحسب فيها الجم الغفير من أبناء ديننا المسلمين أنكم أكبـــر عدو رآه الاسلام ، واني مع انتظاري الجواب على كتابي هذا أرجو

---

١ ـ مرجع هذا البحثكتاب مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، لعبد الرحمن الرافعي ٠ ط ٣ ، ١٩٥٠ ، والنص في ص ٤٩٣ ٠

منكم أيها السيد المبجل أن تتفضلوا بقبول عظيم احترامي »(١) ٠

ان مصطفى كامل يتحدث باسم مسلمي مصر ، وسكان مصر يرون في احتلال بريطانيا لمصر عملا موجها ضد الاسلام : « يحسب فيها الجم الغفير من أبناء ديننا المسلمين ، أنكم أكبر عدو رآه الاسلام » !!

* وفي خطابه الثاني الى جلادستون بشأن الجلاء بتاريخ ٢٧ فبراير « شباط » ١٨٩٦ جاء ما يلي :

« ٠٠٠ هل مسلمو مصر أقل استحقاقا لرعايتك العالية من مسيحيي الارض ، أو هل أنت كما أشاعوا في بلاد الشرق عدو الاسلام ؟٠٠٠ ولقد قلت في خطبتك التي ألقيتها في شهر أغسطس « آب » الماضي : « انك لا تبغض المسلمين البتة ، فهاهم المسلمون يأتونك اليوم حيث جاءهم الدور يسألونك أن تدافع عن مصر »(٢) ٠

وفي خطابه الثالث الى جلادستون ، بتاريخ ٢٨ سبتمبر « أيلول » ١٨٩٦ ، قال مصطفى كامل : « اليوم أرى مع الاسف أنكم لا تميلون الا الى المسيحيين من بني الانسان ، أو ليس لنا حق كذلك نحن معشر المصريين المسلمين في دعواكم المؤثرة وندائكم القوي ؟٠٠٠ وان اليوم الذي تدافعون فيه عن مصر ، تستميلون اليكم لا محالة كل المسلمين الذين يعتقدون الآن أن دفاعكم عن الارمن ، انما هو تحيز للمسيحية ، ودفاع عنها ، لا عن الانسانية »(٣) ٠

* وفي خطبته بالقاهرة بتاريخ ٢٣ ديسمبر « كانون الاول » ١٨٩٨ ، بعنوان « واجبات المصريين نحو وطنهم العزيز » ، دعا الى قيام كل مصري بواجباته الوطنية ، والى نشر التعليم القومي ،

---

١ ــ مصطفى كامل ص ٦٣ ٠
٢ ــ مصطفى كامل ، ص ٦٥ ٠
٣ ــ مصطفى كامل ، ص ٧٦ ٠

وتربية النشء تربية وطنية دينية(١) .

* وفي خطبته بالقاهرة بتاريخ ١٨ ديسمبر « كانون الاول » ١٨٩٩ ، دعا الى تعميم التربية والتعليم، وجعل الدين أساس التربية الصالحة »(٢) .

* ومما قاله في الرد على حملات الصحف الاوروبية على الاسلام لمناسبة مقالات المسيو هانوتو(٣) .

« قد نطق بعض الناس أن الدين ينافي الوطنية ، أو أن الدعوة الى الدين ليست من الوطنية في شيء، ولكني أرى أن الدين والوطنية توءمان متلازمان ، وأن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا ، ويفديه بروحه وما تملك يداه ...](٤) .

واستشهد بعد ذلك بالقول : « لو نزعتم العقيدة (الدين) من فؤادي لنزعتم محبة الوطن معها » ! .

* ولما وقعت حادثة دنشواي في ١٣ يونيه « حزيران » ١٩٠٦ ، شرح مصطفى كامل القضية كما جرت بخطاب وجهه الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن فقال : « ترك ضباط من الانجليز في ١٣ يونيه الماضي معسكرهم بالقرب من دنشواي بمدينة المنوفية ، وقصدوا صيد الحمام في الاملاك الخصوصية للاهالي . فأنذر شيخ فلاح المرافق لهم بأن الاهالي قد استاءوا في العام الماضي من صيد الضباط الانجليز لحمامهم ، وأنهم ربما ازدادوا من غضبهم وسخطهم لو عادوا الى الصيد في هذا العام !

وعلى الرغم من هذا الانذار ، فان الضباط أخذوا يصطادون

---

١ ـ مصطفى كامل ، ص ١٢٩ .
٢ ـ مصطفى كامل ، ص ١٤٢ .
٣ ـ وزير خارجية فرنسا منذ ٧٥ عاما .
٤ ـ مصطفى كامل ، ص ١٤٦/١٤٧ .

وأطلقت العيارات النارية ، وجرحت امرأة(١) ، وحرق جرن فاجتمع الفلاحون من كل مكان ، ووقعت مشاجرة بينهم وبين الانجليز ، جرح هؤلاء فيها ثلاثة من المصريين ، وجرح المصريين ثلاثة من الضباط الانجليز ، وقد تخلص أحد المجروحين وهو الكبتن « بول » من المعركة وقطع بكل سرعة مسافة خمس كيلومترات ، حيث كانت حرارة الشمس بالغة ٤٢ درجة ، وسقط بعد ذلك ميتا بضربة من الشمس ! وما أن علم العساكر الانكليز بما وقع لضباطهم ، حتى هجموا على قرية سرسنا المجاورة لدنشواي ، وقتلوا فلاحا بدق رأسه » ٠

وفي يوم ٢٧ يونيه صدر الحكم بشنق أربعة من المصريين(٢) ، وبالاشغال الشاقة المؤبدة على اثنين ، وبالاشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما على واحد ، وبها لمدة سبع سنوات على ستة ، وبالحبس لمدة عام مع الجلد على ثلاثة ، وبالجلد على خمسة ٠٠٠» ٠

هذه الحادثة استغلتها الحكومة البريطانية وأظهرتها على أنها تعصب اسلامي ضد الجنود البريطانيين المسيحيين ، فقام السير ادوارد جراي (وزير خارجية انجلترا وقتئذ) ، في مجلس العموم البريطاني وتكلم عن التعصب الاسلامي في مصر ، وسأل النواب بكل رجاء والحاح ألا يشتغلوا بمسائل مصر ، ويتركوا الامر الى اللورد كرومر ٠

ولكن مصطفى كامل قال موضحا باسم مسلمي مصر : « واني

---

١ ـ المرأة اسمها : أم محمد زوجة محمد عبد النبي مؤذن القرية ٠

٢ ـ مع أن أطباء الانكليز ومن بينهم الدكتور نولن الطبيب الشرعي اعترفوا بأن الكابتن بول مات بضربة شمس ، وأن جراحه لم تكن كافية وحدها لاحداث الوفاة ومما يذكر أن صحيفة « المقطم » نشرت في ١٨ يونيه « حزيران » ١٩٠٦ ، قبل أن ينتهي التحقيق أن الاوامر صدرت باعداد المشانق وارسالها الى مكان الواقعة ، فدهش الجمهور لهذا النبأ الذي يحمل « العدالة المزعومة » بين طياته ٠

راجع مصطفى كامل ص ١٩٩

أؤكد بحق أقدس شيء في الدنيا أنه لا وجود للتعصب الديني في مصر ، نعم ان الاسلام سائد فيها لانه دين الاغلبية العظمى ، ولكن الاسلام شيء ، والتعصب شيء آخر، لقد انخدع السير ادوارد جراي في هذه المسألة ! واني أرجوه أن يفكر لحظة فيما يأتي : هل كان في مصر تعصب حقيقة ، أكانت تستطيع انجلترا أن تحاكم ٥٢ مسلما أمام محكمة استثنائية مؤلفة من أربعة قضاة مسيحيين وواحد مسلم ؟(١) » ٠

لقد أوضح مصطفى كامل تمسك الشعب باسلامه ، ولا يعاب عليه تعاطفه مع الشعوب الاسلامية الاخرى ، فهذا أمر طبيعي في كل عقيدة ، أن يفرح أبناؤها معا ، ويتألم أبناؤها معا ، وليس التعاطف تعصبنا : « ان عطفنا على الشعوب الاسلامية لامر طبيعي ولا تعصب فيه »(٢)

فمصطفى كامل يتحدث باسم المسلمين كمسلم ، يغار عليهم ، ويتعاطف معهم بشكل طبيعي ، فوطنيته التزام ديني وحب للوطن ٠

* ولما استقال اللورد كرومر بسبب نتائج « دنشواي » ، وبسبب نجاح مصطفى كامل في اثارة الرأي العام ضده ، كتب مصطفى كامل في عدد ١٢ ابريل « نيسان » ١٩٠٧ م من (اللواء) يعيب على كرومر حرمانه الفقراء من التعليم في مدارس الحكومة ، ومحاربة اللغة العربية وذكر الشعب أنه الطاعن بالدين الاسلامي في تقاريره ذلك الطعن الذي هاجت له عواطف المسلمين والمسيحيين أيضا(٣) ٠

---

١ ــ في ٢٠ يونيه (حزيران) ١٩٠٦ ، شكل وزير الحقانية بالوكالة : بطرس باشا غالي قرارا بتشكيل المحكمة ، لمحاكمة المتهمين برئاسة بطرس باشا غالي ذاتـه رئيسا ، وعضوية المستر هيتر نائب المستشار القضائي ، والمستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الاهلية ، والقائمقام لادلو ، وأحمد فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية !! ٠

٢ ــ مصطفى كامل ، ص ٢١١ ٠

٣ ــ مصطفى كامل ، ص ٢٣٧ ٠

فهو يعيب على كرومر تهجمه على الدين الاسلامي دين الاكثرية الساحقة بمصر ، ويذكر المصريين بذلك ، ليذهب الى بلاده غير مأسوف عليه ٠

* ويبدو اتجاهه الاسلامي ، وحبه لتقوية الروابط بين الشعوب الاسلامية من اصداره جريدة اسبوعية باسم : « العالم الاسلامي » عام ١٩٠٥ ، كان ينشر بها كل مايهم الاسلام من المقالات والانباء(١) ٠ وبخاصة ما تكتب الصحف والمجلات العالمية عن العالم الاسلامي(٢) ٠

** ان ما سبق من مقتطفات ، تدل دون شك على معنى الوطنية الذي حمله مصطفى كامل ، وهو لا يخلط بين الاسلام والوطنية ، ويكره أن يعاب عليه تمسكه باسلامه ودعوته الى تضامن اسلامي في اطار « جامعة اسلامية » ٠ فهو يقول في رد تهمة التعصب الديني :

« قال أعداؤنا أيضا : اننا نخلط الاسلام بالوطنية ، ونتكلم دائما عن المسلمين ، ونطلب ادخال الدين في التعليم ، وفسروا ذلك بأنه تعصب ذميم(٣) ٠

فكيف لا تكون انجلترا والمانيا متعصبتين ، وهما الدولتان المتمسكتان بالتعليم الديني في مدارسهما ونتهم نحن بالتعصب الديني ؟ لماذا يكون الانجليزي وطنيا بروتستانتيا في آن واحد ، ولا يكون المصري المسلم وطنيا ومسلما ؟ ألا تكون الوطنية صحيحة سليمة الا اذا قضت على الدين ومحبته ؟

---

١ ــ مصطفى كامل ، ص ٤٢٣ ٠

٢ ــ مصطفى كامل ، ص ١٤٥ ٠

٣ ــ وهكذا نرى أن كل حركة اصلاح أو تحرر اسلامية تقوم ، توصم بالتعصب لماذا ؟ لان التعصب يعمي عيون الصليبية الاوروبية ٠ وصف هـ٠ فشر ، في كتابه (تاريخ أوروبا في العصر الحديث) ، ص ٤١٤ حركة محمد أحمد المهدي في السودان بأنها حركة من تلك الحركات « الشرسة من التعصب الديني العنيف الذي يرج بين آونة وأخرى العالم الاسلامي » ٠ هكذا يكتب التاريخ : حركة تحرر السودان من الاستعمار البريطاني تعصب ديني ، وبقاء الاستعمار على أرض الوطن : « تسامح ديني ! « تحرر مصر « تعصب ديني » وعدم التحرر « تسامح ديني ! » هكذا كتبوا تاريخنا ، فهل نردد نحن ما يقولون كالببغاوات ؟؟!!

آلا ان الحقيقة الساطعة التي لا ريب فيها أن الوطنية والدين يتفقان ، بل وقد يكونان متلازمين ٠

نحن اذا طلبنا ارشاد أمتنا الى الحقيقة الدينية ، فما ذلك الا لان الاضاليل والاكاذيب والخزعبلات التي راجت بين العامة باسم الدين قلبت حقيقة هذا الدين ، فصار الجهل والتأخر والانحطاط وكل الآفات مما يلقى على الدين وينسب اليه والدين منه براء ٠

لذلك كان من المستحيل احياء الامة وانهاضها بغير الحقيقة الدينية ، لانه لا سبيل لابادة جيش الباطل الذي ألف ونظم باسم الدين الا بالدين نفسه ٠

« على ان بث الحقيقة الاسلامية بين المسلمين ، من أكبر الاسباب الموجدة للتسامح والتقرب من الشعوب الاخرى ، اذ لا تعصب مع علم ، ولا نفرة مع نور ورشاد ، فمن معرفة العناصر كلها أن يعرف المسلمون دينهم على حقيقته(١) » ٠

هذا هو مصطفى كامل من خلال كلماته وخطبه ورسائله ٠٠٠ لن نعلق عليها ، وندع الحقيقة تفرض نفسها على كل منصف ٠

لذلك ٠٠٠ عندما شكل مصطفى كامل « الحزب الوطني » كان من عامة مشاهيره من أهل البيت ، ومن خواص الصوفية الفاقهين(٢) ٠

★ ★ ★

سعد زغلول

« ١٢٧٣ ـ ١٣٤٦ هـ / ١٨٥٧ ـ ١٩٢٧ م » : سعد بن ابراهيم زغلول ، توفي أبوه وهو في الخامسة ، فتعلم في كتاب القرية ، ودخل

١ ـ المقتطفات السابقة ص ٤٩٢/٤٩٣ من مصطفى كامل ٠

٢ ـ المسلم ، مجة العشيرة المحمدية العدد ٤ ، السنة ٦ ، ذي القعدة ١٣٧٥ ، ١٠ يونيه « حزيران » ١٩٥٦ ٠

الازهر سنة ١٢٩٠ هـ ، فمكث نحو أربع سنوات ، واتصل بالشيخ جمال الدين الافغاني ، فلازمه مدة ، واشتغل في جريدة الوقائع المصرية مع الامام الشيخ محمد عبده سنة ١٢٩٨ هـ . ولما نشبت ثورة عرابي كان ممن اشتركوا فيها(١) .

انفرد بقيادة الحركة الوطنية وتنظيمها ما بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٢٧ ، فكان رجل مصر ، ولسانها وموضع ثقتها، وقبلة انظارها وعمل المحتلون البريطانيون على ابعاد الجمهور المصري عنه ، ففشلوا ، وهو أول سياسي هدد الانكليز بتزعم مصر للعالم العربي الاسلامي فقال : « ان مصر تملك زرا كهربائيا ، اذا ضغطت عليه لبتها بلاد العروبة جميعا » .

ألف في شبابه كتابا في « فقه الشافعية » وهو مطبوع .

فايمان سعد دفعه للعمل وللسعي للجلاء واستقلال مصر .

★ ★ ★

طال بنا الحديث عن دور الاسلام في حركة التحرر في مصر ، ونختم الحقائق التاريخية السابقة ببعض المواقف الخالدة لعلماء الازهر :

* مصطفى لطفي المنفلوطي : القائل بحق الاحتلال الانجليزي لبلاده مصر :

ألا راية للعدل في مصر تخفق   لعل مساعي دولة الظلم تخفق

وفي أثناء دراسته في الازهر هجا الخديوي عباس حلمي بقصيدة نشرت باحدى الصحف الاسبوعية ، فحكم عليه من أجلها بالحبس ، وقضى في السجن مدة العقوبة ، وروح الكفاح دفعته الى أن يكتب

---

١ ـ الاعلام ، ص ١٣١ ، ج ٣ .

في صحف عصره مقالات عديدة ، تدل على تأثره بأسلوب وطريقة أستاذه الامام الشيخ محمد عبده ٠

وانضم المنفلوطي الى سعد زغلول وانخرط بحزب الوفد بزعامة سعد ٠ وهو ايضا تلميذ من تلاميذ الافغاني ٠٠٠

لقد انخرط المنفلوطي ، الازهري المعتنق لفكرة الاصلاح كما جاء بها الافغاني وتلميذه محمد عبده ، في السياسة بمعناها في ذلك العصر ، ألا وهي العمل بكل الطاقات لتحقيق الاستقلال والجلاء ، وطرد الاستعمار البريطاني من مصر ٠

رحمه الله توفي في ١٢ تموز ١٩٢٤ قبل أن يرى حلمه يتحقق ٠

* نعود قليلا الى العالم الازهري عبد الرحمن الجبرتي ، الذي أرخ لنا فترة الحملة الفرنسية وما بعدها ، الجبرتي أول من سجل على محمد علي نوائبه ، وأحصى عليه أخطاءه ونواقصه ، فأخذ يتنقل بين المدن والقرى فارا من عذاب أليم يتهدده ، وقد تعرضت أسرته للاغتيال والحبس والاهانة ، وظل المؤرخ الكبير يخط للاجيال المقبلة كلمة سافرة حميدة دون أن يقعد به تحرش أو ارهاب ، وقد اختلفت الآراء في خاتمة حياته ، وأرجحها أنه لقي مصرعه مستشهدا في سبيل الرأي الصريح(١) ٠

* حسن العدوي : مر ذكره في الثورة العرابية، وهو عالمأزهري شهد له الزعيم المسلم أحمد عرابي في مذكراته السياسية شهادة تزن ما على الارض من ثروة ومتاع ! فقد كان وزملاؤه الازهريين في طليعة رجال المؤتمر الوطني الذي أصدر قراره التاريخي بعــزل توفيق ، وتكليف الزعيم أحمد عرابي بالدفاع عن الوطن ، بعد أن قرئت على المجتمعين فتوى أزهريةاسلامية بمروق الخديويوخيانته فكان لها أكبر الاثر في هيجان الشعور المصري ضد الحاكم الخائن ٠

١ ــ بتصرف عن « علماء في وجه الطغيان » ص ١١٤ ٠

وحين انتهت الثورة الى خاتمتها الاليمة(١) ، تقدم الشيخ العدوي الى المحاكمة بجنان ثابت ووقار مهيب ، فسأله الرئيس : هل أفتيت بعزل الجناب الخديوي ؟ فأجاب من فوره : لم تصدر مني فتوى بذلك ومع هذا ، فاذا تقدمتم الي بمنشور يتضمن هذه الفتوى فسأوقعه ، وما في وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوي يستحق العزل لمروقه عن الوطن والدين ! يقول هذا وقد شحذ الباطل أسنته وحرابه لينكل بالاحرار الباسلين، فتتضاءل في تقديره كل عقوبة ظالمة تتخيلها الاذهان ، ويرفع هامته في ساحة المحاكمة عالية شماء !

هذا العالم الازهري الورع طلب منه في أثناء زيارة السلطان عبد العزيز لمصر ضيفا على اسماعيل أن يقوم بتقليد رسمي كريــه فينحني الى الارض ثلاث مرات يأخذ فيها السلام الى رأسه ثم الى فمه ثم الى صدره ويخرج موجها صدره الى السلطان ٠ ولكنه دخل مرفوع الرأس قائلا : السلام عليكم ، ثم ابتدره بالنصيحة ودعاه الى تقوى الله والخوف من عذابه ، وهاج الخديوي ، واضطرم الغيظ في صدره ، ولكن السلطان يعجب بما يرى ويخلع على الشيــخ العدوي حلة ثمينة ويقول للحاضرين : « ليس لديكم عالم سواه»(١)

* وهناك العالم الجليل حسن الطويل العالم الازهري ، فقد كان من عزة النفس والثقة بالله على جانب رفيع ممتاز. دخل عليه رياض باشا وهو يدرس لطلابه بدار العلوم ، فما غير موقفه أو بدل جلسته وحين هم الزائر بالخروج قال له الاستاذ الشيخ : لماذا لا أكون وزيرا معكم يا باشا ؟ فدهش الزائر وقال : أي وزارة تريد ؟ فقال : وزارة المالية لأستبيح من أموالها ما تستبيحون(٣) !! وكانت لطمة قويــة

---

١ ـ « ان من جاهد جهادا شريفا في سبيل غاية شريفة ، لا يعد فاشلا ، ان اخفق»

٢ ـ « علماء في وجه الطغيان » ص : ١٥٥ ، عن « العدالة الاجتماعية في الاسلام » لسيد قطب ص ١٦٨ ٠

٣ ـ عن «أخلاق العلماء» للاستاذ محمد سليمان ص ١٨١ ٠

أليمة توجه الى حاكم ظالم ارستقراطي لم يألف في حياته التهكم والاستخفاف !!

* الشيخ النواوي ، شيخ الجامع الازهر ، « أرادت حكومة مصطفى فهمي أن تضعف القضاء الشرعي اجابة لرغبة المعتمد البريطاني ، فدعت الى تعديل اللائحة الشرعية مستندة الى نفوذ المستعمر ، ولكن الشيخ النواوي يحمل على المشروع بكلمة موجزة، فتطير في الامة كل مطير ، ويتأهب الكتاب لنقده نقدا جارحا فتتخاذل الحكومة وتؤثر الانسحاب بمشروعها الخطير(١) ٠

* وأخيرا ٠٠٠ تعالوا بنا الى العهد القريب لتعلموا ما صنع مفتي الديار المصرية السابق الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله ، فقد لطم الاستعمار لطمة قاسية، حين أصدر فتوى دينية وطنية في مقاطعة الانكليز ، فسرت مسرى النار في الهشيم ، وبددت ما نسج من الاحلام والامنيات ، ولقد كان الشيخ بخيت أكبر مفت للاسلام في عصره ، ورفض ثروة مغرية قدمت اليه حين أصدر فتوى اسلامية في وقف من الاوقاف قائلا كلمته الجليلة : « العلم في الاسلام لا يباع » ، ولعمري ان هذه الجملة الصغيرة على ايجازها العجيب ، قانون اسلامي خالد، يجب أن يتردد ويذاع ليؤمن به المسلمون ويعملوا به ٠

هذه بعض المواقف الرائعة في تاريخ الازهر ، ومن المؤسف أن يتعاون المأجورون على طمسها واخفائها(٢) ٠

★ ★ ★

وبعد ٠٠٠ ألا تغني الحقائق التاريخية عن التعليق ؟ ألا تغني الاحداث كما حدثت ، عن « تحليل علمي » نلفق به الوثائق ونحرفها

١ ـ « علماء في وجه الطغيان » ص ١١٦ ، عن مجلة الرسالة ص ١١٦٣ ، السنة ١٥ ، نقلا عن فضيلة الاستاذ فرج السنهوري ٠
٢ ـ « علماء في وجه الطغيان » ص ١١٧/١١٨ ٠

حسب الاهواء ؟ ألا تغني سيرة هؤلاء الرجال بدءا بعمر مكرم والشيخ محمد السادات ومرورا بأحمد عرابي والامام محمد عبده وعبد الله النديم ، والشيخ العدوي ، والشيخ عليش ومصطفى كامل، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ النواوي ، والشيخ محمد بخيت المطيعي ٠٠ ألا تغني سير هؤلاء عن التعليق لاظهار دور الاسلام في حركة التحرر بمصر ؟

ولكن نقول : ضاعف الله أجر وثواب مئات من العلماء الاحرار الذين جاهدوا واستشهدوا دون أن يدون التاريخ أسماءهم !! أنت أعلم بهم يا رب ، وحسبهم شرفا رضاك في جنة الخلد ٠٠



الجـــزائر

* « بالاسلام قاومنا ، وبــه انتصرنا »(١)٠

مولود قاسم

الاحتــلال :

فقدت فرنسا مستعمراتها ابان حروب الثورة ونابليون،وتنازلت لانجلترا عن بعضها نهائيا سنة ١٨١٥ ٠ لذلك يجمع مؤرخو فرنسا على أن الاستيلاء على الجزائر ، يعد نقطة بداية لاحياء السياسة التوسعية ، وتأسيس امبراطورية استعمارية ثانية ٠

والسبب الحقيقي للنزاع الفرنسي ــ الجزائري ، هو استمرار التعصب الديني ، وبعث ذكريات عهد القراصنة والجهاد في البحر كلما وقع حادث ولو بسيطا من بحارة الجزائر ، ضـد أي دولــة أوروبية ٠

« وبينما كانت الجزائر تتزعم دول المغرب في هذا الصراع ، كانت فرنسا تشعر انها زعيمة الدول الكاثوليكية في المتوسط ، وقد تأكد هذا الاتجاه في عهد شارل العاشر ١٨٢٤ ــ ١٨٣٠ ، وهــو معروف بتأييده المطلق لحزب الكنيسة ٠ ولهذا الدافع الديني شواهد

١ ــ راجع مجلة « الجيش » الجزائرية ، العدد ١٠٢ ، السنة التاسعة : رجب ١٣٩٢ هـ ، أيلول « سبتمبر » ١٩٧٢ م ، في ص ٦ وما بعدها ، حديث وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية الاخ مولود قاسم ، بمناسبة انعقاد الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي بنادي الصنوبر بمدينة الجزائر ٠

عدة : منها أن فريق الوزراء الذين تحمسوا لفكرة الاحتلال ، كانوا في الغالب من الحزب اليميني ، فمثلا عندما انقسم مجلس الوزراء على نفسه سنة ١٨٢٨ بخصوص أهداف الحصار ، دافع كليرمون دي تونير وزير الحربية عن وجهة النظر اليميني في الاحتلال في تقرير ننقل منه الفقرة التالية :

« لقد أرادت العناية الالهية أن تثأر حمية جلالتكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد أعداء المسيحية ، ولعله لم يكن من باب المصادفة أن يدعي ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين وللانسانية ، ولاهانته الشخصية في نفس الوقت · وربما يسعدنا الحظ بهذه المناسبة لننشر المدنية بين السكان الاصليين وندخلهم في النصرانية» · وعندما أقام بورمون قائد الحملة صلاة الشكر في فناء القصبة بمناسبة الانتصار ، بعث بوصف لهذا الاحتفال قال في نهايته : « مولاي ، لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطىء أفريقيا ، ورجاؤنا أن يكون هذا العمل بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في تلك البلاد » · ولم يخف المؤرخون المعاصرون هذه الحقيقة ، فوصف ادوار دريو المؤرخ الفرنسي المعروف بدراساته عن الشرق حادث الاستيلاء على الجزائر ، « بأنه كان أول اسفين دق في ظهر الاسلام »(١) ·

وفي عام ١٨١٥ أرسلت فرنسا « بيير ديفال » قنصلا الى الجزائر يحمل معه تسوية مسألة الديون المترتبة على فرنسا للجزائر ، مقابل صفقات القمح الجزائري · وتم الاتفاق على تخفيض الديون الفرنسية من ٢٤ مليون الى ٧ مليون فرنك · وقبل الداي وطلب من فرنسا عدم التدخل بينه وبين الوسطاء بعد سداد ديونها ، مقابل تعهده بتسوية جميع مطالبهم · وأرسل في آب « أغسطس » ١٨٢٦

---

١ ـ المغرب العربي ، د· صلاح عقاد ، ص ٨٦ · والجزائر أرض المعارك ، د· يهي الدين زيان ص ٥٤/٥٥ ·

عرضا بذلك الى فرنسا • ولكنه لم يتلق جوابا ، وانما أرسلت فرنسا تعليمات الى قنصلها « ديفال » لابلاغ الداي شفهيا بأن الاجراءات الفرنسية معقدة ، ويجب عليه الانتظار ، فكان هذا سببا لاثارة الداي حسين باشا ، فطلب من « داماس » وزير خارجية فرنسا سحب القنصل الفرنسي من الجزائر •

« وفي هذه الاثناء وقع حادث آخر زاد من حدة التوتر ، وهو اشتباك بين السفن الجزائرية وبعض سفن البابا التي وقعت في أسرها »(١) •

وبينما كان الداي يتوقع رد وزير خارجية فرنسا على طلب سحب ديفال ، اذ بسفينة احتجاج تصل الى شواطىء الجزائر ، ويأتي رد الوزير مطالبا برد مسلوبات سفن البابا ، والتعهد بعدم التعدي في المستقبل ، وأتبعت فرنسا الخطاب ببعض السفن الحربية لتهديد الجزائر والزام الداي بالتعويض ، فكأن فكرة استخدام القوة قد سبقت حادثة لطمة المروحة •

صدر الامر في أوائل نيسان (أبريل) ١٨٢٧ الى قاعدة طولون البحرية بارسال أربع سفن حربية الى الجزائر ، ويبدو أن ديفال قد تلقى الرسالة الخاصة بتحرك السفن في أواخر هذا الشهر ، وعلم الداي بتلقيه رسالة من حكومته ، فظن أنها تتعلق بالدَّين • ولم يكن باستطاعة القنصل أن يبرز الرسالة قبل وصول القطع البحرية وفي هذا الجو تمت المقابلة التاريخية بين ديفال والداي حسين باشا في ٣٠ أبريل « نيسان » سنة ١٨٢٧ ، وسنورد فيما يلي ملخصا للحوار الذي دار بين الرجلين حسب رواية ديفال :

بدأ الداي بالسؤال عن صحة الانباء بوقوع حرب بين انجلترا وفرنسا بسبب البرتغال ، فأجاب ديفال بالنفي قائلا : « بأن حكومته لن تتدخل بشؤون البرتغال » •

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ٨٨ •

ـ أهكذا تعطي فرنسا لانجلترا كل ما تشاء ، ولا تعطيني شيئا ؟

ـ سيدي أعتقد أن حكومة جلالته أعطتك دائما كل ما أردت ٠

ـ لماذا اذن لم يرد علي وزير الخارجية ؟

ـ لقد حملت اليك رده الشفوي بمجرد أن تلقيته ٠

ـ ولكن لماذا لم يكتب الي مباشرة ؟ هل أنا شخص تافه ، أم أنا رجل حافي القدمين ؟ انك أنت الذي تسببت في عدم الرد ، ولانك وشيت بي عند حكومتك ، أنت شرير كافر ٠

ـ ان حكومتي لن تكتب اليك أبدا ٠

ـ حينئذ نهر الداي القنصل طالبا منه الخروج،وأشاح بمروحة كانت في يده ، فمست وجه القنصل ٠

وتختلف المصادر الجزائرية اختلافا أساسيا عن تقرير ديفال ، وترميه بتزييف الحقائق ، بسبب بغضه الشخصي للداي ، فقد نفى الداي في رسائله بعد ذلك للحكومة الفرنسية واقعة الضربة ، وأن الامر لم يتجاوز التهديد بالكلام »(١) ٠

وهكذا تعللت فرنسا بالحادثة ، وحاصرت سفنها الشواطىء الجزائرية ، وطلب القائد الفرنسي صعود وزير البحرية الجزائري الى السفن الفرنسية لتقديم الاعتذار ، واعادة مسلوبات السفن البابوية ، والاعتراف لفرنسا بحق الدولة الاولى بالرعايةفي الجزائر وأخيرا ولعله الاهم ، هو تخلي الداي عما له من ديون ٠

وفي ٣٠ يناير « كانون الثاني » ١٨٣٠ اتخذ مجلس الوزراء في باريس ارسال حملة برية لتفرض شروط فرنسا على الجزائر اذا استمر الداي في موقفه العنيد ، وكان قد مضى على ضرب الحصار أكثر من سنتين ونصف ٠

---

١ ـ المغرب العربي ص ٩١ ٠ ونص المقابلة عن : Esquer chap 3

وفي ١٢ مايو « ايار » ١٨٣٠ أوضح مارتيناك رئيس الوزراء الفرنسي هدف الحملة بنقطتين :

١ ـ الثأر للكرامة الفرنسية وحماية مصالح المؤسسات الفرنسية ٠

٢ ـ اذا سقطت حكومة الداي ، فان فرنسا مستعدة لدعوة حلفائها لعقد مؤتمر دولي يناقش الوضع الجديد الذي يمكن اقامته في الجزائر لخير المسيحية جمعاء ٠

* خرجت الحملة من قاعدة طولون البحرية في ٢٥ مايو « أيار » ١٣٨٠ وقد ضمت ٣٧ ألف مقاتل علاوة على ٢٠ ألفا من رجال البحرية وكان الاسطول يتألف من أكثر من مائة سفينة حربية ، بالاضافة الى عدد أكبر من السفن التي استؤجرت للمساعدة ٠ وقد عين الاميرال « دي بيريه » قائدا للاسطول ، ولكن التعليمات تقضي بخضوعه لبورمون القائد العام في حالة الخلاف ٠

لم تنجح مقاومة الداي ، خصوصا أنه ما لاقى الفرنسيين عند النزول الى البر ، وانتظرهم في الحصون التي تحمي مدينة الجزائر اعتقادا بأنها لا تقهر ٠

سقطت حصون المدينة وأمليت على الداي شروط التسليم ٠ وفي صباح ٥ تموز « يوليو » ١٨٣٠ ، دخلت القوات الفرنسية المدينة العتيدة ، ولم يراع البند الخاص باحترام الشعائر الدينية كما نصت المعاهدة ، حينما حول الفرنسيون المسجد الكبير الى كتدرائية ٠

وهكذا انتهى عهد النيابة العثمانية ، التي عاشت نحو ثلاثة قرون ، تشهد بقوة المسلمين في الحوض الغربي من البحر المتوسط(١)

لقد تم الاحتلال الفرنسي الصليبي للجزائر ، فمن للمقاومة والتحرير ؟

---

١ ـ المغرب العربي ، ص ١٠٣ ٠

ومن لتثبيت الشخصية العربية الاسلامية ، وعدم انصهارها بالفرنسة والاندماج ؟

★ ★ ★

ـ قبل أن نتكلم عن المقاومة ، التي وقعت كلها على عاتق الاسلام نتساءل : ما هي سياسة فرنسا بعد الاحتلال ؟!

ـ « كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر بدعا في تاريخ الاستعمار كله ، اذ جاءت فرنسا تقول : ان أمة(١) عربية اسلامية جزء منها ، وان أرضا عربية اسلامية في افريقية جزء من فرنسا الاوروبية .. وسارت فرنسا على هذه السياسية التي أعلنتها، وهي ادماج الجزائر فيها ، والاستيلاء على أرض الجزائر، وهدم الدين الاسلامي، وكانت القوة هي السبيل لتحقيق هذه الاشياء جميعا »(٢) .

الدين الاسلامي هدف كبير أمام الفرنسيين ، « اذ كان الاستعمار الفرنسي استعمارا صليبيا، كما أعلنوا. ومن ثمة كانت أولى أعمالهم هدم المساجد الاثرية الرائعة وتحويلها الى كنائس ... وقف الجنرال روفيجو يشير الى الفرنسيين باختيار مسجد من مساجد الجزائر ليصير كنيسة، فأشاروا عليه بجامع «القشاوة» وهو من أجمل مساجد البلاد وأروعها ، وكان في المسجد ٤٠٠٠ مسلم ، هجم عليهم الفرنسيون وذبحوهم عن آخرهم وهم يعتصمون ببيت من بيوت الله، وفي ١٨ كانون الاول (ديسمبر) من عام ١٨٣٢ ، كان المسجد كاتدرائية الجزائر! ..ولقد حولوا غير هذا المسجد مساجد أخرى الى كنائس ، مثل مسجد « القصبة » وهو من المساجد التي ترتبط بها ذكريات اسلامية مجيدة ، وهكذا تفعل الصليبية العمياء !

---

١ ـ كثيرا ما كانت تستعمل كلمة « أمة » في الشمال الافريقي ، بدل كلمة « شعب » . وسيتكرر معنا ذلك في هذا البحث .

٢ ـ « الجزائر أرض المعارك » د. بهي الدين زيان ، ص ٤٩ .

وفي خلال هذه الحملة الصليبية على أماكن العبادة الاسلامية ، قام أحد القسس المسيحيين، وهو القس «سوشيه» يتزعم هذه الحملة الباغية ويسرف على نفسه وعلى المسيحية ، فيكتب الى ملك فرنسا عام ١٨٣٩ منوها بأعمال الحاكم الفرنسي الصليبي(١) .

انه يريد أن يضاعف عدد الصلبان والكنائس بالجزائر ، ان مولاي لا يستطيع أن يفعل ما يشاء مع رجل مثل المسيو فاليه الذي اختار أجمل مسجد في قسنطينة ليجعل منه أجمل كنيسة في المستعمرة وكانت مكافأة هذا القس الصليبي أن يصير أول راع لهذه الكنيسة التي قامت على أنقاض مسجد من مساجد المسلمين !

ويبلغ الحمق والحقد حدا كبيرا بأحد الفرنسيين ، وهو سكرتير الحاكم بوجو فيقول في الكنيسة التي قامت وسط دماء ٤٠٠٠ شهيد مسلم: ان آخر أيام الاسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح ، ونحن اذا أمكننا أن نشك في أن هذه الارض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك في أنها قد ضاعت من الاسلام الى الابد ، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا الا اذا أصبحوا مسيحيين جميعا ! » .

« ومن أجل هذه الصليبية في بلد اسلامي ، بذل المبشرون جهودا كبيرة وشجعت الادارة الفرنسية بناء المعابد اليهودية والكنائس المسيحية حتى لقد صار في الجزائر ٣٢٧ كنيسة للمسيحيين ، ٤٥ معبدا لليهود بجانب ١٦٦ مسجدا للمسلمين ليس غير ! »(١) .

وفي مجال التعليم ، فقد كان الاحتلال الفرنسي قاضيا على نهضة البلاد في هذه الناحية ، فقد حرم أهل البلاد من الثقافة والتعليم ، فلا تعليم ولا مدارس ، بل محاربة للغة العربية ، وانشاء المدارس للتبشير ، ولقد بلغت نسبة التعليم بين أبناء المسيحيين ١٠٠٪ بينما

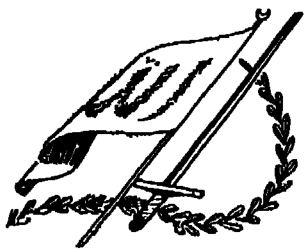
---

١ ــ الجزائر ارض المعارك ، ص ٧٤ .

بلغت هذه النسبة بين أبناء المسلمين ١٠٪ وتشرد مليونان وأربعمائة ألف طفل من أبناء المسلمين في الشوارع والطرقات ، يعمل أكثرهم ماسح أحذية أو حمالا أو بائعا جوالا ·· ويكفينا القول انه في آذار « مارس » ١٨٣٨ أصدر الفرنسيون قانونا جعلوا به اللغة العربية لغة أجنبية !·

« هذه الصورة لبعض ما فعل الاستعمار الصليبي في أرض الجزائر التي ادعى الفرنسيون أنهم جاؤوا لينشروا فيها مدنيتهم ··· وهي صورة دالة على قبح ما يصنع الاستعمار في الارض التي يحتلها ، وعلى جرائم الاستعمار في البلاد التي يدنسها ··· ولكن أهل الجزائر ·· أحفاد الابطال الذين بنوا دعائم المجتمع العربي الاسلامي ، كان لا بد لهم من أن يلقنوا الفرنسيين أعداء الحرية دروسا ، وأن ترد عليهم أعمالهم ·

فالى أبطال المقاومة ·



الأمير عبد القادر الجزائري

*** « لا يوجد الآن أحد في العالم يستحق أن يلقب بالاكبر الا ثلاثة أشخاص كلهم مسلمون وهم : الامير عبد القادر ، ومحمد علي باشا ، والشيخ شامل » ٠**
المارشال الفرنسي سوليت ١٨٤٠

* عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري ، ولد في قرية القيطنة ، من قرى ايالة وهران ، في ٢٣ رجب ١٢٢٢ هـ / أيار ١٨٠٧ م ٠ وتعلم في وهران وحج مع أبيه سنة ١٢٤١ هـ ، فزار المدينة المنورة ودمشق و بغداد(١) ٠

ولما دق ناقوس الخطر يهدد الجزائر المسلمة كلها ، فكر أهالي الايالة الوهرانية وعلماؤها في الامر ، وتداولوا الحديث حول الشخصية التي يسندون اليها أمور البلاد ، ويبايعونها بالامارة عليهم لتقيهم من شر الاحتلال الفرنسي ، وترد عنهم غائلة العدو الغاصب ، ولم يكن هناك من يستحق هذا الامر العظيم ، غير أسرة الامير وعلى رأسها والده « محي الدين » ، فاختاروه أميرا عليهم رغم تقدمه في السن ، وزاد الحاحهم عليه لسطوته الدينية عليهم اذ هو سيد الطريقة الشاذلية في المنطقة ٠

---

١ ــ راجع : ١ ــ الاعلام ، جـ٤ ، ص ١٧٠ ٠
٢ ــ بطل الكفاح الامير عبد القادر الجزائري ، يحيى بو عزيز ٠
٣ ــ الجزائر ارض المعارك ، د٠ بهي الدين زيان ٠
٤ ــ المغرب العربي ، د٠ صلاح عقاد ٠

اعتذر الشيخ محي الدين والد عبد القادر لكبر سنه ، فاتفق الوجهاء ومنهم محي الدين على تولية الفتى الذي برزت شجاعته في واقعتي « خنق النطاح » ، وفي الثانية بالخصوص ، حيث قسم جيشه الى خمسة فرق : فرقتان للقتال ، وفرقتان للدفاع ، وخامسة كمنت وراء العدو ، فاجأته عند تقهقره وابادته عن آخره ، واستولت على كل السلاح والذخيرة دون أن يصيبها أي أذى ، وكان عبد القادر في هاتين الواقعتين بطل المعركة بالمعنى الصحيح ، وأعجب به فرسانه ، حيث كان في طليعة الخطوط الامامية غير مبال بشيء حتى أن فرسه أصيبت بثماني رصاصات في الاولى ، كما أصيبت بطعنة قاتلة في موقعة « بوج راس العيون » بعدهما ٠

قُدِّم الفتى البطل لمنصب الامارة والقيادة ٠ وعقدت له في ١٣ رجب ١٢٤٨ هـ / ٢٧ تشرين الثاني « نوفمبر » ١٨٣٢ م ، ولقبه والده « ناصر الدين » ٠

ومما قاله الامير في خطبة البيعة في مسجد مدينة معسكر : وقد « قبلت بيعتهم وطاعتهم كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي اليه ، مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ٠٠٠ فلذلك ندعوكم لتتحدوا وتتفقوا جميعا ، واعلموا أن غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية ، والقيام بالشعائر الاحمدية ، وعلى الله الاتكال في ذلك كله »(١) ٠

لقد أقام الامير البطل امارة اسلامية ، لتقف في وجه الغزو الصليبي الفرنسي ، وان كنا هنا لا يهمنا سير معاركه المظفرة ضد أعدائه ، فهذه لها مجال غير هذا المجال ، بل يهمنا تنظيمه لامارته والفكر الذي قاد مقاومة الاحتلال الفرنسي !

* لقد كان لواء الامير عبارة عن قطعة من الكتان الحريري ،

---

١ ـ تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر ، ج ١ ، ص ١٠١

أعلاها وأسفلها خضراوان ، ووسطها مرسوم عليه بالذهب المزركش في صورة دائرة تامة : « نصر من الله وفتح قريب ـ ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين » . وفي وسط الدائرة صورة يد مبسوطة مطرزة بالذهب .

* أما خاتم الامير الذي كان يمهر به كتبه ، فقد نقش عليه في دائرته :

« ومن تكن برسول الله نصرتـه ان تلقه الاسد في آسادها تجم »

وفي جوانبه : « الله ، محمد ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي » .

وفي وسط الدائرة : « الواثق بالقوي المتين ناصر الدين عبـد القادر بن محي الدين » . والتاريخ : سنة ١٢٤٨ هـ .

* ضرب الامير السكة «النقود» على ثلاثة أجناس كلها من الفضة والنحاس وهي : الفرنكان ، الفرنك ، نصف الفرنك » .

كتب على وجهي الاول بالتوالي : « ومن يتبع غير الاسلام دينـا فلن يقبل منه » ، « ضرب في تاكدمت سنة ١٢٥٥ هـ » ، وعلى وجهي الثاني بالتوالي : « ان الدين عند الله الاسلام » ، « ضرب في تاكدمت سنة ١٢٥٥ هـ » ، وعلى وجهي الثالث بالتوالي : « ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا » ، « ضرب في تاكدمت سنة ١٢٥٥ هـ » .

* أما جيش الامير فقد كان منظما على غرار الجيوش الاوربية الحديثـة آنذاك . بلغ عدده في أحد الاوقات (١٥٣٠٠) خمسة عشر ألفا وثلاثمائة جندي ، مزودين بأحسن الآلات الحربية ، وأحدث الاسلحة العصرية(١) . وقد قسمه الى أصنـاف ثلاثـة : الراكبون وسماهم الخيالة ، المدفعيون وسماهم الرماة ، والمشاة وسماهم : « العسكر المحمدي » .

---

١ ـ راجع بطل الكفاح ، ص ١١٨ ـ ١٤٣ لمعرفة التنظيمات العسكرية عند الامير بالتفصيل .

لقد تمت البيعة ، تحت تأثير فكرة الجهاد الديني ، لذلك جاء جنده « عسكرا محمديا » ، وتحت تأييد من رجال الطرق الصوفية ، فكانت حكومة عربية اسلامية ، عاصمتها مدينة معسكر تاره، ومدينة تاكدمت تارة أخرى ٠

فبوازع ديني اسلامي بدأت المقاومة ، وأذاع الامير المسلم فتوى يقول فيها : « ان كل من ساعد الفرنسيين ، ارتد عن دينه »(١) ٠ لذلك لاحظ الفرنسيون أن الدعاية الدينية التي بنى الامير عليها حكمه ، كانت تهددهم ، وتمنع اتصالهم بالقبائل ٠

★ ★ ★



الامير عبد القادر الجزائري :

* اقام امارة اسلامية ، لتقف في وجه الغزو الصليبي الفرنسي

مر كفاح الامير وجهاده الاسلامي بفترة أولى امتدت من عام ١٨٣٢ ــ ١٨٣٩ ، وفيها احتل تلمسان ، واعترف له الفرنسيون بحكم غربي الجزائر عدا مدن الساحل : وهران ومستغانم ، ثم

---

١ ــ المغرب العربي ،ص ١٠٩/١١٠ ، أطلق على القبائل الخاضعة للفرنسيين المتنصرة ! ٠

تجددت الحرب ، وتجدد له النصر ، فعقدت فرنسا معه معاهدة تفنا Tafna في ٢٩ آيار « مايس » ١٨٣٨(١) ، وتخلت لـه عـن حكـم منطقة وهران ٠

فنظم الامير جيشه وجهزه بالاسلحة الحديثة ، فلم يرق ذلـك للفرنسيين فنقضوها عام ١٨٣٩ ٠ فبدأت بذلك المرحلة الثانية ، عندما حشدت فرنسا تحت قيادة بوجو : ٢٠٠ ألف جندي ، وبوجو هذا معروف بصليبيته وببغضه الشديد للمسلمين وديار الاسلام ، فكانت الاعمال الوحشية في سياسة « الارض المحروقة » ، ولا يهمنا في معرضنا هذا تفاصيلها ، ويهمنا رأي « المنصفين » فيها !!!

* وصف احد معاوني (بوجو) وهو (سنت أرنو) بعض الاعمال الوحشية ، مع كثير من الاعجاب والسخرية في نفس الوقت في مذكراته فيقول في خطاب بتاريخ ٤ أيار « مايو » ١٨٤٢ : « لقد كانت حملتنا تدميرا منظما أكثر منها عملا عسكريا ، ونحن اليوم في وسط جبال « مليانة » ، لا نطلق الا قليلا من الرصاص ، وانما نقضي وقتنا في حرق جميع القرى والاكواخ ٠٠ » ٠

وفي خطاب آخر يقول : « ان بلاد « بن مناصر » بديعة جدا ، لقد أحرقناها كلها ٠ آه أيتها الحرب ، كم من نساء وأطفال اعتصموا بجبال الاطلس المغطاة بالثلوج ، فماتوا هناك من الجوع والبرد ، وليس في جيشنا سوى خمسة من القتلى وأربعين جريحا »(٢) ٠

وقد أثار بعض النواب في المجلس الفرنسي مسألة هذه الحرب الوحشية ، وذلك على أثر حادثة « ولد رياح » الذي ذهب ضحيتها ألف من الانفس ، وكانوا قد التجأوا الى بعض الكهوف فرارا من جند الغزو ، فانقض بلسيبيه عليهم وأوقد النار على أفواه الكهوف ،

---

١ ـ معاهدة تفنا في تاريخ ٦ ربيع الاول ١٢٥٤ هـ ـ غرة أيار ١٨٣٨ ص٦٠ في « بطل الكفاح » ٠

٢ ـ المغرب العربي ص ١٢٧ ، عن :
Saint — Arnoud — Souvenir de L'armée d' Afrique .

فمات جميع من فيها اختناقا • وكان جواب رئيس الحكومة المارشال سولت على هذا النقد هو أن هذه الاعمال قد تكون وحشية لو أن الحرب كانت في أوروبا ، أما في أفريقيا فهذه هي الحرب بعينها •

وهنا نقول : أين هذه الوحشية ، وهذه الابادة من آداب الجهاد والحروب الاسلامية ؟ أين هذا من آداب الجهاد التي رسمها سيدنا أبو بكر الصديق في وصيته لجيش أسامة ؟؟!!

وكان لا بد أمام حرب الابادة ، والوحشية التي انتهجها الجيش الفرنسي الكثيف ، وأمام حقد وعنف (بوجو) ، وأمام موت النساء والاطفال والعُزّل ، من التفكير بايقاف الحرب ، لقد تناقص عدد سكان الجزائر من ٤ الى ٣ مليون في مدى سبع السنوات الاولى من الاحتلال •

كان لابد من ايقاف الحرب بعد أن هادن سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام الفرنسيين عندما هددوه باستعمال القوة ، فتعهد أن يتخلى عن مناصرة الامير واخراجه من بلاده التي لجأ اليها ، فعاد الامير الى الجزائر ، وعادت المقاومة ، ولما ضعف أمر الامير، فاشترط شروطا للاستسلام رضي بها الفرنسيون ، واستسلم سنة ١٢٦٣ هـ /١٨٤٧ م ، فنفي الى تطوان ، ومنها الى « أنبواز » حيث أقام نيفا وأربع سنين ، وزاره نابليون الثالث فسرحه ، مشترطا ألا يعود الى الجزائر ، فزار باريس والاستانة ، واستقر في دمشق سنة ١٢٧١ هـ وتوفي فيها عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م(١) •

★ ★ ★

ان حرب التحرير لم تقف بعد استسلام الامير • اذ حمل الراية رجال صادقون ايضا ، وظلت مرفوعة في أيديهم :

* لقد سجلت واحة «الزعاطشة» صفحة مجيدةفي تاريخالمقاومة

---

١ ــ الاعلام ، ج ٤ ، ص ١٧٠ •

الاسلامية ، خلال هذه الحقبة ، وتقع هذه الواحة على بعد ٢٠ كيلو متر جنوب بسكرة ، وكان يحكمها أحد رجال الطرق الصوفيـة ، ويدعى « بوزيان » • أقفل الواحة في وجه الفرنسيين ، واستطاعت هذه الواحة الصغيرة رد الطوابير التي أرسلت اليها حتى اضطرت السلطات الى حشد ٧ آلاف جندي ، في حملة كبـيرة تحت قيـادة الجنرال « دي هربيون » لمحاصرة الواحة التي لايزيد سكانها على ثلاثة آلاف •

وبعد حصار دام أربعة أشهر ، استطاع الفرنسيون اقتحـام أسوارها الحصينة ، واستمات السكان في الدفاع عن مساكنهم ، مما أثار القائد الفرنسي فأمر باحراق المنازل بعد اقفالها علـى السكان ، وبهذه الطريقة ، فقد ١٥٠٠ شخص حياتهم في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٩ م(٢) •

وفي واحتي ورغلة والاغواط ، ظهر زعيم ديني آخر يدعى محمد ابن عبد الله ، أتى من طرابلس وطلب الى سكان الواحتين أن يتبعوه باعتباره أحد الاشراف وقد قضت فرنسا عليه ، عندما بدأت تدرك أهمية الصحراء الكبرى من الناحية الاقتصادية ، وباعتبارها طريق التجارة بين السودان والبحر المتوسط •

* وفي عام ١٨٦٤ قامت ثورة ولد سيدي الشيخ ، ثم ثورة الحاج محمد المقراني والشيخ محمد الحداد في جبال الجرجرة ، وشملت هذه الثورة بلاد زوادة ومقاطعة قسنطينة والجزائر • وذلك عـام ١٨٧١ م •

وسببت الثورة ، تردد أنباء هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في حرب عام ١٨٧١ م • فاستغل الحاج محمد بن أحمد المقراني الظـروف ووجدت الثورة لها انصارا من بين أتباع الطريقة الرحمانية ، وقد

---

١ ــ المغرب العربي ، ص ١٣٤ •

انتشرت هذه الطريقة في بلاد القبائل في الخمسينات من القرن التاسع عشر على يد الشيخ علي الحداد ، ويعزى انتشارها الى أنها كانت رد فعل لنشاط المبشرين الذين ركزوا جهودهم في بلاد القبائل ، ظنا منهم أن اسلام البربر ما زال سطحيا ، وأنهم بالتالي بيئة أصلح للتبشير من البيئة العربية ٠ « وقد نجح الحداد في التأثير على أتباعه الذين عرفوا بالاخوان ، الى حد أن رابطة الطريقة أصبحت مقدمة على رابطة القبيلة ، واذن كان الدين من بين عناصر الثورة الاولى(١) ٠

سيطرت هذه الثورة على ثلثي أراضي الجزائر ، وعزلت جميع الحاميات الفرنسية في المنطقة ، وقدر عدد الذين اشتركوا في هذه الثورة بنحو ١٥٠ ألفا ، منهم ١٢٠ ألفا من الاخوان الرحمانية ٠

ومع أن هذه الثورة صادفت ظروفا سيئة في فرنسا ، الا أن عمرها كان قصيرا ، ذلك أن بسمارك لسياسة عليا أوروبية ، رأى أن يخفف الهزيمة عن فرنسا ، فأطلق عددا كبيرا من الاسرى ، ليساعدها على قمع ثورة الجزائر ، ولسوء حظ الثورة الجزائرية وقع الحاج

---

١ ــ ص ١٣٧ المغرب العربي ، عن Rinn المرجع التقليدي لثورة ١٨٧١ ، مع كتاب أحد الضباط الذين اشتركوا في قمع الثورة وهو : Robin

٠ ومما يذكر أن الجزائر شهدت خلال عامي ١٨٦٧/١٨٦٨ مجاعة مخيفة ، راح ضحيتها ٣٠٠ ألف جزائري مسلم حسب التقدير الرسمي الفرنسي ، وهو أقل بكثير من الحقيقة ، ومما يثبت صحة هذا الاستنتاج هو أن معظم الذين ماتوا جوعا لقوا حتفهم أثناء محاولة العودة من الاقاليم المجدبة الى السهول الشمالية الخصيبة التي طردوا منها وكان قد سبق هذه المجاعة ببضع سنين انتشار وباء الكوليرا الذي أصاب عددا كبيرا من السكان الاصليين ، وهم المنتجون الحقيقيون في الجزائر ، ويرتبط بهذا الحادث المؤسف ازدياد نشاط الحركة التبشيرية التي تحمس لها الاب لافيجيري أسقف الجزائر في ذلك الوقت ، فقد انتهز الفرصة ، وجمع الاطفال الذين فقدوا عائليهم وجعلهم يشبون على دين آخر غير الذي كان عليه دين أبائهم ، ومن هؤلاء الجزائريين الكاثوليك كون الاب لافيجيري طبقة جديدة من المبشرين ، عرفت بالاباء البيض ، وانتشرت في بلاد البربر ٠ أما الحكومة الفرنسية فانها بدل أن تقوم بعمل حاسم وهو ارسال المؤن لتجنب الكارثة ، بعثت بلجنة من مجلس الشيوخ للتحقيق في أسباب المجاعة ! ٠
المغرب العربي : ١٥٦ ٠

محمد المقراني صريعا في المعارك الاولى ٢ أيار « مايو »١٨٧١ ، ولم ينته هذا الشهر حتى كان زعماء القبائل يفاوضون في التسليم ٠

أما بو مرزاق المقراني الذي خلف أخاه في زعامة الثورة فكان أشد مراسا ، ظل يناضل حتى كانون الثاني « يناير » ١٨٧٢ ، فبعد أن تم اخضاع القبائل ، انتقل الى الواحات الجنوبية ، فلما تبعه الفرنسيون اليها ، خرج الى الصحراء مع من بقي من أتباعه ، واستمروا يتجولون فيها الى أن أهلكهم الجوع والعطش حتى التقطتهم دورية فرنسية ٠

وكان لهذه الثورة نتائج بعيدة بالنسبة للجزائر عامة وبلاد القبائل خاصة ٠ فقد شهدت أكبر محاكمة من نوعها في ظل الاحتلال نظرت فيها المحاكم الجديدة التي لعب فيها المستوطنون دور المحلفين ، مما أبرز صفتها الانتقامية ، وقد هدفت الاحكام لضرب مثل رادع للوطنيين حتى لا تحدثهم أنفسهم بأية ثورة أخرى ، فصدرت أحكام الاعدام على ستة آلاف من الثائرين ، ثم خفف الحكم على بعضهم بالنفي الى جزيرة كاليدونيا الجديدة(١) ٠ ومن بين هؤلاء بو مرزان وأسرة الشيخ الحداد ٠

كما فرضت فرنسا على الثوار غرامة قدرها ٣٦ مليون فرنك ، فلما عجزوا عن دفعها صادرت أملاكهم وأجلتهم عن أرضهم، وأعطتها لمهاجرين من الالزاس واللوريين(٢) !!

★ ★ ★

ومن أحداث عامي ٧٠/ ١٨٧١ وصول محي الدين بن الامير عبد القادر الجزائري الى الجزائر سرا ، وقيامه بثورة هناك ، ولوصوله الى الجزائر قصة ، نعرفه قبل ذكرها :

---

١ ــ وهي مستعمرة فرنسية في جنوب المحيط الهادي ، وكان عدد المنفيين اليها ٥٠٠ من كبار الثوار ٠

٢ ــ ص ٨٩ ، الجزائر أرض المعارك ، د٠ بهي الدين زيان ٠

هو محي الدين بن الامير عبد القادر بن محي الدين الجزائري الحسني ، ولد في ٣ ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ باقليم الجزائر ، حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو ابن ثمان سنين وشهور ، وأقبل على حفظ المتون في أنواع العلوم ، ما بين منظوم ومنثور ، ثم قرأ فقه المالكية على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المغربي وعلى غيره من العلماء الاخيار ، وقرأ جملة من الفنون على الفاضل الدمشقي الشيخ محمد الجوخدار ،وقرأ على الشيخ محمد الطنطاوي الازهري الكتب الكثيرة في أنواع العلوم ، وحضر على والده الامير عبد القادر الحديث والتوحيد ، وأجازوه جميعا بما تجوز له روايته من منثور ومنظوم(١) ٠

وفي سنة ١٢٨٩ هـ/ ١٨٧١ م وقع بين فرنسا وألمانيا قتال ، ولما آل النصر لالمانيا في الاشهر الاولى خطر ببال الشيخ محي الدين بن عبد القادر ، أن الحرب ستطول بين الدولتين،فلماذا لاينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر وظلم الاحتلال ؟ ٠ فتوجه بقصد الزيارة الى الديار المصرية ٠ وحينما وصل الى مدينة الاسكندرية ، توجه منها الى تونس ، ولم يعلم أحد نيته الخفية ٠ فأكرمه حاكمها صادق باشا ، ولما شاع ذكره في ذلك القطر ، لم يتمكن من التوجه الى الجزائر ، فحرر لرؤساء الجزائر نحو مائتي كتاب ، لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا عند قدومه ٠ وأرسلها من تونس مع الرسل خفية ٠ ثم ودع الباشا مظهرا له قصد الرجوع الى الديار الشامية ، فتوجه الى مالطا ، وحين وصوله اليها أخفى نفسه وتنكر ، ولبس لباس الدراويش ، وظهر في غير ذلك المظهر المعهود ، وتوجه الى طرابلس الغرب،فحينما وصلها أرسل ثقله مع بعض الناس الى مدينة قابس ، وتوجه هو برا متكبدا المشقات لم يكن على مثلها

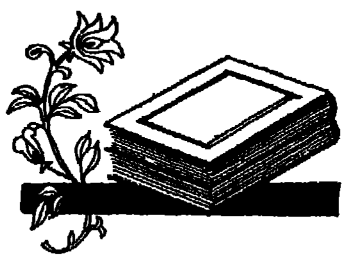
---

١ ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق حققه ونسقه وعلق عليه حفيده الاستاذ محمد بهجة البيطار طبع ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م راجع ص ١٤٢٣ ٠

بممارس ، الى أن وصل الى بلاد الجريد ، قرب حدود الجزائر ، وهناك أظهر نفسه للناس ، ولم يخش على نفسه من بأس ٠

لما وصلت كتب الشيخ محي الدين بن الاميرعبد القادر الى رؤساء الجزائر من تونس ، استبشروا ولم يعد لهم صبر لانتظار قدومه ، فتراسلوا واتفقوا على اظهار الثورة ضد المستعمر الفرنسي ٠ وبالفعل نشب القتال في كل مكان ، فلما وصل اليهم بايعوه على السمع والطاعة ، ووقعت بينه وبين الجيش الفرنسي معارك عديدة ما عدا التي وقعت بأمره في عدة أماكن ولم يحضرها ٠ وحقق نصرا في عدة مواقع في شرق الجزائر وقرب الحدود التونسية ٠

ولكن الحرب الفرنسية الالمانية ، انتهت ، وتصالح الطرفان ، فركزت فرنسا جهودها لاحداث الجزائر ، ونقلت الجيوش الفرنسية التي شغلت في أوروبا بحرب ألمانيا ، الى الجزائر ، فاستطاعت انهاء ثورة الشيخ محي الدين بن عبد القادر ، فانسحب الى الشام ثانية ٠



العلامة الثائر

الإمام عبد الحميد باديس

* شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال : حاد عن أصله
أو قال : مات ، لقد كذب
أم رام ادماجا له
رام المحال من الطلب
فاذا هلكت فصيحتي :
تحيا الجزائر والعرب

ابن باديس(١)

أرادت فرنسا أن تصير الجزائر جزءا منها،وأن تمسخ شخصيتها العربية الاسلامية ، وتحولها الى مقاطعة من المقاطعات الفرنسية ٠٠ وفي سبيل ذلك أخذ الفرنسيون يشرعون ٠٠٠ فأصدروا قانونا عام ١٨٣٤ جعلوا بموجبه الجزائر أرضا فرنسية ، يعين عليها حاكم فرنسي عسكري ، يخضع لوزير الحربية الفرنسي مباشرة ٠

وفي عام ١٨٤٨ أصدروا قانونا صيروا به الجزائر جزءا مكملا لفرنسا ، وفي عام ١٨٦٥ صدر قرار من مجلس الشيوخ الفرنسي يجعل الجزائريين المسلمين فرنسيين ، وفي عام ١٨٧٠ صدر قانون جعلوا به الجزائر مؤلفة من ثلاث مقاطعات فرنسية ، وفي عام ١٨٧١

١ ـ مرجعنا لهذا العلامة الثائر ، والمصلح الكبير ، كتاب ابن باديس : حياته وآثاره في أربعة أجزاء ، طبع دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ٠ اعداد وتصنيف الاستاذ عمار الطالبي ٠

صدر قانون تعين بمقتضاه فرنسا حاكما مدنيا يخضع لسلطة وزير الداخلية الفرنسي ..

لقد هدفت هذه التشريعات الى محو الشخصية العربية الاسلامية الجزائرية بالقوة ، وجعلها مقاطعة فرنسية دون أي نظر لرأي أهلها فيما صدرت من تشريعات ..

لذلك، كانت الجزائر تنتظر شخصية كشخصية ابن باديس، تقوم بدور ثوري ، يعبر عما يختلج في النفوس من قلق وأمل ، ويضيء الطريق أمام الحائرين ، ويجمع الشتات ، ويوجه الطاقات ، ويحيي الشخصية الاسلامية التي أتاها البلاء من كل مكان ، وأصابها القرح وتكالبت عليها ذئاب الغرب ، وهكذا جاءت الايام بالمولود الجديد ، منقذ الامة وقائدها ، لصنع مصيرها ، وخلق تاريخها .

* ولد عبد الحميد بن مصطفى بن مكي بن باديس في سنة ١٣٠٨ هـ/كانون الاول « ديسمبر » ١٨٨٩ م .

من أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه ، وكانت منذ القدم ذات نفوذ ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الاسلامي ، وتنتمي هذه الاسرة الى الطريقة القادرية .

حفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد المداسي ، وأتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره ، فانتقى له والده الشيخ أحمد أبو حمدان لونيسي المنتمي الى الطريقة التيجانية ، فعلمه العربية ، والمعارف الاسلامية ، ووجهه وجهة علمية أخلاقية .

انتسب الى جامع الزيتونة عام ١٩٠٨ ، وعمره اذ ذاك تسعة عشر عاما ، فأخذ عن كبار العلماء الثقافة الاسلامية ، أمثال الشيخ محمد النخلي القيرواني ، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور(١) ،

---

١ ــ ولد بتونس سنة ١٢٩٦ هـ / ١٨٧٩ م ، تولى منصب قاضي القضاة سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣١ م ، ومشيخة الجامع الاعظم ، فرفع من شأنه الجامعة الزيتونية ، وأقام بها نهضة علمية استفادت منها كثير من البلدان الافريقية ، وهو عضو مجمع اللغة العربية وبالمجمع العلمي بدمشق ، من كتبه : أصول النظام الاجتماعي في الاسلام

والشيخ الخضر بن الحسين ، والشيخ أبو محمد بلحسن ابن الشيخ المفتي محمد النجار • والشيخ محمد الصادق النيفر،وسعد الفياض السطايفي المصلح المجدد ، ومحمد بن القاضي ، والبشير صفر المؤرخ المجدد ••• وغيرهم كثير •



العلامة الثائر عبد الحميد بن باديس :

• رئيس جمعية العلماء المسلمين .
ـ أحيا الشخصية العربية الاسلامية في الجزائر •
ـ منقذ الجزائر وقائدها ، صنع مصيرها . وحدد سير تاريخها المعاصر •

كان اتصاله شديدا قويا وعميقا ومؤثرا بالشيخ محمدالطاهر بن عاشور ، والشيخ محمد النخلي اللذين كانا زعيمي النهضة الفكرية والعلمية والاصلاحية في الحاضرة التونسية ، لانهما كانا من أنصار أفكار جمال الدين ومحمد عبده الاصلاحية •

ومن زملائه العلماء الافاضل : الشيخ الشهيد : العربي التبسي الذي اختطفه المستعمرون الفرنسيون في آذار « مارس » ١٩٥٧ أثناء الثورة ، وغاب عن الوجود من ذلك التاريخ رحمه الله ، والشيخ

البشير الابراهيمي(١) ، والشيخ العقبي ، والشيخ مبارك الميلي ·

« وعوامل تكون شخصية ابن باديس :

١ ــ أسرته وأبوه بخاصة فهو من أسرة ذوي فضل وخلق اسلامي ومن حملة القرآن الكريم ·

٢ ــ المربون المعلمون الشيوخ الذين نموا استعداده ، وتعهدوا توجيهه ·

٣ ــ القرآن الكريم الذي كرس له ربع قرن من حياته ، فهذب القرآن كيانه ، واستولى على قلبه ، فاستوحاه في منهجه طوال حياته ، وترسَّم خطاه في دعوته ، وناجاه ليله ونهاره يستلهمه ويسترشده · ويتأمله فيعب منه ويستمد علاج أمراض القلوب ، وأدواء النفوس ويذيب نفسه ، ويبيد جسمه الهزيل في سبيل ارجاع الامة الجزائرية الى الحقيقة القرآنية ، ومنبع الهداية الاخلاقية ، والنهوض الحضاري وكان كل همه أن يُكوِّن رجالا قرآنيين يوجهون التاريخ ويغيرون الامة ولذلك فانه جعل القرآن قاعدة اساسية ترتكز عليها تربيته وتعليمه للجيل(٢) » ·

* وفي ٥ أيار ١٩٣١ تأسست « جمعية العلماء المسلمين » في نادي الترقي بعاصمة الجزائر ، واتفق على أن يتولى عبد الحميد بن باديس رئاستها ، وهو غائب عن أول اجتماع لهذه الجمعية ·

وفي ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م كانت تضم جمعية العلماء المسلمين في مجلسها : الشيخ عبد الحميد بن باديس « الرئيس » ، الشيخ البشير الابراهيمي ، الشيخ عبد القادر بن زيان ، الشيخ العربي التبسي ، الشيخ الامين العمودي ، الشيخ مبارك الميلي ، الشيخ الطيب العقبي الشيخ السعيد الزهراوي ، الشيخ محمد خير الدين ، الشيخ يحيى

---

١ ــ لنا حديث عنه مفصل بعد صفحات ·

٢ ــ ابن باديس ، ص ٧٩/٨٠ ، ج ١ ·

حمودي ، الشيخ أبو اليقظة(١) ٠

أصدر الشيخ جريدة « المنتقد » ، حاربت بدع غلاة الصوفية ، والمتصوفة السلبيين، شعارها جريء، خصوصا في تلك الفترة العسيرة التي أبغض ما كان فيها للاستعمار الفرنسي كلمة « الحق » وكلمة « الوطن » ، وهما الكلمتان الاساسيتان في الشعار : « الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شيء » ٠ والحقيقة أن صدور مثل هـذه الصحيفة في مثل تلك اللهجة الصريحة الصادقة العنيفة ، هي المغامرة في ذلك العهد القاسي المظلم(٢) ٠

كما أصدر الشيخ بعد « المنتقد » [الشهاب] ٠ حيث تغيرت بعض الشعارات بسبب اليأس من فرنسا ، فأصبح شعار آخر يؤمن بأن الحقوق لا تعطى ، وانما تؤخذ غلابا ٠ قال الشيخ : « فازاء هـذا رأينا أن من الواجب علينا أن نعلن لشعبنا أن لا نعتمد الا على أنفسنا و نتكل على الله » ٠

هذا التغيير كان في سنة ١٩٣٧/١٣٥٦ ٠ واستمر الى اول الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩/١٣٥٨ م ٠

* لقد قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، بنشاط صحفي ٠ فأسست « السنة » في ٨ ذي الحجة ١٣٥١ هـ/١٩٣٣ ٠ منعتها الحكومة الفرنسية في ١٠ ربيع الاول ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣ م ، فخلفتها جريدة « الشريعة » بتاريخ ٢٤ ربيع الاول ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م ٠ ولم تلبث أن صودرت ٠ خلفتها جريدة « الصراط » في ٢١ جمادى الاولى ١٣٥٢هـ/١١ سبتمبر « ايلول » ١٩٣٣، فعطلت

---

١ ـ وقد جمعتهم صورة واحدة في نادي الترقي ، ص ٥٤٣ ، ج ٢ من ابن باديس ٠

٢ ـ والطريف أنه مهد لهذا الشعار بعبارة غير رسمية عنده وهي : سعادة الامة الجزائرية ، بمساعدة فرنسا الديمقراطية ٠

فأسس العلماء « البصائر » في ١ شوال ١٣٥٤ هـ /٢٧ كانون الاول « ديسمبر » ١٩٣٥ ٠٠ انقطعت بسبب الحرب العالمية الثانية ، ثم ظهرت في يوم الجمعة ٧ رمضان ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ ٠ واستمرت الى أن توقفت أثناء الثورة الكبرى ، ثورة تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٥٤ ، وذلك في ٦ نيسان « ابريل » ١٩٥٦ م ٠

ومن هنا تتبين لنا حقيقة ، وهي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس جمع بين النهضة الثقافية الاجتماعية وبين النهضة السياسية ، بين التربية الاسلامية وبين الصحافة ، ومما يؤكد هذه الحقيقة ، أنه صرح في محاضرة ألقاها في تونس في ذكرى البشير صفر حيث قال : « لا بد لنا من الجمع بين السياسية ، والعلم ، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض ، الا اذا نهضت السياسة بحق »(١) ٠

لقد اتخذ ابن باديس النشاط الصحفي وسيلة للسياسة والتهذيب كما اتخذ المؤسسات التربوية للتعليم والتربية ، وتكوين القادة، وبث الوعي ، والواقع اننا لا نستطيع أن نفصل بين نشاطه العلمي والسياسي ، فهما متداخلان متكاملان في نظره وعمله ٠

وفي أوائل سنة ١٩٤٠ صرح في اجتماع خاص مقسما فقال : « والله لو وجدت عشرة من عقلاء الامة الجزائرية يوافقونني على الثورة لاعلنتها »(٢) ٠ قال ذلك في سهرة في بيته بمبنى جمعية التربية والتعليم الاسلامية ، بحضور الاستاذ علي مرحوم ، وعبد الحفيظ جنان ٠ وقال : « وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف ، وما غايتنا من عملنا الا تحقيق الاستقلال » ٠

وحينما حمي وطيس الحرب العالمية الثانية ، اجتمع به جماعة من أنصار حركته ومريديه فقال : « عاهدوني » ، فلما أعطى له

١و٢ ـ ابن باديس ، ص ٨٨ جـ ١ ٠

العهد بالمصافحة قال : « اني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها ايطاليا الحرب » .

وقال الشيخ أحمد حماني : « كان يريد الخروج على فرنسا الى جبال أوراس ليعلنها ثورة على فرنسا لو وجد رجالا يساعدونه ، وأعلن رأيه في الاستقلال وتنبأ به : « ان الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم ، والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ، ويقولون ان حالة الجزائر الحاضرة ستدوم الى الابد ... ستصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر » .



جوانب من شخصيتـه :

* لقد كان ابـن باديس مناظرا مفحما ، وعربيا بناء ، ومؤمنا متحمسا ، وصوفيا والها ومجتهدا يرجع الى اصول الايمان المذهبية ، ويفكر في التوفيق بين هذه الاصول توفيقا غرب عـن الانظار ، ابان العصور الاخيرة للتفكير الاسلامي » •

مالك بن نبي

* ان شخصية الاستاذ عبد الحميد بن باديس غنية ومعبرة عن أزمة المجتمع الاسلامي ، لا تماثلها الا شخصية جمال الدين الافغاني في ثرائها ، وشمولها ، وجرأتها ، وتعبيرهـا عـن جميـع جوانب المشكلات الاجتماعية والاخلاقية والدينية والسياسية التي يتخبط فيها العالم الاسلامي •

فهو مفسر راعى مقتضيات العصر ، محدث من الطراز العـالي ، شاعر يفيض الشعر من قلبه ، خطيب لا يتلعثم ولا يتردد ، يستولي على النفوس ، ويملك العقول ، فقيه مطلع على مدارك المذاهب ، مصلح ديني واجتماعي يحارب التقليد والبدع ، ويدعو للنهضة والحضارة ، ويغرس الجد وأصول الاخلاق ، صحفي قدير يقضي ليله في اعداد المقالات والمطالعات بالعربية والفرنسية ، مؤرخ يحلل الحضارة ، صوفي زاهد لا كمتصوفة أهل زمانه وزهادهم ، متأثـر

بالغزالي ، ويسمي كتابه « احياء علوم الدين » بكتاب الفقـــه النفسي .

ان شخصيته عجيبة ، مجدد للنفوس البالية ، وباعث للضمانـر الخامدة ، وللقلوب الخامدة ، باث العلم ، محرك العقول ، مرجع الثقة للناس ، زارع بذور الثورة ، مشيع فكرة الحرية ، مبين المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ، فانكشفت به الغياهب الدكناء، وانجابت الغيوم الكثيفة والضباب العاتم من سماء الجزائر ، واستمر يواصل النضال العلمي والاجتماعي والسياسي يعلم ، ويرشد ، ويعظ ، ويحرر ، ويتنقل ، ويتعبد ، ويتأمل ، ويحقق ، لا يهدأ له بال ، لا بالليل ولا بالنهار ، لم يشفق على نفسه ولا على جسمه ، ولـم يبال بصحته في سبيل مبدأ أعظم ، وأمة يسوء حالها ، ويدفعه للبذل والسهر مآلها وآماله وآمالها ، أفنى ذاته في سبيل العقيدة ، وقضى من أجل رسالة ، فجاءه الاجل المحتوم وانتقل للرفيق الاعلى في مساء الثلاثاء ٨ ربيع الاول ١٣٥٩ هـ ، ١٦ نيسان « ابريل » ١٩٤٠ م. فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته ، وكان يوما مشهودا في ظروف قاسية وأزمة عالمية(١) ، هي الحرب العالمية الثانية .

من آرائه :

* « لن يصلح المسلمون الا اذا صلح علماؤهم ، لانهم بمثابـة القلب للامة ، ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم ... ولـن يصلح التعليم الا اذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله ، وموضوعه في مادته وصورته(٢)» .

* « ان التدهور الاجتماعي راجع الى عدم تطبيق الاسلام ، والى انفصال الانسان المسلم عن الحقيقة القرآنية » .

---

١ ــ ابن باديس ، ص ٩٥ . ج ١ .
٢ ــ ابن باديس ، ص ١٠١ ، ج ١ .

* « العلم قبل العمل ، ومن دخل العمل بغير علم ، لا يأمن على نفسه من الضلال » • ويرى أنه لا سبيل الى محو البدع والضلالات الا بالعلم والعمل ، واظهار الاسلام بسلوكنا في الحياة ، أمام الناس في مظهره الصادق الصحيح ، ويرى أن المنهج الذي نجح به المسلمون الاولون في تغيير العالم ، انما هو سلوكهم وتطبيقهم الاسلام على أنفسهم وغيرهم في الحياة •

* غرس ابن باديس في نفوس النشء أن خدمة الوطن تأتي في الدرجة الاولى ، ثم تأتي خدمة الوطن المغربي ، ثم العربي الاسلامي ثم الانسانية العام ••• وخاطب من اجتمع عنده من الشباب المتعلمين تعليما أوروبيا ناصحا : « عليكم أن تلتفتوا الى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه ، بما عندكم من علم ، وبما اكتسبتم من خبرة ، محافظين لها على مقوماتها سائرين بها في موكب المدنية »(١) •

★ ★ ★

رأيه في تعليم المرأة :

نصح العلامة ابن باديس بتكوين المرأة تكوينا يقوم على أساس العفة وحسن تدبير المنزل ، والنفقة والشفقة على الاولاد ، وحسن تربيتهم ، وحمل مسؤولية جهل المرأة الجزائرية أولياءها • والعلماء الذين يجب عليهم أن يعلموا الامة رجالها ونساءها ، وقرر أنهم آثمون اثما كبيرا اذا فرطوا في هذا الواجب ، واستدل على وجوب تعليم المرأة بالعموميات القرآنية الكثيرة الشاملة للرجال والنساء وبأحاديث شريفة ، ومذهبه أن الخطاب بصيغة التذكير شامل للنساء الا بمخصص من اجماع أو نص أو ضرورة طبيعية ، لان النساء شقائق الرجال ، ولا خلاف بين اللغويين والاصوليين في أنه اذا ما

---

١ ـ ابن باديس ، ص ١١٨ •

اجتمع النساء والرجال ، كان الخطاب بصيغة التذكير على طريقة التغليب »(١) .

مواقفه ازاء مقاومة الاستعمار للتعليم :

انه لا يكفي المجال لاستعراض تاريخ ابن باديس عن الحركة التعليمية ، وجهاده التربوي الذي وقف حياته كلها عليه . لقد تعرض لاضطهاد الاستعمار ومطاردته وعراقيله ، ولكنه ثبت ثبات الرجال أصحاب المبادىء ، لما يتسم به من التفاؤل واليقين بأن العاقبة له ، وللأمة الجزائرية ، معتقدا أن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم محاولة فاشلة . وحين اراد الاستعمار منعه من التعليم ، كتب مقالا تحت عنوان : « بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة » . وحين صدر قانون ٨ آذار « مارس » ١٩٣٨ م بمنع التعليم ، كتب مقالا آخر تحت عنوان : « يا لله للاسلام والعربية في الجزائر كل من يعلم بلا رخصة يغرم ، ثم يغرم ثم يسجن » ، وأعلن فيه عزمه على المقاومة بكل قوة قائلا :

« واننا نعلن لخصوم الاسلام والعربية : عقدنا على المقاومة المشروعة ، عزمنا وسنمضي بحول الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا ، ولن يصدنا عن ذلك شيء ، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا ، وأننا على يقين من أن العاقبة ــ وان طال البلاء ــ لنا ، وأن النصر سيكون حليفنا » .

* ومن خطابه في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بنادي الترقي غرة شعبان ١٣٥٧ هـ/ اكتوبر « تشرين الاول » ١٩٣٨ :

« أما بعد ، فسلام عليكم يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين

---

٢ ــ ابن باديس ، ص ١١٩ وما بعدها .

الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجينكم في المساجين، وسلام على متهميكم في المتهمين ، وسلام على منكوبيكم في المنكوبين · سجون واتهامات ونكبات ، ثلاث لا تبنى الحياة الا عليها،ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الحقة الا على أسسها . فاليوم وقد قضى الله للجمعية بهذه الثلاث ، أثبتت الجمعية في تاريخ الاسلام وجودها ، وسجلت في صحيفة الخلود رسمها ، ونقشت في قلوب أبناء المستقبل اسمها ، وبرزت في ذلك كله أسماء أولئك المسجونين والمتهمين والمنكوبين نجوما متألقة تأخذ الابصار ·

هذا الاستاذ العقبي برأته العدالة من التهمة الباطلة ، ثم أبت تلك النواحي المظلمة من الحياة الجزاترية الا أن تعود به الى التهمة ولا نشك أنه لم تنتصر مرةأخرى في تبرئته العدالة ،فستنفضح تلك النواحي في العالم شر فضيحة ·

وهذا الاستاذ الابراهيمي ، سيق الى المحاكمة على حفلة علمية وقضي عليه بالغرامة ، فلم يكتف في حقه بذلك ، فرفعت القضية للاعادة وهو ينتظر ما يكون ·

وهذا الشيخ عمر دردور سجن في سبيل نشر العلم والفضيلة ، ثم أنصفته العدالة فأطلقت سراحه ، فأبت تلك النواحي الا أن تعود به الى القضاء ، وهو ينتظر الى يوم فصله ·

وهذا الشيخ عبد الحفيظ الجنان ، عزل من وظيفة قيم بالجامع الأخضر ، لانه من جمعية العلماء ·

وهؤلاء أهل « سوف » قد ذاقوا من التغريم والنفي والسجن ما ذاقوا وروعوا في ديارهم وأهليهم أفظع ترويع ، ثم لم يثبت عليهم شيء مما رموا به الا رغبتهم في العلم وطرحهم لسربال الطرقية الوسخ الثقيل ·

وهذا الشيخ عبد العزيز الهاشمي ، والشيخ علي بن سعد ،

والشيخ عبد القادر الياجوري،والسيد عبد الكامل في ظلمات السجن الى اليوم ، وقد رمي الشيخ عبد العزيز بالثورة ضد أمن الدولة وبالصلة الاجنبية ، فلم يثبت لدى البحث النزيه الا أنه عقد مظاهرة بدون رخصة ، طلب الناس فيها حرية التعليم ، والاعانة بالخبز ، وشكوا من ظلم بعض القادة ٠

وهؤلاء رجال التعليم في « بجاية » و « باتنة » وغيرهما يساقون الى المحاكمة المرة بعد الاخرى ، ويغرمون من أجل التعليم،ويهددون بالسجن ٠

وهذه مدرسة دار الحديث بتلمسان مغلقة الى اليوم ، وكم أذكر وكم أعدد ، فلقد هبت الامة لتعلم دينها ، ولغة دينها في جد ونشاط فاق السنوات المتقدمة ، فعولجت بهذه البلايا والمحن ، حقا لقد كانت سنتنا الماضية سنة عمل ، وسنة ابتلاء ، وأي عامل صادق في عمله ، مخلص فيه لا يبتلى ؟!

وفيم هذا كله ؟ على من ثرتم ؟ والى من أسأتم ؟ وأي حدود تعديتم ؟ وماذا تبغون ؟

لا والله ما ثرتم الا على الجهل والرذيلة ٠ وما أسأتم الا للأثرة والجبرية ، وما تخطيتم الا حدود الجمود والخرافة ، ولا تبغون الا الحق والخير والعدل والاحسان ٠ ألا في سبيل الله ما لقيتم ، ألا في سبيل الله ما أنتم لاقون ٠

أيها الاخوان ، ان جمعيتكم أمينة على حفظ الاسلام ، ولغة الاسلام في هذه الديار ٠٠٠٠»(١) ٠

* وفي خطبة قال : « أما بعد ، فحياكم الله أبناء العروبة والاسلام

---

١ ــ راجع ابن باديس ، ص ٥٦١ ، ج ٣ ٠٠٠ كما ذكر في خطابه كيف منعت فرنسا العلماء من الدخول الى جنوب الجزائر ، بينما أعطت الاعانات ، ومنحت التسهيلات للبعثات التبشيرية لتنصير أبناء وبنات المسلمين ٠

وأنصار العلم والفضيلة • حوربت فيكم العروبة حتى أظن أن قد مات منكم عرقها ، ومسخ فيكم نطقها ، فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها ، فتثير الشعور والمشاعر ، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها ، فتدك الحصون والمعاقل ، ويهز كتابكم أقلامها ، فتصيب الكلى والمفاصل(١) •

وحورب فيكم الاسلام حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه ، وانتزعت منكم عقائده ، ومكارمه ، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد ، وتنشرون من الاصلاح لواء التجديد، وتدعون الى الاسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما يرضى الله لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه أعداؤه •

وحورب فيكم العلم حتى ظن أن قد رضيتم بالجهالة ، وأخلدتم للنذالة ، ونسيتم كل علم الا ما يرشح به لكم ، أو ما يمزج بما هو اضر من الجهل عليكم ، فجئتم بعد قرن ترفعون للعالم بناء شامخا ، وتشيدون له صرحا سامقا ، فأسستم على قواعد الاسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين •

وحوربت فيكم الفضيلة ، فسمتم الخسف ••• حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة ، وفارقتكم العزة والكرامة ، فرئمتم الضيم ، ورضيتم الحيف ، وأعطيتم بالمقادة ، فجئتم بعد قرن تنفضون غبار الذل وتهزهزون أسس الظلم ، وتهمهمون همهمة الكريم المحنق ، وتزمجرون زمجرة العزيز المهان ، وتطالبون مطالبة من يعرف له حقا لا بد أن يعطاه أو يأخذه •

فبحق قلت : حياكم الله أبناء العروبة والاسلام وأنصار العلم والفضيلة •

نعم — أيها الاخوان — نهضنا بعد أن صهرتنا بنار الفتنة والابتلاء

---

١ — ابن باديس ، ص ٥٥٥ ، ج ٣ •
والشقاشق : الاصوات الهادرة •

حوادث الزمان ، وقارعتنا وقارعناها الخطوب ، ودافعتنا ودافعناها الايام : [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين](١) ٠

نعم ، نهضنا بعد قرن ، بعد ما متنا وأقبرنا ، أحيينا وبعثنا ، سنة كونية ، فقهناها من القرآن ، ونعمة ربانية تلقيناها من الملك الديان : [ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ، ان الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون](٢) ٠

[أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال : أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ٠٠٠](٣) ٠

نعم نهضنا نهضة (بنينا على الدين أركانها ، فكانت سلاما على البشرية) ، لا يخشاها والله النصراني لنصرانيته ، ولا اليهودي ليهوديته ، بل ولا المجوسي لمجوسيته ، ولكن يجب ـ والله ـ أن يخشاها الظالم لظلمه ، والدجال لدجله ، والخائن لخيانته ٠

العروبة والاسلام ، والعلم والفضيلة ، هذه أركان نهضتنا ، وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي هي مبعث حياتنا ، ورمز نهضتنا ، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا في الدين ، وتعلمنا اللغة ، وتنيرنا بالعلم ، وتحلينا بالاخلاق الاسلامية العالية ، وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا ، وتربطنا بوطنيتنا الاسلامية الصادقة ولن تزل كذلك باذن الله ، ثم باخلاص العاملين ٠

كانت جمعية العلماء ، فكانت نهضة الامة ، دوى صوت العلم فأيقظها من رقدتها ، وكذلك عرفت الامم من تاريخها ، لا تنهض الا

---

١ ـ سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢٥١ ٠
٢ ـ سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢٤٣ ٠
٣ ـ سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢٥٩ ٠

على صوت علمائها ، فهو الذي يحل الافكار من عقالها ، ويزيل عن الابصار غشاواتها ، ويبعث الهمم من مراقدها ، ويرفع بالامم الى التقدم في جميع نواحي الحياة ، ولهذا ترى أعداء النهوض من كل عصر ومصر يبذلون لاخفات هذا الصوت كل جهودهم ، ويكيدون له كل كيد :

[يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط بالكافرين ٠٠٠](١) ٠

* ومن خطبة رئيس الجمعية « ابن باديس »، التي ارتجلها في الاجتماع العام بعد تجديد مكتب الادارة(٢) : « أيها الاخوان ، ان على كل رئيس حقا ٠ وقد قال الاحنف بن قيس :

ان على كل رئيس حقا أن يخضب الصعدة أو تندقا

والصعدة هي الرمح يريد أنها تخضب بالدماء، أو تنكسر وتندق في يده أثناء محاربته للاعداء ، ولكن صعدتنا التي نخضبها هي القلم ، (وخضابه الحبر) ولكنه لا يندق هذا القلم حتى تندق أمامه جبال من الباطل » ٠ [تصفيق عال وهتاف بكلمة الله أكبر] ٠

* وفي الاجتماع العام ، غرة جمادى الاولى ١٣٥٢ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣ ، قال موضحا موقف فرنسا من احياء الاسلام والعربية في نفوس الجزائر : « فأما السنة الماضية ، فلقد كانت منشطرة الى شطرين ، فأما شطرها الاول فقد أوفدت الجمعية من رجالها للوعظ والارشاد وفودا لبلدان القطر في العمالات الثلاث ، وقامت تلك الوفود بمهمتها خير قيام ، وكانت تتلقى من رجال الحكومة كما تتلقى من الامة بكل اكرام ، وأما الشطر الثاني منها

---

١ ــ راجع ابن باديس ، ص ٥٥٦ وما بعدها ، ج ٣ ٠ والخطاب نشر في البصائر السنة ٢ ، العدد ٨٣ ، الجزائر ٢٥ رجب ١٣٥٦ هـ ، ٣٠ سبتمبر « ايلول » ١٩٣٧ ، ونشر في الشهاب أيضا في غرة شعبان ١٣٥٦ ٠

٢ ــ الفضل في كتابتها للاستاد العقبي ، راجع ابن باديس ، ج ٣ ، ص ٥٥٢ ٠

وهو الذي يبتدىء بصدور قرار منع العلماء من الوعظ والارشاد بالمساجد » ٠

وفي ذكرى المولد النبوي الكريم ، في نادي الترقي بالعاصمة الجزائر ، قال يشعر شعب الجزائر كله ، أنه ليس وحده في معركته ضد الفرنسة والادماج : « لسنا وحدنا في هذا الموقف الشريف لاحياء هذه الذكرى العظيمة ، بل يشاركنا فيها نحو خمسمائة مليون من البشر في أقطار المعمور ، كلهم تخفق أفئدتهم فرحا وسرورا، وتخضع أرواحهم اجلالا وتعظيما لمولد سيد العالمين ٠

قلوب خمسمائة مليون ! هذه قوة كبيرة في هذا العالم ، مرتبطة بالحب ، متدرعة بالايمان ، فلو شعرت حقيقة الشعور لاثمرت للانسانية فوائد كبرى ، وعملت لها أعمالا عظيمة »(١) ٠

* وقد كانت دعوته للتسامح الديني واضحة جلية(٢) :

فبعد أن ذكر تسامح المسلم ، وكيف لا يكون الا نقي القلب من الحقد الديني ، واسع الصدر عظيم التسامح ، ذكر ما ورد في الصلاة اليومية التي نقلها عن [الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة حيث ورد وأقدم اليك صلواتي بصفة أخص من أجل اتحاد كل الكاثوليك، ومن أجل محاربة الاسلام] ٠

وقال : « بهذا تغذي الكنيسة مؤمنيها وهم في وسط اسلامي ، لا تكمن سعادته وهناؤه الا بتعاون سكانه فيه بروح التسامح والتواد وتملأ صدورهم بهذا التعصب المقوت ضد قوم مسالمين ومستضعفين فلا يدري الا الله ، كم أثمرت هذه التغذية الخبيثة من علقم ، كان وزر من جرعه ومن تجرعه على من بثوه في النفوس ، ومكنوه من القلوب ٠

---

١ ــ ابن باديس ، ج ٣ ص ٥٠٧ ٠
٢ ــ ابن باديس ، ج ٣ ، ص ٤٩٢/٤٩٣ ٠

حاشا الاصول الاولى لتلك الملة أن تأمر بهذا ، فقد عرفوا ما جاء في « متى ــ ٥ : ٤٤ : وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم و يطردو نكم » . ولكن الرؤساء الذين يريدون المحافظة على مصالحهم ويرون ان محبة أتباعهم لهم تكون بقدر بغضهم للاسلام ، هم الذين يتحملون مسؤولية هذا و يبوءون باثمه ٠

نكتب هذا ليطلع قراؤنا على حقائق واقعية تتصل بالحياة الاجتماعية بينهم و بين من يساكنوهم في وطنهم ، وليعلم اخواننا المسلمون عظيم نعمة الله عليهم بما شرعه لهم من أصل التسامح العظيم ، فيزدادوا به تمسكا ، فيعيشوا سالمي الصدر من الحقد الديني والتعصب الممقوت ، وليعرف الذين يبثون تلك السموم أن أعمالهم لا تخفى على غيرهم ، فعسى أن يقلعوا عنها ، ويرجعوا للعمل معنا على بث التسامح بين عباد الله ، والله يهدي من يشاء الى سداد السبيل »(١) ٠

* كما حاولت فرنسا الوقيعة بين البربر والعرب ، وتقطيع

---

١ ــ ابن باديس ، ص ٤٩٣ في الجزء الثالث ٠ وقد نشر الكتاب في ص ٤٩١ وثيقة عن « صدى الكنسي لقسنطينة وبونة » تبين كلمات الصلاة اليومية للاحد ٩ فبراير « شباط » ١٩٣٦ وتبين الوثيقة أيضا أن « غاية التبشير:النضال ضد الاسلام!» ويرى العلامة ابن باديس غرابة الامر ، ففي العالم الاسلامي كثير من المجلات التي يصدرها رجال من اهل العلم الديني وفي مقدمتها « مجلة الازهر » ، لا تجدها تعرض للبحث في النصرانية ! الا اذا اضطرت للدفاع عن المطاعن التي توجهها من حين الى آخر أعداء الاسلام ٠ أما الهيئات الدينية النصرانية فان لكل هيئة منها مجلتها ، ويكاد لا يخلو عدد منها من الكلام عن الاسلام وتصويره بالصورة المنفرة البغيضة المثيرة للاحقاد ، والحاملة على التعصب ، حتى أنهم قد يجعلون لاتباعهم دعوات تكرر في أوقات مخصوصة ضد الاسلام والمسلمين ، بدليل الوثيقة السابقة ٠

ــ ان دور التبشير التي تروج لهذا النوع من التعصب ، تشهد لها ضواحي وهران قصة رجل وقف على باب احدى هذه الدور يطلب لقمة يسد بها رمقه عام المجاعة الكبرى ١٨٦٨/١٨٦٧ ، هش له أحد المبشرين ورحب به وأدخله حجرة أعدت بها مائدة حافلة بأنواع الطعام ، وقال له رجل الدين المبشر : « لا يأكل هذا الطعام الشهي الا من دخل الدين المسيحي » ٠ وعند ذلك انسحب الرجل ، ولم يكن يبتعد عن الكنيسة ببضعة أمتار ، حتى سقط على الارض جثة هامدة ، « من كتاب الجزائر ص ٥٠ » ٠

أواصر العقيدة بينهما · فقال في مقال بعنوان : « ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان : ان أبناء يعرب وأبناء مازيغ « البربر » قد جمع بينهم الاسلام منذ بضع عشر قرنا ، ثم دأبت القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمه الجزائر وأبوه الاسلام ، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دماتهم في ميادين الشرف ، لاعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم ·

فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم ؟ لولا الظنون الكواذب والاماني الخوادع يا عجبا ! لم يفترقوا وهم الاقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي ؟ كلا والله ، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم الا شدة في اتحادهم ، وقوة لرابطتهم ، ذمتي ما أقول رهينة وأنا به زعيم ، والاسلام له حارس ، والله عليه وكيل » ·

* ولم يكن رحمه الله منفصلا عن أحداث المشرق العربي ، فله مقالات ومقالات كثيرة ، توضح دون لبس ارتباطه، وارتباط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفلسطين ، وهو يقرن بين الزوجين المشؤومين : « الصهيونية والاستعمار » ويحملهما البلاء الذي حل في فلسطين · وبرقيته التي احتج بها على التقسيم باسم شعب الجزائر المسلم ، أرسلها الى وزير الخارجية الفرنسية ، نشرت في « البصائر» العدد ٧٩ ، الجمعة ١٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م ·

★ ★ ★

هذه جوانب بسيطة من حياة وأفكار الشيخ العلامة ابن باديس ، تعطينا فكرة ، وخطوطا عامة ، لهذا الرجل الذي كان أمة وحده ، استطاع بمفرده أولا وبمساعدة اخوانه من العلماء ثانيا ، أن يقوم بتربية جيل وتكوين أمة ، وتبصيرها بشخصيتها ومقوماتها ، وهو

الذي استطاع أن يضع أصول نهضة الجزائر الفكرية والاجتماعية والاخلاقية والسياسية على أساس الاسلام ٠

ان الثورة الجزائرية العظيمة في جوانبها النفسية ، وقوتها المعنوية التي تتمثل في كلمة «الجهاد» ترتد الى عمله التربوي الخاص والعام ، تربية الجيل في المدارس ، وتربية الامة في المساجد ، ورحلاته في مختلف أنحاء الجزائر ، ان ابن باديس قام بعملية التربية والوعي ، تلك العملية التي ترى أعمق نشاطه يؤديه الكائن البشري على الاطلاق ، لانه به تصنع المادة البشرية الصالحة ، ويصوغ الذات الاجتماعية النافعة ، ويبني الشخصية المتكاملة الشاعرة وذاتيتها وحريتها(١) ٠

لقد عاهد الشعب قائلا : « اني أعاهدكم على أن أقضي بياضي على العربية والاسلام ، كما قضيت سوادي عليهما ، وانها لواجبات واني سأقصر حياتي على الاسلام والقرآن ، ولغة الاسلام والقرآن هذا عهدي لكم ٠٠٠ أطلب منكم شيئا واحدا ، وهو أن تموتوا على الاسلام والقرآن ، ولغة الاسلام والقرآن » ٠

رحم الله ابن باديس العلامة الثائر، رائد النهضة الحديثة بالمغرب العربي ، وقائد الحركة الاصلاحية ومؤسسها بالجزائر ، رحمه الله في الخالدين ، فقد عاش للاسلام والعروبة ، ونشأ جيلا كان هتافه في مدارسه صباحا أبياتا من شعره ، يستهلون يومهم بها :

شعب الجزائر مسلم ... والى العروبة ينتسب
من قال : حاد عن أصله ... أو قال : مات ، لقد كذب
أم رام ادماجا له ... رام المحال من الطلب
من كان يبغي ودنا ... فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا ... فله المهانة والعطب
فاذا هلكت فصيحتي ... تحيا الجزائر والعرب

---

١ ــ ابن باديس ، ج ١ ص ١٢٠ بتصرف ٠

رحم الله ابن باديس فقد كان رجلا طوى الاندماج والفرنسة، وجعلهما تاريخا في كتب تدرس، لقد حقق نصر ثورةالجزائر عندما حقق ذاتية الامة بتمسكها بدينها وعروبتها ٠

★ ★ ★

ـ ولاتمام البحث لا بد أن نذكر، من علماءالجزائر الذين قادوا حركة الجهاد ضد المستعمر :

* الشيخ صالح بن مهنا « توفي في ربيع الاول ١٣٢٥ هـ وقبره معروف بمقبرة قسنطينة » ٠

* الشيخ عبد القادر المجاوي، الذي ألف كثيرا من الكتب المدرسية والتربوية، مما يدل على أنه ذو اهتمام بالغ بالتربية ٠ ولد سنة ١٢٦٦(١) هـ/١٨٤٨ م بتلمسان، حفظ القرآن، أكمل دراسته بالقرويين ٠ ومن أفكاره الرائعة : التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه ٠ اذ تعلم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الاقطار، لا يفيد المتعلم ولا أباه، فلا بد من معرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما اذا اقتصرنا على أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكن أهل زماننا تركوا العلمين معا، ولا حول ولا قوة الا بالله »(٢) ٠

ـ وتحدث الشيخ عن تعليم المرأة، وضرورته لانه أساس التربية

ـ ولم يغفل الشيخ عبد القادر المجاوي عن جانب مهم من الحياة الاجتماعية، وهو خطبة الجمعة، فدعا لاصلاحها، وأشار الى الحضارة الاسلامية وتاريخها واستشهد بأقوال الاجانب، مما يدل على اطلاعه على دراستهم ٠

ترك من بعده من يواصل رسالته كالشيخ حمدان لونيسي، وهو أستاذ الامام عبد الحميد بن باديس، والشيخ أحمد لحبيباتي،

---

١ ـ أو في ١٢٦٧ هـ، توفي عام ١٣٣٢ هـ/١٩١٣ م ٠

٢ ـ ابن باديس ج ١، ص ١٩ وما بعدها، عن اللمع في نظم البدع ص٣٠

والشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة المالكي . ومن غريب المصادفات أنه في السنة نفسها التي توفي فيها الشيخ عبد القادر المجاوي ، ابتدأ عبد الحميد بن باديس حركته التعليمية بمدينة قسنطينة .

لقد لقي المجاوي في حياته اهانات وصعابا من السلطة الاستعمارية التي طفقت تنقله من مكان الى آخر حتى قيل أنه مات مسموما حسب رواية الشيخ ابراهيم اطفيش ، وهو من تلامذته .

وتدلنا وثيقة عثر عليها في آثاره ، أنه كان يبغض اليهود ، ويقاوم العنصر الصهيوني ، فقد شعر بخطره على المسلمين .

* وظهر بالجنوب الجزائري الشيخ ابراهيم مكي ، والشيخ علي ابن ناجي الزهراوي ، والشيخ المولود الزريبي ، الذي درس على الشيخ حامد العبيدي بعد حفظه القرآن الكريم ، ثم درس في مصر على الشيخ محمد بخيت ، ثم رجع الى الجزائر حيث تولى تحرير جريدة « الصديق » التي يديرها محمد بكير الميزابي ، وتولى التدريس في الجامع الاعظم بالعاصمة ، توفي ١٩٢٥ م(١) .

* الشيخ محمد بن علي السنوسي ، الذي اعتقد أن الدعوة الاخلاقية والتجديد الروحي ، هما الاساس للتحرر من السلطة الاجنبية .

* الشيخ عبد الحليم بن علي بن سماية ، الذي ولد بالجزائر عام ١٢٤٢ هـ/١٨٦٦ م ، حفظ القرآن الكريم على الشيخ حسين أبي شاشية ، وأخذ العربية والفقه والتوحيد على والده ، والمنطق والبلاغة عن الشيخ طاهر تيطوس ، والحساب والفرائض عن صهره علي بن حموده . وتتلمذ على الشيخ ابن موسى الجزائري ، والمكي ابن عزوز ، وأبي القاسم الحفناوي ، والسعيد بن زكري .

---

١ ـ ابن باديس ج ١ ، ص ٢٦/٢٧ .

علم جيلا من الطلاب في المدرسة الثعالبية ، حفظوا العربية في العاصمة الجزائرية فترة من الزمن ، وتمسكوا بعقائد الاسلام ٠

مرض مرضا عقليا لشدة ويلات الاستعمار الفرنسي واضطهاده اياه ، توفي عام ١٣٥١ هـ/١٩٣٣ م ٠

* الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجه ، الذي عرف النـاس بالجزائر بمحمد عبده وأستاذه الافغاني ٠

* والشيخ محمد بن القائد علي ، امام الجامع الجديـد في الجزائر ٠

* عمر بن قدور ، وهو مؤدب يقرىء القرآن الكريم ، ويعتبر هذا الرجل من المدرسة الاصلاحية المتأثرة بمحمد عبده « بالمنار » ، أصدر صحيفة « الفاروق » سنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م ، لم تعش هذه الصحيفة طويلا ، فقد أبعدت السلطات الفرنسية صاحبها الى (الاغواط) سنة ١٩١٥ م ٠

* الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي ، الذي أصدر جريدة « النجاح »

* الشيخ محمد السعيد الزاهري ، صاحب جريدة « الجزائر » ، وقد عطلتها الحكومة الفرنسية ٠

* أصدر الشيخ العقبي والشيخ أحمد العابد جريدة « صـــدى الصحراء » ، ثم « الاصلاح » ٠

* وأصدر الشيخ العلامة الصحفي أبو اليقظان جريدة « وادي ميزاب » سنة ١٩٢٦ ، عطلتها السلطات الفرنسية ، فأصدر بعدها جريدة « ميزاب » فصودرت ، فأصدر بعدها « المغرب » ثم عطلت فأصدر « النور » ثم النبراس ٠٠ وهذا يدل على أهمية الصحافة في اليقظة العربية الاسلامية في الجزائر ٠

★ ★ ★

الشيخ محمد بشير الإبراهيمي

*** « ان الابراهيمي وعاء من العلم والمعرفة والذكاء، وانا لنرجو على يده خيرا كبيرا للاسلام والجزائر » .**

ابن باديس

ولد الشيخ محمد البشير الابراهيمي سنة ١٨٨٩ في نفس السنة التي ولد فيها الشيخ ابن باديس ، وذلك في قرية « قصر الطير » .. من نواحي « سطيف » ، فحفظ القرآن الكريم ، وأخذ بعض علومه العربية والدين على بعض شيوخ ذلك العهد ، ثم هاجر الى المدينة المنورة حيث تابع الدرس والتحصيل ، ثم عاد الى الجزائر ليحتل دوره في نشر العلم والفضيلة ، ويوجه بأسلوبه البليغ ، وقلمه السيال جموع المتعلمين ، ونخبة المتأدبين الى الادب الرفيع والتفكير الصحيح ، والتعمق في فهم الاسلام .

تم بين الاستاذين الكبيرين ـ ابن باديس والابراهيمي ـ اجتماع في « برج بو عريرج »، وكان من نتائج اجتماعهما ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . التي كانت « نقطة انطلاق لنهضة عربية اسلامية جزائرية ، وفاتحة عهد جديد للجزائر الحديثة التي احتفل الاستعمار في تلك الايام نفسها بمرور قرن على احتلال فرنسا لها ، ظانا أن هذا الاحتلال قد ختم على الجزائر ، وجعلها نهائيا ، قطعة

من فرنسا ، فاذا هو بداية انهياره ، وخطوة أولى نحو نهايته وسوء مصيره »(١) ٠

لقد أقلق الشرطة السرية الفرنسية لقاء الاستاذين ، وتعقبت تحركات ابن باديس وتنقلاته داخل مقاطعة قسنطينة وخارجها ، واستعملت جميع ما لديها من وسائل لالتقاط ما يجري بين ابن باديس والابراهيمي ٠ ومما قاله الابراهيمي في هذه الفترة : «اننا نعمل وهم يعملون» ٠ وصدق فيما قال،فلم تكد فرنسا الاستعمارية تستفيق من نشوة الاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر ، حتى رأى الاستعمار ما كدر سروره بعيده ، وزعزع أركانه وأطار نومه اذ استحالت الفكرة الى حقيقة ، فظهرت جمعية العلماء الى الوجود ، فكان ظهورها رد فعل قوي لسياسة الادماج ، و نقطة انطلاق، وبداية تاريخ ، وميلاد نهضة ٠

وظل الابراهيمي منذ ذلك الحين يحتل مكان الصدارة في جمعية العلماء كنائب لرئيسها ابن باديس ، ولما توفي ابن باديس ، تسلم مقاليد رئاسة جمعية العلماء ٠ وهو أولا وأخيرا يقدم « للبصائر » روائع من علمه وأدبه ، ويوجه بأسلوبه البليغ على صفحاتها جيل الشباب الجزائري ، نحو التحرر والتمسك بالاسلام وبعروبة الجزائر ٠ وهو يرى أن للقلم أمانة يجب أداؤها ، فمن عجز عن مراعاتها وحفظها حين يكتب فحقه أن ينحي القلم عن أنامله، ويريح القراء من أباطيله ٠ وان حملة الاقلام يجب أن يؤدوا رسالتهم على الوجه الاكمل ، ولن يكونوا كذلك الا اذا تجنبوا خيانة أقلامهم فيما يكتبون ٠

★ ★ ★

١ ـ راجع « العربي » العدد ١٢٠ ، شعبان ١٣٨٨ ، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨ ، ص ١٢٥ ، مقال « الشيخ محمد البشير الابراهيمي » للاستاذ باعزيز بن عمر صديق الابراهيمي ، وتلميذ الشيخ ابن باديس ٠

وبعد ...

هذه هي حركة التحرر في الجزائر ... لقد اصطبغ فيها الاتجاه الفكري بالصبغة العملية ، واحتفظت فيها العقيدة ، بصلابتها كما كانت في صدر الاسلام الاول .

لم يكتف الاسلام ، باعادة الجزائر الى عروبتها وذاتيتها، بل كان طموحه بأن يدخل الى نفوس المستعمرين أنفسهم ، لقد لاحظ المستشرق الفرنسي ماسينيون ذلك وقال : ان الشعور الاسلامي في الجزائر له صفة خاصة ، عاطفة غريبة جدا ، وهي طموح المسلمين لان يدخلوا الاسلام ويشقوا له طريقا في عقول الفرنسيين وأرواحهم وأنفسهم . ويساعد على ذلك وجود كتاب مسلمين يجيدون الفرنسية أيما اجادة ، وهذا ملاحظ على اسلام بعض الفرنسيين من الرجال والنساء(١) .

انه الاسلام ، الدين الزاحف ولو في أشد أزماته . وسيبقى التاريخ العربي يفخر بالعلامة الشيخ ابن باديس ، والشيخ الابراهيمي وزملائهما العلماء ، فقد بذروا ، ونبت زرعهم واخضر وأورق وسنبل وآتى أكله . فسلام عليهم في الخالدين .

ومن السخف أن نتساءل بعد هذا كله : هل قام الاسلام بدوره المطلوب في الجزائر ، وكان قوة محت الفرنسة والاندماج ، وصفت الاستقلال ؟؟

ان ما عرضناه بوثائقه منذ عام ١٨٣٢ حتى الثورة الجزائرية الكبرى ، لا يحتاج الى تعليق ، ولا الى « تحليل علمي ! » لنخرج بنتائج استهدفناها مسبقا ، وسعيا اليها ، وأصابنا نصب في التأويل والتضليل كي نصل اليها !! انها أوضح من أن توضح ، لقد أحبط الاسلام مشاريع فرنسا في الجزائر .

---

١ ــ ابن باديس ، ج ١ ، ص ٦٢ .

وليس لنا الا أن نهتف مع شعب الجزائر العربي المسلم عندما نال استقلاله ، لقد هتف باحتفالاته في عيد استقلاله بعد أن قدم مليون شهيد مجاهد ، وخرجت فرنسا وتبشيرها وجيشها مدحورة ، فقال(١) :

« يا محمد مبروك عليك ، الجزائر رجعت اليك » (١)



---

١ ـ هذا الهتاف سمعته الدكتورة بنت الشاطىء في رحلتها الى الجزائر بعد الاستقلال ، لاحظ فيه أن الاستقلال اعتبر عودة الى الاسلام « يا محمد مبروك عليك» بعد أن كانت الجزائر بيد صليبية تبشيرية ! « الجزائر ، ص ٧ » .

تونس

* جامع الزيتونة :

ـ بالامس خرج ابن خلدون وابن رشد ·

ـ واليوم يخرج ابن باديس والثعالبي ···

* اذا كانت ثلاث من الدول الكبرى ، هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا قد تنافست على النفوذ الاقتصادي في تونس ، فان الاخيرتين انفردتا بالاطماع السياسية ، فرنسا بحكم وجودها في الجزائر ، وايطاليا بحكم قرب أراضيها من تونس · وكان على كل من الدولتين أن تجد التأييد الدولي لتحقيق تلك الاطماع نظرا لاهمية موقع تونس ·

رجحت كفة ايطاليا في أوائل السبعينات من القرن الماضي ، وسنحت لها فرصة سنة ١٨٧٨ ، حينما عرضت النمسا فكرة تأييد ايطاليا لها في البوسنة والهرسك مقابل طرابلس أو تونس ·

ولما عقد مؤتمر برلين تحققت فيه عدة مساومات على حساب الدولة العثمانية ، ولذلك عد هذا المؤتمر نقطة تحول في تاريخ المسألة التونسية لصالح فرنسا · فقد استطاعت بريطانيا ان تثير على انفراد المسألة التونسية مع فرنسا ، بمناسبة أخرى تتعلق بتنازل الدولة العثمانية عن جزيرة قبرص لها ، نظير التأييد الذي لقيته منها أثناء الازمة الروسية العثمانية ·

وهكذا ٠٠٠ استغلت الدول الكبرى ظروف هزيمة الدولة العثمانية أمام القياصرة ، فالنمسا استولت على البوسنة والهرسك وانجلترا وضعت يدها على قبرص ضاربة عرض الحائط بمبدأ المحافظة على سلامة اراضي الدولة العثمانية ٠ فماذا كسبت فرنسا من هذا المؤتمر(١)؟ ٠

لقد فكرت ألمانيا وانجلترا بما يسمى « التعويض التونسي » ، وعبر بسمارك عن موقفه بقوله لوزير خارجيته « وادنجتون » : «ان الكمثرى التونسية ناضجة » ٠

. وفي تصريح ٢١ تموز (يوليو) ١٨٧٨،جاء تنويه بمهمة فرنسا « الحضارية » في شمال افريقية : « اذا كان للنمسا أن تقوم بمهمة حضارية في البلقان ، وانجلترا في آسيا الصغرى ، فأمام فرنسا مهمة أعظم في شمال افريقيا : افعلوا ما شئتم في تونس فستضطرون يوما للاستيلاء عليها،لانكم لن تستطيعوا تركقرطاجنة بيد البرابرة(١)» ٠

ولما تولى « جيل فري » رئاسة الحكومة في فرنسا ، رأى الظروف مهيأة بدرجة كافية لاحتلال تونس بعد تغلغل فرنسا الاقتصادي ، ووجود طبقة عسكرية فرنسية مع ألاف المستوطنين الاوروبيين في الجزائر ، الذين كانوا « يكرهون » وجود دولة اسلامية مستقلة مجاورة » ٠

وجد جيل فري أمام الرأي العام الفرنسي نوعين من المبررات لاحتلال تونس :

١ ــ ازدياد النفوذ الايطالي في تونس ٠

---

١ ــ راجع « المغرب العربي » د٠ صلاح عقاد ٠ من ص ١٨٨ وما بعدها للتوسع ٠

٢ ــ ص ١٩١ « المغرب العربي » ، و « البرابرة » هنا سكان تونس العرب المسلمين ، الذين نشروا الحضارة والعلم في صقلية وجنوب ايطاليا ، ومن هنا شع العلم في أنحاء العالم الاوروبي !!

٢ ـ اعتناق التونسيين لفكرة الوحدة الاسلامية ٠

ـ فبالنسبة للنفوذ الايطالي: بالغت الصحف الفرنسية في تصوير زيارة ملك ايطاليا « امبرتو » لصقلية ، القريبة جدا من تونس ، وتحدثت عن وجود حشود على الحدود التونسية ٠

ـ وبالنسبة للوحدة الاسلامية . كانت الطريقة السنوسية أكثر البيئات تأثرا بها ، وعملت للدعاية لها في شمال افريقيا ٠ لذلك ٠٠ حمّل الفرنسيون تلك الدعاية السنوسية مسؤولية مقتل أعضاء بعثة « فلاترز » الاستكشافية في الصحراء الكبرى أوائل سنة ١٨٨١(١) ٠ فكان هذا الحادث من بين الحجج التي قدمها المستوطنون الفرنسيون للمطالبة بتعجيل احتلال تونس ٠

« والحجة القوية » التي استند اليها « جيل فري » والتي استطاع اقناع مجلس النواب باعتماد المبالغ اللازمة لحملة تأديبية كانت تتعلق ببعض حوادث الحدود ، وليست هذه الحوادث بالجديدة فهي قديمة قدم الاحتلال الفرنسي للجزائر ٠ ووقع اختيار « فري» على قبائل الكرميين ، لينسب اليهم حوادث العدوان في أوائل سنة ١٨٨١ ٠ وعلى أثر الضجة التي أثارها « فري » حول حادث اعتداء الكرميين ، قدم مشروعا الى مجلس النواب باعتماد ٥ مليون و ٦٠٠ ألف فرنك للقيام « بحملة تأديبية » على القبائل التونسية المعتدية ٠

خصص مليونا و ٦٠٠ ألف فرنك للبحرية الفرنسية التي ستهاجم تونس ، ومن الملاحظ أن تأديب قبائل الكرميين عبر الحدود الجزائرية ـ التونسية لا يحتمل اشتراك هذا السلاح ٠

ادرك الكرميون مغبة الموقف ، فأرادوا تفويت الفرصة على

---

١ ـ ص ١٩٩ « المغرب العربي » هذه البعثة، لو لم يلمس منها السكان «تبشيرا» بحجة الكشف الجغرافي الذي كان شعارا ، لما قتل أعضاؤها ، لقد كانت هذه البعثات لاستكشاف طرقا في أفريقيا للمبشرين لا للمدنية ٠

(راجع التبشير والاستعمار للدكتور خالدي وفروخ ص ٥١)

التونسيين وتفنيد حجتهم ، فعرضوا على (الباي) ـ حاكم تونس ـ تسليم بعض الرهائن منهم دليلا على خضوعهم لسلطته ، لكن شيئا من هذا لم يحول الفرنسيين عن خطتهم • و بخاصة فان الموقف الدولي بجانبهم ، فايطاليا لم تكن مستعدة وحدها للاشتباك مع فرنسا ، فأحس الرأي العام الايطالي بمرارة شديدة و هو يرى قرب ضياع تونس •

أما بريطانيا ، فان رئيس وزرائها (غلادستون) الذي نشأ قسيسا ، كان معروفا بعدائه الشخصي للعالم الاسلامي كله ، لذلك أجاب على نداء الحكومة الايطالية بقوله : « ان مجاورة امة متمدينة لدولة متأخرة لا بد أن يؤدي الى مثل هذا التدخل » • لذلك قامت فرنسا مع بريطانيا بمظاهرة بحرية أمام الشواطىء التونسية ، وحددت بريطانيا هدف هذه التظاهرة «بأنه حماية للرعايا الاوربيين من تعصب المسلمين »(١) •

وفي ٢٤ نيسان (أبريل) ١٨٨١ ، اجتاح ٣٠,٠٠٠ جندي فرنسي بقيادة « فورجمول » حدود تونس ، ونزلت قوات فرنسية بميناء بنزرت في آيار « مايو » ، فاتضحت أهداف الحملة البعيدة ، وأنها تقصد مدينة تونس لاملاء شروطها • وفي ١١ أيار وصلت القوات الفرنسية أمام قصر الباي « محمد الصادق » المعروف بقصر « الباردو » على بعد ٢٠ كم من تونس ، وتقدم الجنرال (بريار) يحمل نص معاهدة وضعها جيل فري لتنظيم العلاقات تحت الاحتلال وأعطي مهلة خمس ساعات فقط ، فلم يكن أمامه الا الرضوخ ، وتحت الضغط وقع محمد الصادق باي تونس معاهدة الحماية في ١٢ أيار « مايو » ١٨٨١ •

المقاومة

شجع التونسيين على الثورة ، عاملان :

---

١ ـ ص ٢٠٣ « المغرب العربي » للدكتور صلاح عقاد •

١ ـ قيام ثورة في الجزائر ، هي ثورة (بو عمامه) في جنوب وهران في صيف ١٨٨١ ٠

٢ ـ احساس التونسيين بأن القوات العثمانيـة المرابطـة في طرابلس الغرب ستؤيدهم ، أو على الاقل ستؤويهـم اذا فشـلوا في حركتهم ، لذلك كان القسم الجنوبي من تونس هو المسرح الرئيسي للثورة ، وبخاصة في مدينة القيروان(١) المشهورة في شمال افريقيا كلها بمكانتها الدينية والتاريخية العظيمـة ، فهـي أول مدينـة اسلامية بناها عقبة بن نافع ، عندما فتح المسلمون البلاد ، وهذا يدل على أهمية الباعث الديني في حركة المقاومة ، ومن القيروان امتدت الثورة الى الساحل الجنوبي ، فاحتل الثوار ميناء سفاقص ، وطردوا منه نائب الباي ، الذي أصبح في نظرهم خائنا بقبولـه التوقيع علـى معاهدة الحماية ، ونادوا بأحد رؤساء القبائل علي ابن خليفة أميرا عليهم ٠

حشدت فرنسا ٥٠,٠٠٠ جندي ، أرسلوا الى تونس تحت قيادة الجنرال (سوسييه) ، وقد ركزت جميع الجهود للاستيلاء علـى القيروان عاصمة الثوار ٠

وفي ٨ حزيران ١٨٨٣ وقعت معاهدة « المرسى » مكملة لمعاهدة « الباردو » فوسعت فرنسا بذلك اختصاصات الحماية ٠

★ ★ ★

ان السياسة الاستعمارية الفرنسية ، التي انتهجتهـا في تونس وشمال افريقيا بشكل عام ، كانت ترمي الى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الاسلامية العربية ، والى دمج الشعب العربي

---

١ ـ القيروان ، بدأ أبناؤها سنة ٤٩ هـ أو ٦٦٩ م وانتهى بعد أربع سنوات ٥٣ هـ/٦٧٣ ٠ بناها الفاتح المسلم عقبة بن نافع ، أشهر ما بها جامعها ، حتى قيل : « لم يبن عقبة مدينة لها جامع ، بل بنى جامعا له مدينة ! » ٠ ويقال ان قيروان كلمة فارسية تعني « القافلة » ٠

في شمال افريقيا في الحضارة الاوروبية ، والثقافة الفرنسية ، عن طريق نشر اللغة الفرنسية ، ومقاومة الشريعة الاسلامية التي رأت فرنسا فيها ، انها العقبة الوحيدة التي تحول دون الادماج ٠

مما سبق ، فان حركة التحرر التونسية ترد الى اصول اسـلامية بحتة ، وهي تتمثل :

أولا ــ في حركة التجديد التي انتشرت في المشرق ، سواء كان ذلك احياء العقيدة ، أم تجديد النظم السياسية ٠

ثانيا ــ في المراكز الاسلامية العريقة القائمة في تونس ، وعلى رأسها « جامع الزيتونة(١) » ٠ ان أحد أبناء هذه المدرسة الدينية ويدعى محمد السنوسي قدم عريضة موقعة من أعيان البلاد يطالب فيها بالغاء الحكم الفرنسي ، واحياء الدستور ٠

كما خرجت هذه الجامعة شخصية وطنية أخرى، هي الشيخ المكي ابن عزوز ، الذي اهتم باحياء المبادىء الاصلاحية التي بدأها أحد الوزراء المستنيرين واسمه « خير الدين » ٠

واستطاع السيد علي أبو شوشة صاحب جريدة الحاضرة أن يجمع من حول جريدته كتلة قوية من أصدقائه ، وغيرهم من مثقفي الزيتونة ، وقاموا بحركة دينية ترمي الى تقوية روابط القطـــر التونسي بحركة الجامعة الاسلامية ، وتطالب من جهة ثانية بتنفيذ الدستور التونسي ٠

ومن الذين اشتهروا بتحرير هذه الصحيفة حتى صاروا يعرفون باسم جماعة الحاضرة ، عمر أبو صاحب ، وعلي البقلاني ثم الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي سيلعب فيما بعد دورا أساسيا في الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى ٠

---

١ ــ ص ٣٤٦ : « المغرب العربي » ٠

* « ان حمق السياسة الفرنسية في تونس هو الذي أعاد الحركة الدينية الوطنية في تونس » ، فقد نمت تصرفات الاقامة العامة عن تحد صارخ لشعور التونسيين الديني والقومي على حد سواء • ومن أعمال التحدي هذه نستطيع أن نذكر عدة وقائع(١) :

أولا : اقامة تمثال سنة ١٩٢٥ في مدينة تونس للاسقف «لافجري» ذلك الاسقف الذي اشتهر في تاريخ الجزائر بتحمسه الشديد للتبشير واغراء أبناء المسلمين بالتحول عن دينهم •

ثانيا : بمناسبة مرور خمسين عاما على احتلال البلاد ، أي في سنة ١٩٣١ ، قررت السلطات الفرنسية اقامة احتفالات عظيمة ودعوة رئيس الجمهورية الفرنسية لزيارة تونس ، وخصص جزء من الميزانية التونسية للانفاق على هذه الاحتفالات ، ومما زاد الطين بلة ، ان الاقامة العامة اعتمدت لهذه المناسبة ٢ مليون جنيه لعقد مجمع كنسي ، وصفه أحد الاساقفة بأنه سكون مظهرا للصليبية الجديدة المسالمة(٢) •

★ ★ ★

ومن أبرز العلماء المسلمين في حركة التحرر في تونس :

العلامة الشيخ
محمّد الخضر حسين

وهو محمد بن السيد خضر بن حسين التونسي ، ولد في بلدة

---

١ ـ ترأس المجاهد على باش حمبة التونسي جماعة من الاستانة لتزويد الثوار بالسلاح وذلك عن طريق الغواصات الى طرابلس ومنها الى تونس ، ليكون مندوبا عن الخليفة العثماني لتحرير مسلمي شمالي افريقيا من « الاستعمار المسيحي » • لكن علي باش حمبة لاقى وجه ربه ، ومغزى هذه المحاولات هو دلالتها على أهمية الاسلام في حياة الوطنية التونسية •

(راجع المغرب العربي ص ٣٥١) •

٢ ـ المغرب العربي ص ٣٥٦ ، عن علال الفاسي ص ٦٠ وما بعدها •

« نفطة » من مقاطعة الجريد بتونس ، سنة ١٢٩٢ هـ الموافق سنة ١٨٧٤ م[1] ٠

لما بلغ الثانية عشرة من عمره ، انتقل مع والده الى عاصمة البلاد تونس والتحق بجامع الزيتونة أرقى المعاهد الدينية في تلك البلاد، وحصل منه على الشهادة العالية في العلوم الدينية والعربية ٠

تولى القضاء الشرعي في مدينة بنزرت وملحقاتها سنة ١٩٠٥ ، ثم ترك القضاء رغبة منه في التعليم ، فعين مدرسا للدروس الدينية والعربية في جامع الزيتونة ، كما تولى التدريس في المدرسة الصادقية وأنشأ مجلة تسمى « مجلة السعادة العظمى » فأغلقتها سلطات الاستعمار الفرنسي ، لما تحمله بين طياتها من تثبيت معالم تونس والشمال الافريقي ، الاسلامية والعربية ٠

حكمت عليه فرنسا بالاعدام لاشتغاله بالسياسة ، ولدعوته الى النضال ضد فرنسا ٠ فقد كانت دروسه كلها دعوة صريحة للجهاد ضد المستعمر الصليبي ، فهاجر مع عائلته الى دمشق سنة ١٣٣١ هـ ، واتصل بطبقاتها ، فحصلت له المكانة المرموقة عند الجميع ، وتولى في دمشق التدريس في المدارس الرسمية والاهلية ، ثم عين محررا في ديوان وزارة الحربية التركية ، وفي ابان الحرب العالمية الاولى سافر مرتين الى ألمانيا بمهمة رسمية موفدا من قبل أنور باشا وزير الحربية ٠ ولما رجع من مهمته قادما الى دمشق ، اعتقله جمال باشا فور وصوله أشهرا بدمشق بدون سبب ولا موجب ، سوى منعه من التدريس ، خشية أن يبث أفكارا تنافي رغبة السفاح، ثم أفرج عنه ٠

غادر دمشق الى القاهرة لاجئا سياسيا سنة ١٩٢٢ ، فرارا من ملاحقة الفرنسيين ، ودخل فحص الشهادة العالية الازهرية ، فاستحقها ٠ ثم عين من قبل وزارة المعارف مصححا بالقسم الادبي

---

١ ــ أعلام الاسلام ، ص ١١٥ ، للاستاذ عبد الوهاب سكر ٠

بدار الكتب المصرية ، ثم رغب في التدريس ، فعين مدرسا ، وعين عضوا في المجمع اللغوي بالقاهرة ، وقدم رسالته العلمية « القياس في اللغة العربية » فنال بها عضوية هيئة كبار العلماء ، وفي سنة ١٩٥٢ اختير لمشيخة الازهر ٠

وفي مدة اقامته في القاهرة أنشأ جمعية الهداية الاسلامية ، وأصدر مجلة تحمل نفس الاسم، واستلم تحرير مجلة «نور الاسلام» كما استلم تحريرها حينما سميت « مجلة الازهر » ، وترأس جمعية جبهة الدفاع الافريقي الشمالي ٠

توفي يوم الاحد ١٢ رجب ١٣٧٧ هـ الموافق في ٢ شباط ١٩٥٨م فعليه رحمة الله ٠ لقد عم خيره وجهاده تونس وسورية ومصر ٠ فألف تحية لجامع الزيتونة المنتج ، الذي خرج الجيل الاول من المجاهدين العلماء ، الذين حملوا راية الدفاع عن أرض الوطن قولا وعملا ، وكان على رأسهم الشيخ العلامة محمد الخضر الحسين(١) و :

الشيخ عبد العزيز الثعالبي

نشأ الثعالبي تونسيا ، ودرج للعلم زيتونا ، وتعدت به عبقرية دائرة الكتب الزيتونية الدراسية ، فأخذ يتناول كل ما تصل اليه يده من خزانة الجامع ومكتبته العبدلية ٠٠ فبرز من جامع الزيتونة نابغة عبقريا ، غريبا شاذا بين أهل عصره ، شأن كل نابغة عبقري ٠

لقي عبد العزيز من الجامدين والمستبدين ، ما يلقاه مثله، فهوجم

---

١ ـ من علماء تونس المجاهدين في هذه الفترة ، الشيخ البشير صفر ، الذي قال عنه العلامة عبد الحميد بن باديس : « أنا شخصيا أصرح بأن كراريس البشير صفر الصغيرة الحجم ، الغزيرة العلم ، هي التي كان لها الفضل في اطلاعي على تاريخ أمتي وقومي ، والتي زرعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لان أكون جنديا من جنود الجزائر ٠ [ابن باديس ، ج ٤ ، ص ٣٢٦] ٠

وأوذي وسجن ، ولكنه لم يتزحزح قيد شعرة عما حبس نفسه عليه من اصلاح المجتمع من جميع نواحيه ·

رحل الثعالبي الى الازهر ، وحضر دروس « الشيخ البشري » وعاد الى تونس وقد فتحت له الرحلة عالما آخر ، وابتدأ تكوينه العالمي · ورحل الى الجزائر والمغرب ، ولما عاد الى تونس أعطاها حقها ، عندما وضع لها أسس نهضتها ، كما أعطى في رحلاته حق الشرق والعروبة والاسلام ، فكان نظام العقد ، وعنوان الوحدة ، وروح الاتصال ، فلفت أنظار الشرق الى تونس عروس الشمال الافريقي ·

لقد كان الثعالبي برهانا ساطعا ، ودليلا متنقلا على ظلم الاستعمار واستبداده ، وما يلاقيه الشمال الافريقي من كيده وبلائه ويكذب كل ما يتظاهر به هنالك ، حيث لم ترسخ قدمه ، ولم يتم سلطانه ، لذلك شعرت فرنسا بعظيم ضرر الشيخ الثعالبي على سياستها في الشرق العربي والاسلامي ، فأذنت له بالعودة الى تونس بعد أن نفته منها، فالاستعمار الفرنسي هو الذي رد الثعالبي لمصلحته هناك في الشرق والمغرب والجزائر ، وأبى الله الا أن يستفيد الشرق والعروبة والاسلام من الشيخ الثعالبي هناك ويستفيد الشرق والعروبة والاسلام منه هنا ·

عاد الثعالبي فاهتزت شمال افريقيا برجوعه طربا(١) ، ورأت « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » في قدومه اعتزاز الاصلاح الاجتماعي الاسلامي من ناحية الفكر والاخلاق والسلوك في الحياة فأبرقت الجمعية تهنىء الشعب التونسي بقدومه ، وذهب رئيسها

---

١ ــ عاد الى تونس عام ١٩٣٧ ، وكان قد غادر تونس سنة ١٩٢٣ متنقلا بين مصر وسورية والعراق والحجاز والهند ، مشاركا في حركاتها الوطنية · من كتبه « حياة سيدنا محمد » و « روح القرآن » ···

[الاعلام ، ج ٤ ، ص ١٣٦]

العلامة عبد الحميد بن باديس لتحيته وتهنئته بقدومه وابلاغه بكل ما تحمله الجمعية والجزائر العربية المسلمة من الحب والاحترام والتعظيم لشخصه(١) .

قال الشيخ ابن باديس :

* « زرت الثعالبي في داره ، وبلغته عن الجمعية رسالتها، فقابلها بالشكر والثناء ، وتلقاها بالفرح والسرور ، وأي سرور هو ؟! سرور من وقف نفسه على الاصلاح ، وفارق الشمال الافريقي ولا دعوة للاصلاح فيه ، ثم جاءه بعد مدة من الدهر ، فوجد للاصلاح جندا قويا ، وقيادة منظمة ، وصوتا عاليا ، وكلمة نافذة ، وتقديرا لامثاله من الرجال المصلحين » . ويقول ابن باديس متابعا :

« انتهت بهذه المقابلة مهمتي كرئيس للجمعية ، وموفد من طرفها، وكانت بعد ذلك المجالس والاجتماعات والحفلات والزيارات في دار الشيخ وغيرها ... كانت وكنت فيها كجندي بسيط من جنود العروبة والاسلام ، وجدت فيها الانس ونعيم النفس ، وكل ما يغذي الروح ، ويحيي الوجدان ، ويرضي العروبة والاسلام » .

★ ★ ★

* فهل قام الاسلام بعد هذا كله ، بما يطلب منه في مثل الاحوال التي تعرضت لها تونس أم لا ؟ هل قام بكل طاقاته ـ بجامعاته ورجاله ـ للذود عن أرض الوطن وقد دنسها الاستعمار الفرنسي الصليبي أم قبع سلبيا في الزوايا ينظر الى ما حل بالبلاد دون حراك!!

* ان سيرة الشيخ محمد السنوسي الزيتوني ثقافة .

ـ وعلي أبو شوشة ، وعمر أبو حاجب ، وعلي البقلاني ...

---

١ ـ انظر « ابن باديس » ج ٤ ، ص ١٤١/١٤٢ .

ـ والشيخ البشير صفر ، والشيخ محمد النخلي القيرواني (رائد النهضة الثقافية وأحد مدرسي جامع الزيتونة) •

ـ والعلامة محمد الخضر حسين • والشيخ الظاهر بن عاشور ، أحد أساطين الزيتونة •

ـ والشيخ عبد العزيز الثعالبي ، والشيخ محمد شاكر « في صفاقس » ، والشيخ محمد بيرم •••

وعشرات غيرهم من الجنود المجهولين ، الذين عملوا بحافز من الاسلام ، وماتوا لا يدري بهم الا الله وحده ، خير جواب لمن يسأل عن دور الاسلام في حركة التحرر التونسية ، ان الجواب واضح لا يحتاج الى مراوغة أو معادلات أو « تحليلات علمية » لنصل الى حقيقة أوضح من الشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب !

* لقد قام الاسلام بما طلب منه ، وسجل التاريخ بكل وضوح : أن جامع الزيتونة كان معقلا لمقاومة سياسة التمثل الثقافي ، وكان حارسا وقيما على التراث العربي الاسلامي • ومنه تخرج قادة التحرر والاصلاح •



السّودان

** « ان المؤرخ العربي الذي سيكتب تاريخ السودان ، يجب الا ينسى أن يكتب في طليعـــة ابطال الشعب العربي اسم محمد أحمد » ·**

ونستون تشرشل

* فتح محمد علي السودان عام ١٨٢٠ ، وبقي السودان تابعا لمصر ، وفي عهد اسماعيل وضع مشروع لتوسيع أمـــلاك مصر في السودان ، وفتح اقليم خط الاستواء « أوغنده حاليا » ·

لقد كانت الادارة الخديوية أيام توفيق خليفة الخديوي اسماعيل سيئة جدا ، لاعتمادها على عناصر أجنبية لا يهمها الا مصالحها ، وكان توفيق ، لا يرسل الى السودان من المصريين ، الا من غضب عليهم ، مما جعل السودان منفى لهم · كما استخدم الضباط الانجليز فى المناصب الكبرى في السودان(١)

---

١ ــ راجع لبحث السودان هذه الكتب التالية :

* تاريخ السودان الحديث لضرار صالح ضرار ، طبعة عام ١٩٧٤ ·
* الاسلام في القرن العشرين للعقاد ، ص ١٣١ وما بعدها ، ط كتاب الهلال ·
* المهدي والمهدوية للدكتور احمد أمين ، ط دار المعارف بمصر ·
* أعلام الاسلام « مهدي الله » ، لتوفيق أحمد البكري ط دائرة المعارف الاسلامية ·
* السودان الشقيق ، ابراهيم الاسيوطي محمد ، سلسلة كتب سياسية ·

فحركة التحرر ، وثورة السودان ، ثورة ضد تسلط الولاة والجباة الاتراك ، وحركة تحرر من ظلم خديوي مصر الذي سيطر عليه الانجليز ، وثورة ضد القيادة العسكرية الانجليزية المتسلطة على الجيش المصري المرابط في السودان •

فمن الذي جسد المرض ، وتفاعل على آلام شعب السودان ؟

من الذي قام بعبء حركة التحرر وطرد الظلم والاستعمار الانجليزي ؟

من الذي قام ينادي بالنهضة الاجتماعية ، ويدعو الى الاصلاح ؟

★ ★ ★

محمد احمد المهدي

لم يكن السودان بأسعد حالا من مصر ، فزمام الحكم فيه بأيدي



محمد أحمد المهدي

• « ان المؤرخ العربي الذي سيكتب تاريخ السودان . يجب الا ينسى أن يكتب في طليعة طليعة ابطال الشعب العربي اسم محمد أحمد » •

« تشرشل »

السادة الاتراك ، من حملة الالقاب الفخمة العريضة ، الذين استأثروا في الشمال بكل شيء ، واستأثروا في الجنوب بكل شيء ،

فتطلع أهل الشمال والجنوب ، الى زعيم ينقذهم مما حل بهم.فوجدوه في صورة زعيم ديني هو محمد أحمد المهدي ٠

ولفهم أحداث هذه الفترة ، لا بد من تسليط الاضواء على سيرة هذا الزعيم الديني ٠

ولد محمد أحمد بن عبد الله بن فحل في ٢٧ رجب ١٢٦٠ هـ الموافق لعام ١٨٤٣ م ، في جزيرة « لبب » في جنوب السودان قرب مدينة « نقله » ، يرجع في نسبه للامام علي كرم الله وجهه ، انتقل الوالد مع أسرته الى قرية « كررى » الواقعة شمال أم درمان بقليل ، حيث عمل في نجارة السفن ٠ مات أبوه وهو صغير ، فذهب الى الخرطوم ليقرأ الفقه والتفسير ، بعد أن حفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره(١) ٠ اتصل بالشيخ محمود الشنقيطي ، ثم دخل خلوة الشيخ الامين الصويلح بمسجد « ود عيسى » بالجزيرة ، ثم مضى الى خلوة الشيخ الامير ، وارتحل بعدها الى الفقيه العالم الشيخ محمد الخير في « الغبش » تجاه بربر ، فطاب له المقام والاعتكاف على الدرس والتحصيل ، وبهرته دون أترابه أنوار التصوف فأقبل عليها ٠

عاد الى الخرطوم ، ثم الى جزيرة « أبا » حيث اعتكف ، فما عاد بحاجة الى التنقل في طلب العلم ، ولكنه بحاجة الى اعتكاف يخلو فيه بنفسه ٠ وفي هذه الفترة تتلمذ على الشيخ أحمد الطيب بن البشر السماني الطريقة ، لازمه فترة ، ثم اختلف معه ، ولازم الشيخ القرشي ود الزين ، ولما مات الشيخ القرشي في أعقاب سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ م ، أوصى له بالخلافة ، فبايعه الاحباب ، ووفد عليه الناس ، فهو امام الوقت ، وتهامس الناس بأنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما ٠

قام محمد أحمد المهدي بجولة في غرب السودان ، ليزيد من أواصر التفاهم بينه وبين أقيال العشائر ، ونظار القبائل، وأصحاب

---

١ ـ الاعلام ، جـ ٦ ص ٢٤٥/٢٤٦ ٠

الشأن في البلاد ، وضم الى عداد تلاميذه في الطريقة السمانية عشرات الالوف من المريدين المخلصين ٠

ولكن ماذا شاهد في هذه الرحلة من أحوال البلاد ؟!

لقد أبصر ادارة سيئة يتولى دفتها الجهلاء والافظاظ من الاتراك ويبيعها كبار الرؤساء منهم الى الموسرين من السودانيين لتكون سبيلهم الى الابتزاز الاموال ، وجمع الثروات ، وارهاق الشعب ٠

وأبصر تفشي الرشوة ، وبيع مناصب الدولة لاناس ليسوا أهلا لها ، وأن ثمن كل منصب محدود معلوم ٠ وشاهد أرواحا مهددة ، وحريات مغتصبة ، وأملاكا منتزعة ، وبلادا مخربة ، هجرها أهلها خوفا من شدة الضرائب ، وفرارا من قسوة الجباة ٠ ان الضريبة الواحدة لتزداد وترتفع حتى ليدفع الرجل في ضريبة العشرين قرشا مثلا ، خمسمائة قرش أو تزيد ، والجباة يحملون قدر ثلثها الى ناظر القسم ، وقدر الثلث الى المدير في المنطقة ، وهكذا حتى لايصل الى الخزانة العامة غير العشرين قرشا ٠ ان الرجل ليبيع متاعه وكل شيء لديه ، ليدفع الضريبة الباهظة ، فان عجز ، سيق الى ناظر القسم فتفنن في اذاقته العذاب ألوانا على مرأى وسمع من أهله ، ليكون نكاله نذيرا ، وتذكرة للاخرين ٠

وأبصر في جولته تجارة الرقيق ، التي أصبحت بابا من أبواب الثروة الواسعة لتجاره ٠

* فكر محمد أحمد المهدي عند عودته الى جزيرة « أبا » ، بعد أن بسط نفوذه في جميع أنحاء غرب السودان ، بما أبصر ، وما في نفسه من رغبات وآمال جسيمة في الاصلاح والجهاد ٠ ان أحوال الشعب كانت تؤذن بهبوب العاصفة ، ان الاصوات المكتومة ستنطلق يوما ما قوية تملأ الفجاج : الله أكبر ! الله أكبر ! الجهاد الجهاد لاعلاء كلمة الله ورسوله ٠

وفي منتصف شعبان ١٢٩٨ هـ/ ٢٩ يونيو ١٨٨١ م ، اجتمع في

جزيرة « آبا » خلق كثير ، فقام المهدي بعد انتهاء الصلاة خطيبا في محبيه ، وعدد في خطابه مزايا الدين الحنيف ، وأبان وجوه الظلم والجور اللذين أصابا الشعب السوداني والمسلمين ، وأكد لهم أن سبب ضعف الادارة وجورها ، وأطال في الاسباب التي كانت مقدمة لتلك النتائج والامور التي أفضت الى ثورة عرابي ، وما أعقب ذلك من أحداث جسام في مصر ٠

فارتفعت الاصوات بالبكاء والنحيب ، وكبر الحاضرون وهللوا ثم طلب من أحبابه أن يقطعوه الميثاق والعهد ، فبايعوه على الرضا بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، وبه اماما ومهديا وعلى زهد الدنيا ، وعلى الجهاد في سبيل الله ٠

والسودان كله آنذاك يتطلع الى المنقذ الذي سيحطم عنه قيود الظلم والاستبداد ، وسوء الادارة وباهظ الضرائب ٠ والناس كلهم يتطلعون أيضا الى هذا المهدي المنتظر ، الذي أعلن دعوته ، وأشهر أمره ، وطلب الناس الى الجهاد في سبيل الله ، لاعادة ماضي الاسلام المجيد ٠

وأراد الحاكم العام للسودان اخماد الحركة الجديدة التي ذر قرنها ، قبل أن يستفحل أمرها ، ويتلظى أوارها ، فيصعب اخمادها والقضاء عليها ٠ والمهدي يعلم أن الحكومة ستنازله القتال ٠

أرسلت السلطات باخرتين بهما فصيلتان من المشاة ، ومثلهما من الفرسان ٠ فلما رست الباخرتان في ليلة الجمعة ١٦ رمضان ١٢٩٨ هـ/ آب (أغسطس) ١٨٨١ م ، سار الجند نحو القرية ، وأنصار المهدي يترقبونهم بين الاشجار والايك الكثيف المتشابك ، وهم لا يزيدون على حفنة قليلة من الرجال ، ولا يحملون من السلاح سوى العصي والهراوات والرماح ، وعدد العصي يربو على الرماح ٠

وانطلق الرصاص من جند السلطة ، والليل أليل والاحراش

كثيفة ، ونظام الجند واهن مفكك ، والقائدان مختلفان ، فوثب الانصار عليهم وأبادوهم الا قليلا ، وارتدت الباخرتان تدافعان التيار هربا صوب الخرطوم ، لتبلغا الحاكم العام نبأ الكارثة، وتذيعا في الناس نبأ انتصار المهدي وأنصاره العزل ، على الجنود المدججين بالسلاح .

أعلن المهدي بعد ذلك لتلاميذه بأنه أمر بالهجرة الى جبل ماسة بالقرب من جبل قدير في جبال النوبة بكردفان ، فحقق نصره الثاني في معركة راشد في ١٦ المحرم ١٢٩٩/٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨١ ، ثم سقطت « الابيض » في ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٣ . فكان لهذه الهزائم صدى مدويا في لندن والقاهرة والخرطوم فكانت حملة الكولونيل وليم هكس على السودان .

كتب المهدي الى هيكس وينذره ، ويطلب منه وجنوده الدخول في طاعته والايمان بدعوته، ولكن هيكس سيرد عليه يوم يلتقي الجمعان في « شيكان » في ٥ تشرين الثاني « نوفمبر » ١٨٨٣ ، سيرد في غروره المعروف ، فهو القائل : « لو سقطت السماء لسندتها بالسنكي ، ولو مادت الارض لثبتها بقوائم الخيل ، وأرجل الجيش » .

وفي موقع شكان على بعد ثلاثين ميلا من الابيض ، كان مصرع هيكس وكبار ضباطه على يد المهدي وأنصاره ، لقد أبيدت حملة هيكس عن آخرها ، عدا حوالي مائتي جندي وقعوا أسرى في أيدي الانصار .

* وفي شرق السودان هزم الشيخ عثمان دقنه بيكر ثلاث مرات ، وأصبح استيلاء المهدي على السودان كله مسألة وقت ، وكانت كارثة جيش هيكس حديث السودان ، والعالم الاسلامي بأسره ، فاقبلت الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش لزيارته والانضمام اليه ، وكان ذلك يهدد مصالح كثير من الدول الاستعمارية مثل انجلترا التي تسيطر على الهند ، وفرنسا التي احتلت تونس .

ومن الملاحظ أن سياسة بريطانيا نحو المسألة السودانية أصبحت واضحة ، لقد اعتمدت على فكرة اخلاء السودان ، واقامة حكم قبلي ، لكي ينقسم السودان على نفسه ، ويفقد الوحدة القومية ٠

وأصدر مجلس الوزراء البريطاني في ١٨ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٨٤ ، بلاغا رسميا يمهد فيه بمهمة الجلاء عن السودان الى الجنرال غوردون ، وأنه سيكون ممثلا للحكومة الانجليزية في الخرطوم ٠ فلما وصل القاهرة بصحبة الكولونيل ستيورات الذي كان في السودان منذ عام ، ليكتب تقريرا عن أحواله ، رفعه الى الحكومة البريطانية ٠ وطلب السير ايفلن بيرنج « لورد كرومر » ، من الخديوي تعيين غوردون حاكما عاما للسودان ٠ وبالفعل وصل غوردون الخرطوم ٠ وأرسل للمهدي كتابا يعترف له بحكم السودان الغربي ، وطلب مساعدته على اخماد نيران الثورة في السودان الشرقي ٠

وكان رد المهدي ثياب الدراويش والانصار ، جبة وسروال ومنطقة خوص النخل ، وحذاء وعمامة وطاقية وسبحة ، ودعاه الى الدخول في الاسلام ، فتضايق غوردون من رسائل المهدي ، وطلب منه ألا يكتب اليه مرة ثانية(١) ٠

حاصر المهدي الخرطوم ، وساء حال غوردون ، الا أنه كان يأمل في وصول حملة الانقاذ اليه(٢) قبل سقوط الخرطوم ٠ ولكن الخرطوم سقطت بيد المهدي وجنده ، يوم الاثنين ٢٦ كانون الثاني (يناير)

---

١ ــ نشرت الاهرام في ٢٠/١٠/١٩٦٧ نص رسالة المهدي لجوردون مع الثياب على الشكل التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ٠٠٠ أرسل اليك بعض الثياب انها مكونة من قميص وعباءة وعمامة وزنار وسبحة ، انها ثياب الذين زهدوا بهذا العالم ، وأصبحوا يتطلعون الى السعادة والجنة ٠ اذا شئت حقا أن تؤمن بالله ، فعليك أن ترتدي هذه الثياب على الفور وأن تخرج » ٠

٢ ــ حملة الانقاذ هذه كانت بقيادة اللورد « ولسلي » ، ولكنها لاقت مقاومة عنيفة فتباطأت في تقدمها ٠

سنة ١٨٨٥ ، ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٠٢ هـ ، وقتل غوردون ، وقد أراده المهدي حيا ليفتدي به عرابي من أسر الانجليز ، ويخرجه من منفاه البعيد في سيلان ليساعده في فتح مصر ! ان بين الزعيمين عواطف متبادلة ، فكلاهما رجل دين وتقوى وصلاح !

« بيد أن الايام لم تجعل للمهدي فرصة لتحقيق أغراضه الكبرى في اقامة دولة اسلامية موحدة تعيد الى الاسلام عزته ومنعته[١] » ·

لقد مشت الحمى في جسده ، واشتدت وهو يغالبها ويدافعها عنه ، ولكن من ذا يغالب « التيفوس » ؟ فمات وهو ابن اثنتين وأربعين سنة فقط ، في يوم الاثنين ٩ رمضان ١٣٠٢ هـ/٢٢ حزيران «يونية» ١٨٨٥ م ، بعد أن عين عبد الله التعايشي خليفة له ·

تلك سيرة المهدي ايجازا واقتضابا ، انها حركة دينية بحتة في حياة السودان ، ان صاحبها مصلح ديني ساءه ما رأى من أحوال بلاده ، لم يكن رجل دنيا ، أو طالب ملك ، أو سلطنة ، أو جاه ، ويظهر ذلك توليته الامر بعده الى خليفته عبد الله التعايشي ، وعدم تخليفه أحدا من بنيه وعشيرته ·

★ ★ ★

عبدالله التعايشي

افتقد التعايشي[٢] هالة التقديس والاحترام الديني الذي أحاط بالمهدي ، لذلك بدأت منازعات بينه وبين الاشراف ، واستطاع بعد

---

١ ــ تاريخ السودان الحديث ، ص ١٦٢ ·

٢ ــ هو عبد الله بن محمد التعايشي « من قبيلة التعايشة »:[١٢٦٦/١٣١٧ هـ ــ ١٨٥٠/١٨٩٩ م] ولد في بادية الغرب الجنوبي من دارفور ، بويع بعد المهدي عام ١٨٨٥ م ، فأقام في أم درمان · طلبت ايطاليا من انكلترا أن تساعدها على المهديين فوجهت انجلترا جيشا بقيادة كتشنر ····

[الاعلام جـ ٤ ، ص ٢٧٦/٢٧٧]

صراع ، أن يثبت قواعد حكمه في الجولة الاولى • ثم جابه الثورات العشائرية ، ولاحت الاطماع الخارجية في الافق الاحباش من طرف ، والبريطانيون من طرف ، وكذلك البلجيكيون ، والايطاليون الذين بدأوا غزوهم على السودان الشرقي ، كما تغلغلت فرنسا في أعالي النيل • ولكن الخطر الاقرب كان من بريطانيا التي أخذت تتهيأ وتتبلور مع مطلع عام ١٨٩٦ •

لقد افلح كتشنر في تدريب الجيش الذي سيرافقه في غزو السودان ، وجعله قادرا على مواجهة قوة الجنوب •

وجاء الامر من لندن بالزحف على السودان بجيش مزود بسلاح جديد هو بندقية « مكسيم » عديدة الطلقات ، فسار كتشنر بأعصاب هادئة ، بعد أن أنشأ خطا حديديا مع الحدود المصرية الى داخل السودان ، وأنشأ مستودعات ضخمة على طول الخط ، ثم زحف مع ٢٥ ألف رجل مشاة وفرسانا ، ومدفعية ميدان ، وجمالا وسفنا نهرية ، وزوارق مسلحة ••• باتجاه الخرطوم ، وتلاقى الجمعان •

قال شاهد عيان : « كانت تلك المعركة اعداما بمعنى الكلمة » ، حين رأى آلاف المهديين يتساقطون في أحدث ما أنتجته المصانع البريطانية من سلاح •

ويقول آخر : « كنت أرى الدراويش فرسانا ومشاة يسقطون صفا وراء صف ، أمام نيران الجيش الحاصدة ، وهم يتلقونها بقلوب لا تهاب الموت ، حتى رأوا أنه يستحيل عليهم اختراق هذه النيران » • وعند ذلك اضطروا الى التقهقر • ثم حاولت الخيالة البريطانية أن تقطع عليهم خط العودة الى ام درمان ، ولكن عثمان دقنة قد أعد لهم كمينا ، وما أن اقتربوا منه حتى هب عليهم برجاله ، فأوقع فيهم الرعب والفوضى ••• لكن ما لبث أن تنبه كتشنر لما حدث فأنجدهم ثم رأى التعايشي أن يأمر بقية جيشه بالهجوم مرة ثانية وأبطال السودان يتلقون رصاص المدافع الرشاشة بشجاعة ، حتى سقط

منهم عشرة آلاف قتيل . فانسحب التعايشي يريد غرب السودان .

حاول التعايشي أن يجند رجالا من غرب السودان لمواصلة الكفاح ضد الغزاة ، ولحق به القائد الشيخ عثمان دقنة بمن معه من رجال ولكن العدو كان لهم بالمرصاد مقتفيا أثرهم ، وعندما بلغوا قرية (جديد) بدأت قوات الغزو بقيادة السير رجلند ، ونجحت بضرب المجاهدين السودانيين برصاص المدافع الرشاشة حتى حصدتهم . ولما رأى التعايشي وأصحابه أنهم خسروا المعركة افترشوا فراء الصلاة وجلسوا هادئين ينتظرون الموت بجنان ثابت كما هي عادة الزعماء السودانيين عندما يخسرون المعركة الفاصلة ، فلا يولون الادبار . واستمرت رصاصات المدافع في حصدهم حتى أفنت معظمهم، ولم يبق منهم حيا غير الشيخ عثمان دقنة، الذي اعتقلته السلطات البريطانية وسجن ، ولم يفرج عنه خوفا من أن يثير القلاقل ، اذ رفض أن يعد بالاستسلام والتوقف عن الجهاد ، وظل في سجن « حلفا » حتى توفي في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٦(١) .

ومن أعمال كتشنر البربرية ، وضعه الالغام في ضريح المهدي ، فهدم القبة ، ولم يبق من الضريح سوى حيطانه القائمة ، ثم أمر بنبش االقبر ، واستخراج الجثة ، وقطع رأسها، ثم أرسله الى المتحف بلندن ، بعد أن بعثر العظام . ولم تعرف البلاد مثل هذه البربرية الا في كتشنر عند استيلائه على السودان ، اذ رجع بالعالم الى عهود مغرقة في البدائية .

وأخيرا ...

مما لا شك فيه أن الاسلام كان المحرك الاول والاخير في نفوس اتباع المهدي ، الذين دافعوا عن السودان دفاعا مجيدا ، أشاد به أعداؤهم الانجليز ممن حاربوهم في المواقع وخلدوا تلك الشجاعة

---

١ ــ تاريخ السودان الحديث ، من ص ٢٠٣ الى ص ٢٠٥ بتصرف . ٢

في كتبهم ، مثل « حرب النهر » لتشرشل ، و «مع كتشنر الى الخرطوم» لستيفنسن ، وكتب نعوم شقير الذي كان في المخابرات البريطانية للجيش الفاتح في كتابه يقول : « ولقد أظهر السودانيون فيها (أي واقعة كرري) من البسالة ، واحتقار الموت ، والاستهلاك في سبيل الغرض ما لا مزيد عليه »(١) ٠

« سقط السودان مثخن الجراح ، فاقد القوة ، ضعيف القدرة أمام سطوة الاسلحة البريطانية الفتاكة في كرري وفي النخيلة وفي أم دويكرات ٠ وكانت تلك المعارك الثلاث قد ألحقت الدمار بالقدرة السودانية التي استكانت بعدها لسلطان القوة والجبروت ٠

لكن ما لبثت ذكريات الاستقلال ، والعيش تحت ظل الاحكام الشرعية الاسلامية ، والانضواء تحت راية المهدية تعمل في نفوس بعض السودانيين ، فينفجرون في ثورة جامحة ، ما تلبث أن تخمدها المدافع الرشاشة »(٢) .

لقد قام الاسلام بما يطلب منه دين حياة ، قبل أن يكون دين آخرة ، في مثل ظروف السودان التي كانت ، وما زال الشعب السوداني يحمل في قلبه كل تقدير واحترام لزعيم ديني روحي هو محمد أحمد المهدي ، الذي كانت ثورته الاسلامية الحد الفاصل بين عهد القبلية البغيض ، وبزوغ عهد الشخصية السودانيةدولة عربية مسلمة ٠

وبعد أما قام الاسلام بدوره المطلوب ــ بعد هذا كله ــ في كيان السودان ؟!

★ ★ ★

---

١ ــ المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ٠
٢ ــ المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ٠

الصومال

* « سوف لا أرد عليك ، حتى تصل الينا ، وسترى بعينيك الجواب » •

الشيخ الملا

الشيخ محمد عبد الله حسن الملا

* ولد السيد محمد عبد الله حسن الملا في قرية « شب فروت » ، وتربى عند أخواله في (لاس عانود) ، وحفظ القرآن الكريم ، وعلوم الدين في (هرر)(١) ، وحج بيت الله الحرام ، وتلقن مبادىء الثورة المهدية في الحرم النبوي الشريف • ثم عاد الى « الاوجادين »، فالتف حوله الطلاب ، وأخذ يلقنهم تعاليم الدين ، وأصول الجهاد ، ثم رحل الى « بربرة » بهم ، وفي ليلة حالكة السواد نزل الانجليز بربرة ، وكانت خيوط الفجر قد بدأت تنتشر في الافق ، وتزاحم الناس في مسجد بربرة لصلاة الفجر ، وقف المؤذن يدعو الناس الى الصلاة • واعتقد الانجليز أن هذا الاذان دعوة الى الجهاد الذي طالما سمعوا عنه • وأخرج ضابط انجليزي مسدسه وأطلقه على المؤذن ، فخر صريعاً •

---

١ ـ راجع الاماكن الهامة على مصور للصومال • وهذا البحث مرجعه كتاب الصومال سلسلة شعوب العالم ، العدد ١٧ ، طبع دار المعارف ، ص ٧٩ وما بعدهـا •
وتحقيق عن الصومال نشرته بيروت المساء في ٣ حزيران ١٩٧٥ في عددها ٨٣ • ويخصنا من هذا التحقيق مقال : الصومال عبر التاريخ ، ص ٦٠ ـ ٦٤ •

وكانت هذه الرصاصة هي الشرارة الاولى لاشعال الحرب المقدسة ضد الانجليز ، وأعلن الملا الجهاد . فأمر الحاكم البريطاني بطرد طلابه من المدينة ، فسار مع طلابه متجها الى مدينة « بوعو » تحت رقابة القوات الانجليزية . وعلى مقربة من مدينة بوعو حاول الانجليز التخلص منه ، ودارت بينه وبينهم معركة رهيبة عند مشارفها . ولم يكن الجنود فيها سوى الطلاب الذين لايتجاوز عددهم الاربعين ، ولم يكونوا مسلحين الا بسلاح الايمان بالله والسيوف والحراب ، وقد استشهد ثلاثة من الطلاب ، وسبعة من الجنود الانجليز ، وفر الباقون ، ولجأ الملا الى لاس عانود عند أخواله . ودعا الناس الى الكفاح والجهاد ، وأخذ يدرب الشباب على فنون القتال والرماية ، وتمكن من بناء أربعين حصنا زودها بالذخيرة والمؤن ، وأقام فيها صهاريج المياه ، وأنشأ قلاعا عديدة داخل الاوجادين وكان معقله الرئيسي في « طليح » التي تقع بين لاس عانود وعرجابو ، والتف حوله المؤمنون ، وأخذوا يقاتلون الانجليز والخونة من الصوماليين الذين فروا من المعارك ، واتهمه الانجليز بالجنون وأطلقوا عليه لقب : « ملاح » أي الشيخ المجنون ، ولكنه صمد أمام الانجليز في موقعة « بيرا » ، فقد أرسل القائد الانجليزي « كوفيل » رسالة الى طليح يقول فيها للملا اهدم هذه المدينة قبل أن نصل اليك مع الجيش ، والا هدمناها فوق رؤوسكم،فكان جواب الملا عليه : « سوف لا أرد عليك حتى تصل الينا ، وسترى بعينيك الجواب » .

وبعد عامين من هذا التهديد وصل كوفيل بجيشه الى طليح ، ووقعت الحرب في قرية بيرا بالقرب من لاس عانود،وتمكن الدراويش بقيادة المجاهد المسلم ، من قتل القائد كوفيل ، ووقف الملا على رأسه وقال :

« أيها الكافر ، لقد توجهت الى الآخرة ، ومالك بقية من حياة ، وان رأيت في الآخرة جماعة لك في النار فقل لهم وقع الرصاص في

فمي ، ودخلت الرماح كتفي ، واذكر هناك قوتك وقوة بريطانيا ، وتعب بريطانيا معك » .

وقد استشهد من الدراويش اثنان وتسعون مجاهدا ، على حين قتل من الانجليز مائتان وسبعون قتيلا عدا الجرحى ، ثم اشتبك الملا مع الاحباش الذين عرفوا بعدائهم للاسلام ، وفي موقعة « جيججا » انتصر عليهم انتصارا رائعا ، وتمكن قائده « هري » من القبض على القائد الحبشي « الياس » وفر الاحباش الى هرر واحتموا بأسوارها ، وتمكن البطل المسلم المجاهد من اقامة حكم اسلامي في « جيججا » ، ونصب عليها الشيخ عبد السلام ، الذي ابتنى فيها المساجد ، وأقام بها المدارس ، وطلب ملك الحبشة من البطل المجاهد الصلح ، بعد أن أكد له أنهم يرغبون في السلم ، ويحافظون على حقوق الجوار .

عاد الملا الى « طليح » ليشتبك في معارك عديدة مع الانجليز، بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى . فاستخدمت بريطانيا سلاحها الجوي لضرب الحركة الوطنية ، وحرضت رؤساء العشائر ضده،فلم يجدها كل ذلك نفعا ، بل ازدادت حركة المقاومة شدة وعنفا . وشعر الانجليز والاحباش والايطاليون أن الارض تميد تحت أقدامهم ، فعقدوا عدة مؤتمرات عسكرية ، تحالفت فيها قوى الشر والاستعمار فتمكنت من القضاء على تلك الحركة الوطنية الاسلامية، التي تجلت فيها البطولة والفداء بأجلى مظاهرها .

تمكن الملا من شق طريق له على الرغم من الحصار الذي فرضه عليه الاستعمار ، وتمكن من الوصول واللجوء الى مدينة « ايمي » داخل اراضي الاوجادين ، وأخذ يبث تعاليم الثورة بين أهل تلك المنطقة ، حتى وافاه أجله المحتوم ، بعد عمر دام ستة وخمسين عاما . قضى معظمها في الجهاد والكفاح ونشر العلم . ودفن رحمه الله في قمة جبل عال يشرف على نهر « شبيلي » ، وذلك خشية أن تمتد اليه يد المستعمرين . ولم يعرف أحد قبره مدة طويلة من

الزمن ، ولما عاد الايطاليون الى الصومال في فترة الوصاية ، أحس الصوماليون أن من واجبهم الاعلان عن مكان قبر بطلهم المجاهد ، فأقاموا درجا على جانب الجبل يوصل الى مقبرته ، كـي يزوره الوطنيون ٠

من أقواله المأثورة : « لا حياة للصومال الا بالوحدة » ويوم يتمكن الصوماليون من تحقيق هذا الامل العظيم ، الصومال الموحدة في ظل دولة وعلم واحد ، يكونون قد حققوا أمنية هذا القائد المسلم العظيم ٠



الحاج فرح عمر :

*** بطل مسلم من ابطال التحريـــر في الصومال ، تذكره الصومال المسلمـــة اليوم بالفخر والاعتزاز ٠**

وهكذا ٠٠٠

ـ من الذي حمل راية الجهاد في وجه الاستعمار في الصومال ؟

ـ هل تقاعس الاسلام ، متمثلا في أبنائه الذين حملوه عقيدة وجهادا ، عن مقارعة الاستعمار ؟

اللهم لا ٠٠٠ وهذه الحقائق التاريخية أثبتت ذلك !

ليبيا

*** « واننا في الدفاع عن**
ديننا ووطننا صامدون ، وعلى
الله في نصرنا متكلون ٠ وقد قال
تعالى : وكان حقا علينا نصر
المؤمنين » ٠

الشيخ عمر المختار

* ارادت ايطاليا منافسة انجلترا وفرنسا في استعمار الشرق ، لتأخذ نصيبها من تراثه الذي تبدد منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فدرست البلاد العربية دراسة فاحصة ، فوجدت ليبيا فريسة سهلة المنال ، ومنهلا عذب الورود ، بعد ضياع تونس من حسبانها ٠

لقد طمعت ايطاليا بتونس ، بحجة حقها التاريخي فيها ، عندما هرمت هانيبال في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد وأحرقت قرطاجة ، واحتلت موقع تونس الحالي(١) ٠ ولكنها أخفقت بسبب المطامع الفرنسية وحذفتها من حسابها عندما احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١ م ، فالتفتت ايطاليا الى ليبيا ، وكان عليها أن تضمن موافقة الدول الاوروبية أولا ، ثم تهيئة أسباب الاحتلال وتنفيذه ٠

وقد نجحت ايطاليا في الامر الاول : فاعترفت لانجلترا بمركزها

---

١ ـ راجع روما والشرق الروماني للدكتور سليم عادل عبد الحق ٠ ص ١٢١ وما بعدها ٠ [المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٥٩ م] ٠

في مصر ، واعترفت لفرنسا باحتلال المغرب ، مقابل اعتراف هاتين الدولتين « بحقوقها » في ليبيا ٠

كما ضمنت ايطاليا موافقة ألمانيا على مشروعها الاستعماري ، وذلك لقاء دخولها في التحالف الالماني ـ النمساوي ، الذي أصبح تحالفا ثلاثيا في ٢٠ أيار ١٨٨٢ ٠

وهناك راي تاريخي يقول: ان بسمارك الذي كان يوجه السياسة الاوروبية في نهاية القرن التاسع عشر ، وصار يحلو له اللعب بالسياسة الدولية ، على هواه ولاجل مآربه . هو أول من غازل ايطاليا بعد اعلان وحدتها سنة ١٨٧٠ ، وصيرورتها دولة ذات كلمة فشجعها على احتلال ليبيا والحبشة ، لان المصلحة الالمانية الجديدة صارت تقضي بالتقرب من حكومة روما لتقويتها على فرنسا ، وتقضي بالتسامح مع القياصرة الروس ، لمنافسة الانجليز بالسيطرة العالمية(١)

بدأت ايطاليا تقوي نفوذها في ليبيا ، مستفيدة من ضعف العثمانيين واهمالهم لها ٠ فأوجدت « بنك دي روما » الذي عمد الى اقراض الفلاحين ، لقاء رهن أراضيهم ، ثم الاستيلاء عليها بعد عجزهم عن تسديد ما أخذوا . مما جعل هذا « البنك » مؤسسة اقتصادية هامة ٠ كما فتحت ايطاليا المدارس التبشيرية ، والشركات ووظفت رؤوس اموال ٠٠٠ ودعمت كل هذا بارساليات التبشير ٠

وفي ٢٧ ايلول ١٩١١ ، رأت الحكومة الايطالية أن الظروف مناسبة لاحتلال ليبيا ، فالدولة العثمانية ، التي تعتبر ليبيا تابعة

---

١ ـ راجع ص ١١ و ١٢ من كتاب عمر المختار : مقاتلا وشهيدا، كتاب السفير ٠
* ومع هذا الكتاب المذكور ، اعتمدت لهذا البحث الكتب التالية :
ـ مع الابطال ، للاستاذ محمد رجب بيومي ، الدار القومية للطباعة والنشر ٠
ـ الاسلام في القرن العشرين ، للمرحوم العقاد ، طبع دار الهلال ٠
ـ الاعلام ، ج ٥ و ٧ ، الطبعة الثالثة ٠

لها بشكل مباشر ، مهددة من جهة البلقان بتحالف بلغاري ، يوناني ، صربي ضدها • فظهر الاسطول الايطالي أمام شواطىء ليبيا ، يحمل أربعين ألف جندي ، مزودين بالمدافع الثقيلة ، وكامل الاسلحة الحديثة ، بينما لم يكن في ليبيا من القوات العثمانية سوى أربعة آلاف جندي ، فقد انسحبت قواتها وأرسلتها الى اليمن في أوائل عام ١٩١١ ، لقمع ثورة قامت هناك •

حاولت الدولة العثمانية مد يد العون الى ولايتها ليبيا ، ولكن الجهود ذهبت سدى أمام تفوق الايطاليين ، فوقعت معاهدة «أوشي» في سويسرا ، بتاريخ : ١٨ تشرين الاول ١٩١٢ ، وفيها تنازلت عن ليبيا لايطاليا •

★ ★ ★

ــ فمن قام للذود عن أرض الوطن ، الذي دنسه الايطاليون ؟
* وقع عبء المقاومة في الداخل على السنوسيين •

والسنوسية طريقة دينية(١) أرادت النهوض بالاسلام والعودة به الى أصوله الاولى ، كما كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم •

---

١ ــ مؤسسها أبو عبد الله محمد بن علي بن السنوسي الخطابي الحسني الادريسي ١٢٠٢ــ١٢٧٦هـ / ١٧٨٧ــ١٨٥٩ م زعيم الطريقة السنوسيةالاول ومؤسسها ، ولد في مستغانم من أعمال الجزائر ، وتعلم بفاس وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي ، جال الصحراء الى الجنوب من الجزائر يعظ الناس ، ثم زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة المكرمة ، وبني زاوية في جبل أبي قبيس ، ثم ارتحل الى برقة سنة ١٢٥٥ هـ ، وأقام في الجبل الاخضر ، فبنى الزاوية البيضاء ، وكثر تلاميذه،وانتشرت طريقته ، فارتابت الحكومة العثمانية في أمره ، فانتقل الى واحة جغبوب فأقام بها حتى توفي • له نحو ٤٠ كتابا ورسالة منها : ايقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن الاعلام ج ٧ ، ص ١٩٢ •

* وليست السنوسية مذهبا ، ولا نحلة ، ولا نقضا لمذهب من المذاهب ، وانما هي أخوة في الله ، أو طريقة يتبعها من يشاء من المسلمين ، ولا يطلب منه عند اتباعها غير قراءة الفاتحة على العهد •

الاسلام في القرن العشرين للعقاد ، ص ١١٠

لقد قويت المقاومة ، بسبب الروح الاسلامية التي حملها السنوسيون ، مما اضطر بالايطاليين الى الجلاء عن المناطق الداخلية والاعتراف للسنوسيين بحكمها ، حسب اتفاقية ١٩١٧ ٠

الا أن ايطاليا عمدت بعد الحرب العالمية الاولى الى تقوية حامياتها ، وأعادت احتلال المناطق الداخلية مستخدمة أحدث الاسلحة في ذلك ٠ ولم ينس الايطاليون المقاومة الرائعة التي أبدتها المدن الساحلية : « طرابلس ، طبرق ، درنة ، بنغازي » ، وكيف أنهم دفعوا الثمن غاليا قبل احتلالها ، الامر الذي دفع الايطاليين الى التصرف بوحشية ، تمثلت في حادثة « المنشية » قرب طرابلس ، اذ أعملوا يد الفتك الشنيع بالاهلين ، فلم يتركوا رجلا ، ولا امرأة ، ولا شيخا ، ولا طفلا ، الا قتلوه ٠ واستباحوا البلدة ثلاثة أيام بلياليها ، يذبحون وينهبون ، ولا رادع من ضمير يردعهم ٠

فالسنوسية : تحملت أعباء الجهاد ، وقام اتباعها من زواياهم لجهاد مقدس ، وبخاصة أن ايطاليا كانت تحمل حقدا صليبيا في احتلالها لليبيا ، فلقد كان النشيد الذي ردده الجيش الايطالي الذي غزا ليبيا عام ١٩١١ :

« يا أماه أتمي صلاتك ولا تبكي ، بل اضحكي وتأملي ، الا تعلمين أن ايطاليا تدعوني ، وأنا ذاهب الى طرابلس فرحا مسرورا لابذل دمي في سبيل سحق الامة الملعونة ، ولاحارب الديانةالاسلامية ساقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ، وان لم أرجع ، فلا تبك على ولدك، وان سألك أخي عن عدم حزنك علي فأجيبيه أنه مات في محاربة الاسلام »(١) ٠

قام السنوسيون من زواياهم للجهاد ، والزاوية كانت مركزا للحياة الروحية ، وفي نفس الوقت كانت مركزا للحياة الزراعية

---

١ ـ القومية والغزو الفكري ، ص ٢٠٨ ٠

والتجارية والسياسية والادارية والقضائيـة ، وهـي تتألف مـن مجموعة من الابنية كالمسجد ، والمدرسة ، والمضافة ، تحيط بهـا مزرعة يعمل فيها الاتباع في الزراعة ، كما يعملون في التجارة ، ويستقبلون الضيوف ، ورجال القوافل ويستضيفونهم .

وكان للسنوسية تنظيم عسكري ، اذ غالبا ما تختار زاويتهم في موقع حصين ، عند ملتقى الطرق ، لتأمين الغايتين الحربيةوالتجارية وكان أفرادها مسلحين ، منظمين تنظيما عسكريا ، فلما انسحبت الدولة العثمانية ليبيا(١) ، دعا السنوسيون الى تأليـف حكومـة وطنية ، أخذت على عاتقها متابعة الجهاد .

ولعل أعظم معركة جرت بين الطرفين ، معركة يوم الجمعة قرب « درنة » في ١٦ آيار ١٩١٣ ، التي قادها محمد الشريف السنوسي ، والتي انتصر فيها السنوسيون انتصارا كبيرا .

ومما جعل المقاومة تفتر ، هو فتك الاوبئة والقحط والجفاف والجوع ، فقد تعاقبت هذه الامور سنتين متواليتين ، ولم يخفف منها مساعدة العالم الاسلامي ، الذي اهتز بأجمعه للكارثة البشرية التي حلت بليبيا بسبب الاحتلال الايطالي .

١ ـ كان على راس السلطنة العثمانية في هذه الفترة محمد رشاد ، والصدر الاعظم حقي باشا .

عمر المختار

* « لن أبرح الجبل الاخضر مدة حياتي ، ولن يستريح الطليان فيه ، حتى يواروا لحيتي في التراب ... » .

عمر المختار

عمر المختار يستحق مجلدا ضخما لكتابة سيرته ، ايمانا ، وجهادا ، وخلقا ، فقلما يجود الدهر بأمثاله ، فهو مثال البطل المسلم، عاش للاسلام ومات من أجله ، انه بلا ريب سيد المجاهدين في ليبيا .

ولا يهمنا في معرض حديثنا هنا سير معاركه مع الطليان ، انما سنتحدث عن أمرين اثنين فقط . من هو عمر المختار أولا ، وكيف لاقى وجه ربه ثانيا .

١ ـ عمر المختار بن عمر المنفي ١٢٧٥ ـ ١٣٥٠ هـ/١٨٥٨ـ ١٩٣١ م ، أشهر مجاهدي طرابلس الغرب في حربهم مع المستعمرين الايطاليين ، نسبة الى قبيلة « المنفة » من قبائل بادية برقة ، ولد في البطنان (ببرقة) ، وتعلم في الزاوية السنوسية بالجغبوب ، وأقامه محمد المهدي الادريسي شيخا على «زاوية القصور» بالجبل الاخضر بقرب المرج . وسافر معه الى السودان سنة ١٣١٢ هـ فأقيم بها شيخا لزاوية « كلك » الى سنة ١٣٢١ هـ ، وعاد الى برقة شيخا لزاوية القصور ، فأقام الى أن احتل الطليان مدينة بنغازي سنة ١٣٢٩ هـ فكان في طليعة الناهضين للجهاد ، وطالت الحرب ، وتتابعت المعارك

ومنطقة عمر المختار ثابتة منيعة، وتهادن الايطاليون والطرابلسيون سنة ١٣٤٠ هـ ودب الخلاف بين زعماء طرابلس وبرقة ، وتجددت المعركة مع الايطاليين ، فتولى عمر قيادة «الجبل الاخضر»، وتلاحقت القبائل بالانضمام اليه ، واتفق الرؤساء على أن يكون هو القائد العام ، والرئيس الاعلى للمجاهدين ، وهاجمتهم القوى الايطالية ، فردوا هجومها ، وغنموا منها آلات حربية ومؤنا غير قليلة ، وأشهر ما نشب من المعارك : معركة « الرحيبة ، وعقيرة المطمورة ، وكرسة » وهي أسماء أماكن في الجبل الاخضر ، نسبت اليها تلك الوقائع .



الشيخ عمر المختار

يقول غراسياني Graziani القائد العام الايطالي ، في بيان له عن الوقائع التي نشبت بين جنوده والسيد عمر المختار : أنها « كانت ٢٦٣ معركة خلال عشرين شهرا »، هذا ما عدا ما خاضه عمر المختار من المعارك في خلال عشرين سنة قبلها ، وبينما هو في سرية من رجاله ، نحو خمسين فارسا بناحية « سلنطة » بالجبل الاخضر ، يستكشف مواقع

العدو فوجىء بقوة ايطالية احاطت به ، فقاتلها ، واستشهدأكثر من معه ، وأصيب بجراح ، وقتل جواده ، فانقض عليه بعض الجنود ، فأسروه(١) ، وهم لا يعرفون من هو ، ثم عرف وأرسل الى « سوسة » ، ومنها أركب الطراد « أوسيني » الى بنغازي ، وسجن أربعة أيام(٢) . ثم قدم للمحاكمة ، يوم الثلاثاء ١٦ ايلول ١٩٣١ .

٢ ـ في بنغازي ، وفي عمارة مجلس النواب الطرابلسي سابقا ، وهي العمارة التي كان الفاشيست قد اغتصبوها وجعلوها مركزا لحزبهم باسم ليتوريو ، أعدت القاعة الكبرى فيها للمحاكمة .

وتحت حراسة مرعبة ، نقلت سيارة من زنزانة السجن ، سيد المجاهدين الليبيين ، مكبل اليدين بالحديد الى المحكمة ، تتقدمها مصفحة تقل حملة الرشاشات ، وتحيط بها سيارتان فيهما حملة رشاشات ، وتمشي وراءهما سيارتان تنقلان ايضا حملة رشاشات .

انزل السجين الشيخ ، ومشى عالي الرأس كأنه ابن ثلاثين ، حتى بلغ قفص المحاكمة .

ارتبك جميع من في القاعة ، انه بدا كبيرا كبيرا للناظرين .

لم يكن الشيخ المثقل بالسنين وغدرات الزمان ليبدو سجينا ، بل عظيما ، عظيما ، عظيما ظهر .

وخيم سكون ، سكون رهيب يحكي صمت القبور ، حتى القضاة الذين بدأت لغة الموت تدور على ألسنتهم ، وفي خواطرهم ونياتهم ، جلسوا صامتين . حتى العسكر الذي يذبح ويقتل قد سكت !

ماذا ، أترهبون بدويا معمرا ، على حافة قبره ، وقد كبلتم يديه بالحديد ؟!

---

١ ـ كان ذلك مساء الجمعة ٢٣ ربيع الآخر ١٣٥٠ هـ ١٢ ايلول ١٩٣١ .
٢ ـ راجع الاعلام ، ج ٥ ، ص ٢٢٦/٢٢٧ . وكتاب عمر المختار للسيد أحمد محمود ، طبع مصر سنة ١٣٥٣ هـ .

ماذا دهاكم يا فاشيست ؟

لا ٠٠٠ انه لاكبر من شيخ معمر ، واعظم من انسان ٠ انه رمز شيء ما ، لا يعرف انسان ما هو !

وها هو القفص المحتجز فيه ، يتصاعد منه نـور ، ويتضوع عبق[1] ٠

* المحكمة كان يرأسها كولونيل اسمه « مارينوني »[2] أحاط به ضابط وثلاثة قضاة ٠ أقسم الترجمان اليمين ، وبدأ الكاتب يقرأ ما في ورقة الاتهام :

عصيان الدولة ، اعلان حرب صحيحة عليها ، قتل ضباطهـا وجنودها ، جباية الضرائب من الاهلين الخ ٠٠٠ الخ ٠٠٠

وترجمت ورقة الاتهام الى العربية ، وسأل الرئيس سجينه عن هويته ٠

وبصوت جلي واضح عذب ، متماسك الاوتار ، قال :

ــ اسمي عمر بن المختار ، وأمي عائشة بنت محارب ، من قبيلة « المنفة » ، عمري ٧٣ سنة ، ولدت في موقع دفنة.اقامتي في الجغبوب شيخا لزاوية القصور ٠

ــ هل سمعت ما ينسب اليك من تهم خطيرة ؟

ــ نعم ، وسأجيب عنها كلها ، واحدة واحدة ، مهما كبـرت وخطرت ٠

وانطلق عمر المختاريقص مأساة ليبيا منذ الاحتلال،والمفاوضات التي دعاه اليها رجال الاحتلال ، والوعود الكاذبة ، والنكث بهـا ٠

---

١ ــ التعبير هنا من كتاب عمر المختار مقاتلا وشهيدا ، ليوسف ابراهيم يزبك ، وينضوع من : (ض و ع) ضاع المسك ، من باب قال تحرك فانتشرت رائحته وتضوع أيضا ، وتضيع مثله ٠ مختار الصحاح : ٣٢٩ ٠

٢ ــ وفي رواية أن المارشال غرازياني قائد الحملات الايطالية هو الذي حاكمه٠

وتكلم عن الظلم والطغيان ، والاستبداد والاغتصاب ، وانتهاك الحرمات ، وتحقير المقدسات ٠٠٠

وانتهى قائلا برباطة جأش مذهلة : وانا أتحمل جميع التهم التي ألصقتها بي النيابة العامة العسكرية الا واحدة ٠٠٠

الرئيس : هل أنت قائد العصيان ضد ايطاليا ؟

عمر : نعم ٠٠٠ أنا هو ٠

الرئيس : هل حاربت الدولة الايطالية ؟

عمـــر : نعم حاربتها ٠

الرئيس : اني أكرر السؤال عليك فانتبه لنتائجه : هل حاربت الدولة الايطالية فتناولت السلاح في وجه قواتها واشتركت في قتالها فعليًا ؟

عمـــر : نعم ٠٠٠ نعم ٠٠٠ نعم !

الرئيس : كم هو عدد المعارك التي اشتركت فيها ، منذ سنة ١٩١١ حتى اليوم ؟

عمـــر : لا أذكر عددها لانها كثيرة لا تحصى ٠!!

الرئيس : هل قتلت ضابطين طيارين وقعا في يديك أسيرين(١)؟

وانتفض قائد المجاهدين ونبر : أما هذه فلا ، ثم لا ٠٠ فقد قبضت عليهما وأبقيتهما في « سلنطة » وفاوضت المركز الايطالي بشأنهما ، غير أن جنودكم هاجمونا ، وجرت بيننا معركة أرغمتني على الانسحاب ٠ ولما رجعت عرفت أن الضابطين قتلا ، ولم أعرف كيف ، ومن ٠ ولكني أؤكد أنهما قتلا بغير أمر مني ، وبغير مشيئتي ومعرفتي ٠

---

١ ـ وهما الطياران : اوبر وبياتي ٠

الرئيس : هل أمرت بقتل الجنود الذين كانوا يحرسون العملة في شق الطريق ؟

عمـــر : نعم ، أنا الذي أمرت بقتلهم ٠

الرئيس : منذ كم تتولى قيادة العصيان ؟

عمـــر : منذ عشر سنوات ٠

* وعلى هذا المنوال سارت « المحاكمة » كلها نعم ، نعم ، نعم ، كانت أجوبة الاسير عن جميع التهم التي نسبوها اليه ، ولم ينكر واحدة منها : فهو الذي قاد الثورة والجهاد ، وقام لمحاربة الاحتلال ، فقتل عسكره ، وهدم أعماله ، وخرب طرقه ، الا تهمة واحدة كاذبة بأنه قتل الضابطين الطيارين اللذين أسرهما ، فقد ردها ردا قويا جازما ، وكان ما قاله صحيحا ، فأسلامه يمنعه من قتل الاســير ، وللجهاد آداب في الاسلام ، لخصها سيدنا أبو بكر الصديق رضـــي الله عنه في عشر خصال ، جاءت في وصيته التي ودع بها جيش أسامة ابن زيد(١) ، وفيها يقول : « ٠٠٠ لا تخونوا ولا تغلوا ، لا تغــدروا ولا تمثلوا ٠٠٠ » ٠

ومن آداب الاسلام في الجهاد : عدم التمثيل بالقتيل أو الاحراق بالنار ، أو تجويع الاعداء ، أو ارهاب الاسرى ٠ فكيف يقتل عمر المختار أسراه ، وهذه هي آداب الاسلام في الجهاد ؟!!

لقد أصرت المحكمة على التهمة قصدا وعمدا ، لتمحو عن جبين الاستعمار وزعيمه موسوليني عار قتل الشيخ الاسير ، الذي وقع في يد الفاشيست ٠

وشتان بين الواقعين : فالطياران الاسيران قتلا ، وليس من دليل واحد أن عمر المختار أمر بقتلهما ٠ أما المجاهد العربي الاسير فهاهو أمام جلاديه ، يحاكمونه لانه قاوم طغيانهم وآثامهم ، وبعد ساعات قليلة يقتلونه علنا !

---

١ ـ راجع الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، والطبري ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ ٠

سخرت المحكمة ضابطا ايطاليا للدفاع عن عمر ، وماذا ينتظر من ضابط تربى في مدرسة الاستعمار الفاشيستي أن يقول في عربي مسلم عدو لدولته !

ومما أثير في نهاية المحاكمة ، موضوع الاموال ، والمساعدات التي عرضها عليه رجال الاحتلال في المفاوضات التي دارت بينهم لاجل الصلح • فلم يغتر عمر بمال • لقد رفض الاغراءات الايطالية ، وكان آخرها « هدية » من الجنرال «بادوليو» قيمتها مليون فرنك أرسلت اليه في شهر ربيع الاول من سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩ ، فرفضها المكافح المجاهد المسلم الابي رفضا عزيزا، وأجاب بأنه ليس من طلاب الهدايا ، ولا من قابليها •

وثبتت للمحكمة أيضا أن حكومة الاحتلال ، لم تجد في جميع سجلاتها الرسمية أو السرية أي مال دفعته لعمر المختار طوال سني الاحتلال • ما كان لعمر واخوانه المجاهدين أن يرضوا بمال أو هدية دنيوية زائلة ، انهم ينتظرون هدية ربهم بأن يسمح لهم بلقائه أتقياء أنقياء النية والضمير واليد •

انتهت المحكمة • ودخل رجال القضاء غرفة الاسرار، ولم يطيلوا رجعوا ليعلنوا الحكم بالاعدام •

وقت المحاكمة كلها ، منذ دخول المتهم قاعة المحكمة في الساعة الخامسة بعد الظهر ، الى خروج الحكم من فم الكولونيل مارينوني في الساعة السادسة والربع ، لم يزد على خمس وسبعين دقيقة • فكل شيء كان معدا من قبل •

سمع المتهم ترجمة الحكم الى العربية، ولم تتحرك شعرة في جفنيه، بل انه نظر الى هيئة المحكمة متعالي الرأس وقال : الحمد لله ! الحمد لله ! وكانت هذه الكلمات أوجع صفعة على وجه موسوليني والفاشيست والاحتلال الايطالي •

وفي يوم الاربعاء ١٦ من ايلول (سبتمبر) ١٩٣١ ، اتخذت التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم ، أمام جمع غفير من أبناء بنغازي • وفي الساعة التاسعة تماما سلم المجاهد الكبير الى الجلاد •

ولما هم الجلاد ببدء عمله أمام أبناء الوطن الحزانى ، قال المجاهد المؤمن ، بهدوء مرتعش ، مطمئنا كأنه في زاوية القصور : « أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » • ومع هذه الشهادة ، وبهذا الجلال ، هوى وصار بين يدي الله وهو يقول : « انا لله وانا اليه راجعون » •

وانطوت صفحة من تاريخ العرب، ملأ الشيخ المسلم عمر المختار سطورها شرفا ونورا •••

وصعدت روح المختار لتتبوأ مكانها مع الذين أنعم الله عليهم مع الصديقين والشهداء ، ولتضيف الى صحائف الابطال ، صحيفة عبقة فواحة تسجل لابناء الاسلام عزة قائد باسل رفض الزائف من المال ، والبهرج من المجد ، وتكالبت عليه السنون العجاف بما تحمل من جبروت وحرمان، فظل شامخ الرأس ، عزيز النفس يصيح بمخالفيه لن آهزم ومعي في الحياة روح الاسلام ، وعدالة محمد، ولي في الآخرة سكينة المؤمن ومثوبة الاستشهاد »(١) •

حقيقة لا تحتاج الى استنتاجات وتحليلات ، فهي أوضح من أن ندلل عليها : لقد حمل الاسلام لواء التحرر ضد الطليان في ليبيا ، وقدم خيرة أبنائه في ساح الجهاد ، ليعلم العالم أجمع : انه على عاتق الاسلام ، والاسلام وحده ، وقع عبء مقاومة الاستعمار في ليبيا •!!

---

١ ــ مع الابطال ، للاستاذ محمد رجب بيومي ، ص ٢٢٤ •

سورية

* « الشيخ بدر الدين الحسني الموجه الاول للثورة ، والاب الروحي لها ٠
*الشيخ علي الدقر من على منبر جامع السنانية:«يا اخواننا اللص دخل الدار وهو يطلب منكم ثلاثة أشياء: دينكم ومالكم وعرضكم ٠ وللسائل : ومن هو هذا اللص يا شيخي ؟! أجاب : انه فرنسا ! »(١)

* لكي تدلل فرنسا على مدى الاهتمام الذي تعلقه على قضية استبدال الجيوش الانجليزية بالفرنسيةفي سورية،فقد قامت بانتقاء

---

١ ــ مراجع هذا البحث عن سورية :
١ ــ المقابلات التي قمت بها مع المجاهدين شخصيا ، وستذكر في حينها ٠ وأشكر هنا دولة السيد حسن الحكيم الذي تكرم علي باعارتي بعض المراجع الهامة عن هذه الفترة ٠ وأشكر فضيلة الاستاذ فخر الدين الحسني الذي أطلعني على ارشيفه الخاص
٢ ــ معركة ميسلون ، احسان هندي ٠
٣ ــ كفاح الشعب العربي السوري من عام ١٩٠٨ ــ ١٩٤٨ ، الرائد احسان هندي ٠
٤ ــ الثورة السورية الوطنية مذكرات الدكتور عبد الرحمن شهبندر
٥ ــ فاجعة ميسلون والبطل العظيم يوسف العظمة ، محي الدين السفرجلاني
٦ ــ ايضاحات ديوان الحرب العرفي بعاليه نشرها جمال السفاح ٠
٧ ــ تاريخ العصر الاموي ، المحامي ناصيف أبي زيد ٠
٨ ــ الاخوة الشهداء الثلاثة ، المطران بشارة الشمالي مطران دمشق ٠
٩ ــ يوم ميسلون ، صفحة من تاريخ العرب الحديث،ساطع الحصري أبو خلدون
١٠ ــ بعض الصحف التي تتعلق بالبحث الصادرة سنة ١٩٢٥ وما بعدها ، مثل سورية الجديدة ، الرأي العام البيروتية ، فتى العرب ، الكفاح ٠٠٠

أحد كبار قادتها في الحرب العالمية الاولى ، وهو الجنرال غورو الذي كان يقود حامية ستراسبورغ ، وعينته مفوضا ساميا لفرنسا في سورية وكيلكية ، خلفا للمسيو جورج بيكو ، وذلك يوم ٨ تشرين الاول ١٩١٩ ، ولقد قال المسيو كليمنصو للجنرال غورو لما بلغه تعيينه كمفوض سام بالحرف الواحد : « ستكون الجندي الكبير الذي سيخلق موطنا لفرنسا في الشرق »(١) •



الشيخ علي الدقر

* « يا اخواننا اللص دخل الدار وهو يطلب منكم ثلاثة اشياء : دينكم ، ومالكم ، وعرضكم ••••
انه فرنسا » •

ولا يهمنا سير الاحداث التي أدت الى موقعة ميسلون ، بل يهمنا أحوال الطرفين قبيلها ، ومن الذي خرج لملاقاة جيش الاحتلال الذي جاء لوضع سورية تحت الانتداب الفرنسي ؟ •

* في ١٩ تموز ١٩٢٠ م ، تحرك ركب الجنرال غوابيه من بيروت حيث بات مع أركانه بمقر قيادته في عين صوفر ، بأمر من غورو ، باتجاه دمشق • وفي اليوم التالي ركب سيارته وزار الجنرال غورو في عاليه ، وأخذ منه آخر التعليمات ، ثم ابتدأ بتفتيش وحداته التي

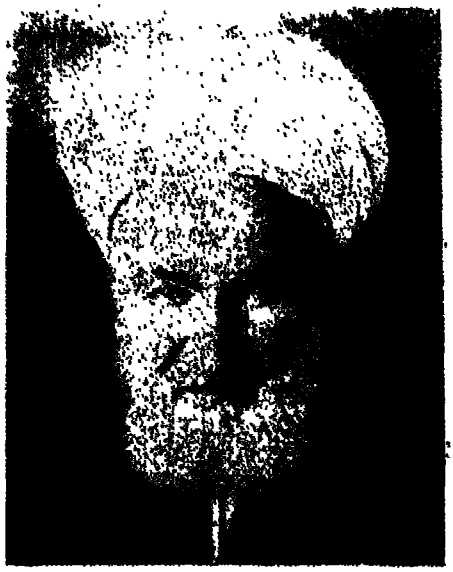
---

١ ـ قال كليمنصو للجنرال غورو :
« Vous serezle grand soldat qui créeva en orient un foyer Francis »
* عن كتاب : . Traditions et Politique de la France au Levant .. P. 300
* راجع كتاب معركة ميسلون ، احسان هندي ، ص ٦٩ •

بدأت تتمركز في حدود البقاع ، ثم عاد غوابيه الى مقر قيادته في دير الآباء اليسوعيين في تعنايل ٠

وأصدر غوابيه أوامره باستخدام بساتين تعنايل كمطار لطائراته ، واستفاد من مزارع الارسالية اليسوعية هناك لتمويه تجمعاته وتحركاته ، وهذا يدل مع الاسف على المهمات الحقيقية التي كانت لبعثات التبشير في بلادنا . لقد كان أفرادها يحملون الانجيل بيد والخنجر بأخرى . وهذا ينافي جوهر الدين المسيحي(١) ٠

* قام الملك فيصل بن الحسين باستدعاء الشيخ كامل القصاب



الشيخ عبد القادر القصاب

* « رئيس اللجنة الوطنية العليا هيا ونظم لمعركة ميسلون » ٠

رئيس « اللجنة الوطنية العليا » التي كانت تنادي بالمحافظة على استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، ويرفض الاستسلام رفضا باتا ، وخاطبه قائلا : ولقد نزلت أنا وحكومتي عند الرغبة التي

---

١ ــ جاء في الانجيل : « طوبى لصانعي السلام » ٠٠٠!! ٠ هل عمل الصليبيون في العهود الغابرة بموجب هذه القاعدة ؟ وهل كانت أوربا حديثا على حق في شن تلك الحروب الوحشية على اخوانهم في البشرية ؟ أم أنه التعصب الذميم ، الذي قابله التسامح عند المسلمين على مر العصور ؟!!

طالما ناديتم بهاالمقابلةالعدوان بالقوة، وقبلت قولكم بأن القوىالوطنية مستعدة للقيام بتلك المهمة ، فهيا أرنا همتك وعلى الله التوفيق ٠
فانطلق الشيخ كامل مع نفر من أصحابه ، يرافقهم البكباشي شريف الحجار ، الذي كان قد أسندت اليه مهمة سوقيات الجيش ، يحثون الناس على الخروج الى ميسلون لصد العدو المهاجم ٠ فتراكض جمع غفير الى محطة الحجاز ، ليمتطوا القطر التي تنقلهم الى مكان الدفاع وهم مسلحون بالبنادق القديمة ، والمسدسات والسيوف ، بل حتى بالمقاليع ٠

يوسف العظمة

ولد عام ١٨٨٤ م في حي الشاغور بدمشق ، ولما أصبح له من العمر ست سنوات ، توفي والده فكفله شقيقه الاكبر ، دخل يوسف مدارس دمشق الابتدائية ، ومنها انتقل عام ١٨٩٣ الى المدرسة الرشيدية العسكرية التي تقع في حي البحصة بدمشق ، ثم انتقل عام ١٨٩٧ الى المدرسة الاعدادية العسكرية التي كان مقرها جامع دنكز ، وفي عام ١٩٠٠ الى المدرسة الحربية التحضيرية في اسطنبول ، ثم المدرسة الحربية العالية ، فتخرج ملازم ثان ١٩٠٣ ٠ وصار عام١٩٠٧ نقيبا بعد دورة أركان حرب محلية في اسطنبول ، ثم التحق بألمانيا عام ١٩٠٩ لدراسة أركان حرب عليا ٠ التحق بالحكومة العربية في دمشق لينخرط في القوات السورية ، مع العلم أنه كان بوسعه أن يبقى في تركيا برتبته نفسها ، لانه متزوج من فتاة تركية ٠

وليس بوسع الباحث أن يفهم موقف الفقيد الوطني في ميسلون على جليته ، الا اذا علم أنه كان يعتز بعروبته التي تتخذ الطابع الديني الاسلامي[١] اعتزازا واضحا ٠

---

١ ـ ص ٩٦ ، معركة ميسلون ٠

كان متدينا متمسكا باسلامه ، مؤديا صلاته ، وصائما أيام الصوم، ومزكيا متصدقا ومحافظا على الشعائر الاسلامية كل المحافظة . كان متدينا تدينا عصريا متحليا بفضائل الدين الاسلامي ، مسلما حقا بما في كلمة المسلم من معنى رفيع(١) ٠

وكان يوسف يعلم ، أنه لا بد من معركة فاصلة بين السوريين وفرنسا ، ولم يكن يمنعه من خوضها علمه سلفا بأنه سيخسرها ٠٠ واعتقد أن مشي فرنسا على جثث المقاومة ، واستيلائها على أرض خربة مدمرة ، أفضل وأشرف للشعب السوري ، من فتح أبواب بلاده لجيشها ، يدخلها ويمشي في شوارعها مستعليا ٠٠

وكان رحمه الله مؤمنا بانه مقبل على الموت لا محالة ، ولذا فقد قال لساطع الحصري وهو يودعه قبل انطلاقه الى ميسلون : « اني آترك ابنتي الوحيدة ليلى أمانة في أعناقكم(٢) » ٠

وفي مساء ٢٣ تموز قام يوسف العظمة بجولة على الوحدات المتمركزة في منطقة عقبة الطين، ثم عاد الى مركز قيادة الفرقة،حيث تناول العشاء مع قائد الفرقة ، ثم التحف كل منهما « ببطانية» رغبة في النوم ، ولكنهما لم يتمكنا من ذلك الا حوالي منتصف الليل ، وقد بقيا مستغرقين بالنوم حتى الساعة الرابعة صباحا ، حيث استيقظا في هذه الساعة ، فأديا صلاة الصبح ، ثم بدأا بالاستعداد لخوض معركة ميسلون ٠

★ ★ ★

* ومن أبرز من قاتلوا واستشهدوا في ميسلون ، علماء المسلمين

---

١ ــ ص ٤٤ ، فاجعة ميسلون ٠
٢ ــ ص ٩٧ ، معركة ميسلون ٠

الذين اعتقدوا ان الاشتراك في ميسلون فريضة جهاد مقدسة(١) ، يجب أن يؤديها المسلم ولو استشهد هناك ، من هؤلاء العلماء :

*** فضيلة الشيخ عبد القادر كيوان :**

خطيب الجامع الاموي الكبير ، ذو همة متوقدة ، ونفس شاعرة ، ودماغ مفكر ، العالم الديني المتصوف ، السياسي الوطني ، من كبار رجال الامة الذين يشار اليهم بالبنان ، كان ميالا الى الاعمال دون الاقوال ، لذلك قضى عليه اخلاصه ووفاؤه ، بأن يكون في عداد المجاهدين فلقي ربه شهيدا في ميسلون(٢) .

*** فضيلة الشيخ كمال بن أحمد الخطيب :**

من حفظة القرآن الكريم والمتون ، الحائز على اجازة التدريس في الجامع الاموي الكبير ، وخطيب وامام في جوامع دمشق ، دفعه ايمانه العميق ، واسلامه الحق ، الى ميسلون ، فلقي وجه ربه في هذه الفاجعة(٣) .

*** الشيخ محمد توفيق بن محمد سليم الدرا : (٤)**

العالم الفقيه ، الحائز على منصب مفتي الجيش الخامس ، كان متصوفا ، يميل الى الحديث والتفسير ، يلهج في مجالسه بالاستقلال وجمع كلمة العرب ، واعادة مجد الامويين والعباسيين ، على غاية من الهمة والجهاد ، خرج الى ميسلون ، حيث لقي وجه ربه شهيدا .

---

١ ــ معركة ميسلون ، ص ١٨٧ .
٢ ــ فاجعة ميسلون ، ص ٣٣٩ .
٣ ــ فاجعة ميسلون ، ص ٣٤٠ .
٤ ــ فاجعة ميسلون ، ص ٣٤٠ .

* الشيخ ياسين نجل العلامة الشيخ نجيب عميد آل كيوان :[١]

تلك الاسرة المشهورة بالتدين والعلم ، وهو تاجر ورع ، وهو من جملة خطباء مدرسة القلبقجية بدمشق ، الطموح الى العلاء ، المتقد غيرة وحماسا ، لبى صوت ايمانه واسلامه الحي ، فهرع الى ميسلون حيث استشهد عليه رحمة الله ·

* وكان من الشهداء العلماء أيضا : الشيخ سليم الدرا ، الشيخ عمر الصنباغ ، وصادق هلال ، وأحمد الموصلي ، ومحمد نوري الحصري ، وعبده الصباغ ، وأحمد القحف ، وعبد الله الكلاس ، ومحمد نيروز « من دوما » ، وأبو الخير الجابي[٢] ··· وغيرهم كثير كالشيخ صلاح الدين أبو الشامات : التاجر بالعطارة ، ترك التجارة وعكف على الطريقة الشاذلية المختصة بأسرة بني أبي الشامات ، كان على روح حية متوثبة ، روح الشباب الممتلىء حماسة ، والمعلم حمية ، دعاه واجبه الديني الى ميسلون ، حيث لقي وجه ربه ·

ــ وكان أهالي قريتي الحلوة ودير العشائر بقيادة الشيخ مرزوق التخيمي ·

ــ ومن المجاهدين المسلمين في ميسلون : أبو صلاح العرجا ، هاشم الاغواني ، صالح الصابوني ، أبو سليم العرجا ، مستو الاغواني ، عبدو المرادي ، محمود قاروط ···

* خرج المجاهدون العلماء ، بقيادة يوسف العظمة ، خرجوا للجهاد في سبيل الله تحت راية موجودة الآن في المتحف الوطني بدمشق وهي العلم العربي من حيث الشكل والالوان ···

---

١ ــ فاجعة ميسلون ، ص ٣٤٠ أيضا ·

٢ ــ معركة ميسلون ، ص ١٨٧ (وأبو الخير الجابي هو قائد تشكيل الشيخ حمدي الجويجاتي الذي حضر ميسلون ايضا) ·

ولكن حملت الراية على وجهها الاول :

على اللون الاسود : بسم الله الرحمن الرحيم ، وجاهدوا في سبيل الله .

وعلى اللون الابيض : ان الله معنا .

وعلى اللون الاخضر : انا فتحنا لك فتحا مبينا .

وعلى وجهها الثاني :

على اللون الاسود : لا اله الا الله .

وعلى اللون الابيض : محمد رسول الله .

وعلى اللون الاخضر : اللواء الاول سنة ١٣٣٨ « المشاة » .

* تحت هذا العلم العربي ، وما حمل من شعارات ومعان ، جاهد المسلمون في ميسلون ، وقابلوا الموت بل خرجوا له ، لان الظروف الدولية لم تكن الى جانبهم حينما قرروا الوقوف في وجه فرنسا ، انهم يعلمون أن المعركة انتحارية وغير متكافئة ، ولكنهم مع ذلك خاضوها تحت شعار : المحافظة على الشرف والكرامة مهما كانت النتيجة ، وليعلم العالم أجمع أن دمشق عاصمة الامويين ما كان ليدخل محتل الا على جثث أبنائها المؤمنين .

* وسمع فيصل بن الحسين باستشهاد يوسف العظمة وبعض من معه من العلماء فقال : « اني أحني رأسي احتراما لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الاحتجاج على اعتداء لم يعرف له التاريخ مثيلا »(١) .

★ ★ ★

* وهكذا دخل غورو دمشق في أوائل شهر آب سنة ١٩٢٠، وكان

---

١ ـ ص ٣٣٧ ، فاجعة ميسلون .

أول ما فعله بعد وصوله ، أنه توجه الى ضريح السلطان البطل صلاح الدين الايوبي ، فدخل الى مقامه الكريم بصورة عنف وتهكم وسيفه الى جانبه ، وعمرته فوق رأسه ، وقال بشماتة : « يا صلاح الديـن ٠٠ أنت قلت لنا ، في ابان حروبك الصليبية انكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا اليه ٠٠٠ وها اننا قد عدنا ٠٠ فانهض لترانا هاهنا ، لقد ظفرنا باحتلال سوريا » ٠

وهي الحجة نفسها التي أثارت الحروب الصليبية ، مدللا بذلك على الروح الاستعمارية الحديثة !!

** صور من جهاد المجاهدين في الثورات السورية :

* سقطت كفر تخاريم بيد الفرنسيين ، وليس لهم بذلك فخر ، نظرا لكثرتهم وقلة عدد المجاهدين . لكن استرجاع كفر تخاريـم في أوائل شهر كانون الاول ١٩٢٠ ، حمـل للمجاهدين كل فخـر ، ولعل من الصعب على أحدنا اليوم أن يصدق حوادث هذه المعركة البطولية ، التي قام بها السيد نجيب عويد ، مع نفر من المجاهدين ، ولكن اذا علمنا أن هذه الواقعة قد أيدها أكثر من خمسين مجاهدا ممن لا يزالون أحياء(١) ، منهم الشيخ يوسف السعدون ، وابراهيم الشغوري ، وكثيرون من مجاهدي الشمال في استنطاقات ذكروهـا لمندوب المتحف الحربي بدمشق ، اذا علمنا ذلك ، فلا بد من اقرار هذه الحقيقة ٠

قال نجيب عويد : عند دخول العدو كفر تخاريم تفرق أهـل المدينة ، أو كثير منهم في الجبال والاودية ، وكنت ترى منظرا يفتت الاكباد ، وتنفطر له المرائر من صراخ النساء ، وبكاء الاطفال مـن

---

١ ـ القصة بحرفيتها برواية المجاهد نجيب عويد ، راجع كفاح الشعب العربي السوري ، ص ٧٤ ٠

شدة البرد . فلما رأيت هذا المشهد المؤلم ، ناديت بملء صوتي في المجاهدين : أين أهل المروءة والشهامة والنجدة ؟ ··· فلبوني مسرعين قائلين : ماذا تريد ؟

فقلت : أريد جماعة يبيعون نفوسهم في سبيل الله ، رحمة بهؤلاء النساء والاطفال ·

فقالوا : « حاضرون » ·

فقلت لهم أن يتبعوني ·

وفي أواخر الليل وصلنا أطراف كفر تخاريم ، فأحصيت من معي فاذا هم ثلاثون مجاهدا ، فجعلتهم في ثلاث فرق : فرقة تأتي العدو من الشرق ، وعليها محمد مامو ، ومصطفى أبو درويش ، وفرقة من الجنوب وعليها الحاج درغام درة ، والفرقة الثالثة كنت عليها مع عقيل السقاطي ، فتوجهت كل فرقة الى المكان المعين لها ، وتم الاتفاق بيننا على اطلاق النار عندما يسمعون صوتي بالاذان ، وعندما بزغ الفجر وقفت فوق أحد القبور الواقعة على مرتفع غرب المدينة . وناديت بصوت مرتفع أخاطب به من بقي من أهل البلدة في منازلهم : يا أهل كفر تخاريم لا تخافوا ··· ها نحن المجاهدون ضربنا نطاقا حول البلدة ، ولا نطلب منكم معونة سوى الدعاء والتكبير ، لان جمعنا يزيد على ثلاثة آلاف مجاهد ·

ثم رفعت صوتي بالاذان ، فكنت تسمع من كل بيت الاذان والتكبير ، وبعد ذلك باشرنا اطلاق النار ، وقذف القنابل اليدوية على الخيام التي فيها العدو ، فتراكض الجند مذعورين ، لا يعرف الخصم من أين يأتيه ، ولا الرصاص المتطاير متى يصيبه أو يرديه ، والتهليل والتكبير يصم آذانه ، وحركات الثوار من جهات ثلاث تهدم بنيانه ·

وما كادت الشمس تشرق وتضيء الكون بنورها ، ويتبين الخصم

خصمه ، الا وكانت الفئات المدعوة لشد أزر المجاهدين من أبناء القصير وسلقين في طريقها الى ميدان المعركة ، تقترب منه وتستعد له . وكان العدو بنقص مستمر ، بما يرد اليهم من نجدات ٠

وكلما تعالت الشمس كان الخناق يضيق على العدو حتى حشر حشرا في أرض منخفضة نسبيا ، وأحيط من جهاته الثلاث على وجه التقريب ، ولم يبق له منفذ الا الشمال ، وكان لا بد له من قبول أحد امرين : اما الفناء المحقق ، واما التراجع القهقرى ، وليس له من طريق ، الا من جهة الشمال ، فآثر الحياة والخذلان ، على الموت المحتم ، وانسحب شمالا في غرب باتجاه حارم تاركا وراءه ما يزيد على ١٣٠ قتيلا ، بينما استشهد من جماعتنا اثنا عشر شهيدا مع عدد من الجرحى ٠

* وبعد هذه المعركة ، وجد الجنرال دي لاموت ـ قائد منطقة حلب العسكرية ـ نفسه مضطرا لتسيير حملة ضخمة لمحاولة القضاء على الثورة ، فوجه حملة بقيادة الكولونيل « ديبيوفر » انقسمت الحملة الى مفرزتين ، وكانت غاية الفرنسيين من قسم الحملة الى مفرزتين ، هي حصر قوات « هنانو » بين فكي كماشة ، في منطقة أعالي العاصي ، ولكن كلا الرتلين لم يحقق مهمته ، حيث تصدى للرتل الاول الشيخ يوسف السعدون ، مع نفر من رفاقه ، عندما حاولت قوات هذا الرتل اجتياز نهر العاصي ، للوصول الى الضفة الشرقية قرب موقع « جسر الحديد » ، فمنيت بخسائر كبيرة قبل أن تتمكن من اجتيازه(١) ٠

وأما قوات الرتل الثاني ، فقد اصطدمت ثانية في قرية « طلينا » يوم ٨ كانون الاول حيث خسرت عددا كبيرا من أفرادها ، وعلى رأسهم الكابتن « لاروك » ، واليوتنان [ملازم أول] ليشن ٠

---

١ ـ راجع تاريخ الثورات السورية للاستاذ أدهم الجندي وكفاح الشعب العربي السوري ، ص ٧٧ ٠

وبعد التقاء الرتلين قامت الحملة مجتمعة بمهاجمة بلدة «منبج» فلم تقدر على احتلالها الا بعد معركة عنيفة خسرت بها اليوتنان « سيز » ، وعددا من القتلى ٠

وفي ٢٩ كانون الاول ١٩٢٠ ، كانت حملة «ديبيوفر» قد خسرت عددا ضخما من القتلى ، ولذا لم تجد القيادة العسكرية الفرنسية بدا من اعادتها الى حلب ، لتعيد تنظيمها ، وسيرت بقيادة الجنرال « غوبو » بدلا منها ، ولاقت حملة غوبو حرب عصابات من المجاهدين لضخامتها ، فكبدت خسائر ، سببت طلب الامـدادات ، فوقعـت الامدادات بيد الثوار المجاهدين ٠

ومما يذكر في الشمال :

* أن الحاج فاتح المرعشلي ، تكفل بتقديم النفقات الاولية لحملة من المجاهدين كاملة ، مع اعاشة عائلات المجاهدين طيلة فترة غيابهم في الجهاد !!

ومما ذكره لي فضيلة الشيخ محمد الحكيم مفتي حلب(١) ، بعد مديح كبير للمجاهد الشيخ يوسف السعدون ، أن الشيخ أبو دان ، وهو من حلب ، هجم على دبابة فرنسية وحده ، وهو يكبر ويهلل ، فقتل من فيها ، واستشهد فوقها عند خروجه منها ٠

وذكر فضيلته لي أيضا أن الشيخ عبد اللطيف عبد الجليل وقف مع أربعة فقط من المسلمين المؤمنين المجاهدين ، في وجه عشرات من الفرنسيين في حلب ، وذلك لمدة ساعات طويلة ٠

* وفي حماه : أدى أبناؤها لثورة الشمال ، ولثورة الساحل التي قامت بقيادة الشيخ صالح العلي ، المنحدر من أسرة عربية عريقة في الشرق الاسلامي(٢) ، خدمات جلى ، حيث كانوا يؤمنون لهما دوما

---

١ ـ وايد ذلك الاستاذ الدكتور نور الدين العتر ٠
٢ ـ الايضاحات السياسية ، ص ١٨٤ ٠

السلاح والذخيرة ، الامر الذي أزعج الفرنسيين ، وجعنهم يقومون باعدام مجاهدين حمويين هما : الحاج حمدو الجلاغي ، وكامل الباكير ٠

* وبعد انتصارات الثوار المجاهدين في منطقة الهرمل ، تنادى زعماء شيوخ منطقة الهرمل لاجتماع عقد في قرية « مرجحين » ، يوم ٣٠ آيار ١٩٢٦ ، وقد انتهى الاجتماع الى عدة مقررات هامة منهـــا :

ـ « بما أننا من الشعب الاسلامي العربي ، فان مطالبنا هـي مطالبكم المشروعة السياسية « الخطاب الى سورية حبا بالانضمام اليها بعد آن فصلها غورو وضمها الى لبنان الكبير » ٠٠ وقالوا في النهاية : وكلنا عرب مسلمون فنرجوكم التكرم بالاسراع في اجابة ملتمسنا ، واعادة حقوقنا السياسية واعلامنا نتيجة المفاوضات(١)» ٠

ومن مقررات الثوار المجاهدين في منطقة الهرمل : « تشكيل جيش خاص في المنطقة يطلق عليه اسم « جيش أمير المؤمنين » ، وتسليم القيادة العامة لهذا الجيش الى المجاهد سعيد العاص(٢) ٠

* ابراهيم هنانو ٠٠ كان نداؤه عند اعلان الثورة : « بعدما حاربتم معه ، [مع الحلفاء في الحرب العالمية الاولى] كتفا لكتف في سبيل استقلالكم ، خانكم ، وهزىء بدماء شهدائكم ، ومـا كـانت جريمتكم الا آنكم من أبناء الشرق المسلمين »(٣) ٠

١و٢ ـ كفاح الشعب العربي السوري ، ص ٩٩ ، و ص ١٠٠ ، وترجمة الشهيد سعيد العاص :

* حارب الشهيد في فلسطين أيضا ، وفي معركة الخضر التي دارت صباح ٦ تشرين الاول ١٩٣٦ ، حوصر من قبل قوة بريطانية ضخمة ، واستبسل في الدفاع حتى قتل ٠ ولما وصل النبأ الى حماه ، أعلنت الحداد عليه عاما كاملا ، وأقيمت له عدة احتفالات تأبينية ، اشادة ببطولته الرائعة ، يقول الموال الحموي من الادب الشعبي :

ركن الامل انهدم والدمـع مني عاص   على الزعيم المجاهد ، وهوه سعيد العاص

٣ ـ كفاح الشعب العربي السوري ، ص ٢٢١ ٠

وقوات هنانو كان فيها :

سرية مجاهدي منطقة حلب بقيادته الخاصة ·

سرية مجاهدي منطقة القصير بقيادة الشيخ يوسف السعدون

سرية مجاهدي جبل صهيون بقيادة السيد عمر البيطار ·

سرية مجاهدي كفر تخاريم بقيادة السيد نجيب عويد ·

سرية مجاهدي الزاوية بقيادة السيد مصطفى الحاج حسين ·

ومن الملاحظ أن « سرايا المجاهدين » مفهوم اسلامي ، يؤيد هذا صيغة نداء هنانو ، وقيادة السرايا التي أوكلت الى مؤمنين ملتزمين بمبادىء دينهم !! لذلك جاء في بيان مجاهدي القلمون أيضا(١) ، عند اعلان الثورة على فرنسا : « وبما أن جهادنا المقدس ، لاجل تحرير البلاد ، فيجب علينا الاتفاق والاتحاد والتحاب عملا بقوله تعالى : [وتعاونوا على البر والتقوى] وقوله [وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله] ·

---

١ ـ كفاح الشعب العربي السوري ، ص ٢٢٤ ·

المحدّث الأكبر

الشيخ بدر الدين الحسني

* من عرف الحق ، عـز
عليه أن يراه مهضوما .

* ها هي الحقائق التاريخية ، مدعمة بالوثائق ، ومن بينها وثائق بابوية مسيحية ، ولمؤلفين مسيحيين أيضا ، والكثير مـن الصحف الصادرة في الثلث الاول من هذا القرن، على اختلاف وجهات نظر أصحابها وأهدافها . تؤكد كلها أن مفجر الثورة العربية الكبرى والمخطط للثورة السورية الكبرى هو الشيخ بدر الدين الحسني ، محدث الديار الشامية .

سترى ـ قارئي العزيز ـ كيف اعد النفوس ، وهيأ للثورة ، ثم فجرها مع تلاميذه ممن حملوا لواء الاسلام في سورية، نذكر منهم لا على سبيل الحصر العلماء الافاضل التالية أسماؤهم :

* الشيخ علي الدقر : الذي بلغ به الامر ، أن أنهى أحد الايام خطبته بجامع السنانية بقوله : « يا اخواننا ، اللص داخل الدار ، وهو يطلب منكم ثلاثة أشياء : دينكم ومالكم وعرضكم ، ولما سأله احد المستمعين : ومن هو هذا اللص يا شيخي ؟ أجاب الشيخ علـي الدقر : انه فرنسا ! »(١) .

* الشيخ نجيب كيوان: الذي كان يمزج دروسه في المسجد الاموي

١ ـ كفاح الشعب العربي السوري ، ص ١٣٧ .

بحضه على الجهاد والثورة ضد الفرنسيين والتبرع للمجاهدين ٠

* الشيخ محمد حجاز : زعيم عصبة قبر عاتكة وباب سريجة ٠

* الشيخ موسى الطويل : رئيس لجنة اغاثة اسر الثوار ، عاش غنيا ، ومات فقيرا ، لانفاقه ماله على الثورة والثوار وأسرهم(١) ٠

* الشيخ محمد ديراني : كان يرفع طلقات الرصاص في درسه العام ، ويقول للناس : اخوانكم بحاجة الى مثل هذا ، حكم عليه بالاعدام(٢) ٠

وحدثني المجاهد السيد « أبو الهدى العاني »(٣) عن هذا العالم المجاهد الجليل ، أنه كان يعد في دمشق جنازة شكلية ، يملأ تابوتها بالذخيرة والبنادق والقنابل ٠٠٠ ويخرج أمامها مؤذن ، ومشيعون وراءها ، حتى مخفر الشيخ حسن ، فيقوم الضباط والجنود الفرنسيون لتأدية التحية للجنازة ، اعتقادا منهم أنها تحمل جثة ميت ، ولما يصل الشيخ محمد ديراني الى المقبرة ، تفرغ الذخائر والاسلحة بالقبر مع اتفاق مسبق مع الثوار ٠٠٠ فيأتي الثوار ليلا لاخذ المدد الذي يجعلهم يتابعون جهادهم ٠

* الشيخ عبده البيتموني ، والشيخ محمد البيتموني ، والشيخ سعدي التغلبي من عصبة المجاهدين في سوق القطن ٠

* الشيخ محمد الجويجاتي : كان يجهز الثوار ، وذكر لي السيد « أبو الهدى العاني » : « ان الشيخ حمدي الجويجاتي كان يجهز

---

١ ـ ذكر المجاهد الشيخ عبد الكريم المنير عنه : « رؤية العين ، كان الشيخ موسى الطويل ، لا يرد طالبا من الفقراء ليلا نهارا » ٠

٢ ـ من مقابلة الشيخ عبد الحكيم المنير بتاريخ ١٩٧٥/٦/٣، بعد صلاة العصر

٣ ـ تمت مقابلة الاخ أبو الهدى العاني صباح ١٩٧٥/٦/٢٢ في دار الفتوى بدمشق ٠

الثوار ، ونحن أولاد كان يقول لنا هيا لمساعدةالثوار بما تستطيعون هيا لضرب الجنود الفرنسيين »(١) ٠

* الشيخ صلاح الزعيم : دفع الرجال في حي السمانة الى الجهاد وجاهد بنفسه ، وكان يقول لنا : « ادعموا الثوار ، قدموا لهم »(٢) ٠

* الشيخ عبد الحكيم المنير « امام المسجد الاموي الكبير حاليا » ، ما حدثني في مقابلته الطويلة عن نفسه ، ولكن حدثني عنه الشيخ سليمان الرنكوسي حفظه الله، والسيد المجاهد «أبو الهدى العاني»(٣) يكفيه فخرا أنه أول من دخل الى قصر العظم تحت قيادة الشيـــخ الاشمر لقتل ساراي ، المفوض السامي الفرنسي ، واشترك بكـل معارك الغوطة مع الشيخ الاشمر ٠

* الشيخ أمين سويد : من مجاهدي الغوطة ٠

* الشيخ محمد الاشمر ، تلميذ الشيخ أمين الزملكاني رضي الله عنه ، وكان يأتمر بأمر الشيخ بدر الدين الحسني ٠

* الشيخ عبد الله الافغاني : وهو خادم الشيخ بدر الدين ، كان يشترك بالحملات ، ثم يرجع الى دار الحديث لمتابعة خدمة الشيخ بدر الدين ٠

* الشيخ توفيق سوقية ، من مجاهدي الغوطة المشهورين ٠

* الشيخ محمد الفحل : كان مع الشيخ عبد الحكيم المنير ، انضما الى المجاهد الخراط ، استشهد قرب عقربا ٠ وذكر لي الشيخ عبد

١و٢ ــ من مقابلة المجاهد أبو الهدى العاني بتاريخ ١٩٧٥/٦/٢٢ ٠
٣ ــ وشهد بذلك أيضا فضيلة الشيخ سليمان الرنكوسي في مقابلة معه في دار الحديث بتاريخ ١٩٧٥/٥/٣١ ٠

الحكيم رأيت الشيخ محمد الفحل « منحور نحر في الخندق »(١) دفناه مع ، لا أذكر ٦ أو ٧ ، في عقربا بعد معركة كبيرة مع الفرنسيين ٠

* الشيخ محمد شويلح ، من عربين ، استشهد في الغوطة ٠

* ومن شهداء معارك الغوطة أيضا : الشيخ محمد خير غزال من باب السريجة ، الشيخ أحمد الخياط ، الشيخ عز الدين الحلاق ، الشيخ حمدي السمان ، الشيخ صبري المليحاوي ، الشيخ ضاهر حمايل من الغيضة ، الشيخ مصطفى سيف ٠٠٠

فواعجبا كم حور التاريخ ، وكم كتست حقائقه ، وعجب أكبر ممن يريد أن يظهر الاسلام بعيدا عن حركات التحرر !!

ألا ان الحقيقة رائعة هذه المرة ، لمن يبحث عنها ، فاذا هي كالشمس سطوعا ، فليغمضوا أعينهم حياء ، وليطأطئوا رؤوسهم خجلا مما صنعوا ، وليهزوا رؤوسهم بالتصديق ، أن البطولة الحقة والجهاد الحق ، انما كان من الاسلام ، وبالاسلام ، وبطريق الاسلام لذي كان متمثلا في قائد الثورة الشيخ بدر الدين الحسني ، وتلامذته الاتقياء الاصفياء المجاهدين ٠

ألا فلنحن هاماتنا اجلالا لأولئك العلماء الذين سطروا ملامح الجهاد بدمائهم ، بصمت لا يريدون من وراء جهودهم وجهادهم جزاء ولا شكورا ، فحسبهم أن يبقى نور الحق مضيئا ، وكلمة الله هي العليا ٠

★ ★ ★

---

١ ـ ذكر لي ذلك فضيلة الشيخ عبد الحكيم المنير في ١٩٧٥/٦/٣ ، وقال : كان مع الشيخ الاشمر وحده ٣٠ عالما ، نقيم شعائر الاسلام ٠ أرجو الله أن أحصل على أسمائهم قبل الطبعة الثانية ، وأرجو أن يمدنا ذووهم وكل ذي علم بذلك بمعلومات عنهم خدمة للعلم والحقيقة ٠

من هو الشيخ بدر الدين الحسني ؟

انه : محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الملك المغربي المراكشي ، من ذرية السيد النسيب الحسيب ، المحب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، الامام الجزولي ، صاحب دلائل الخيرات ، من ذرية سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ٠

ولد والد الشيخ بدر الدين في قرية « بيبان » من مديرية البحيرة بمصر ، ثم شب السيد يوسف والد الشيخ ، فرحل الى مراكش ، ثم الى سورية ، ونزل دمشق ٠

ولد العلامة الشيخ بدر الدين سنة ١٢٦٧ هـ/١٨٥١ م بدمشق فحفظ الصحيحين غيبا بأسانيدهما ، ونحو ٢٠ ألف بيت من متون العلوم المختلفة . وكان يأبى الافتاء ولا يرغب في التصنيف(١) ، ويذكر صاحب الاعلام : [لما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سورية : كان الشيخ يطوف المدن السورية ، متنقلا من بلدة الى أخرى ، حاثا على الجهاد ، وحاضا عليه ، يقابل الثائرين ، ويغذيهم برأيه ، وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أبا روحيا للثورة والثائرين المجاهدين](٢) ٠

كان يقضي وقته بالتدريس والتوجيه والتربية في دار الحديث ، وفي جامع بني أمية تحت قبة النسر ، ومع سعة اطلاعه ، كان قوي الذاكرة ، فلا يحتاج الى مراجعة ، واذا اراد مراجعة بحث ، لم ينظر في الفهرس ، بل يقلب على المكان الذي يريده، فيقف عليه بسهولة٠

من صفاته واخلاقه : التقوى ، كان صواما قواما تقيا ورعا ،

١و٢ ـ الاعلام ، جـ ٨ ، ص ٣٤/٣٣ ٠ وذكر في كفاح الشعب العربي السوري ص ١٣٧ الشيخ بدر الدين الحسني الذي كان المحرك الاول للثورة في أوساط تلاميذه ومريديه ٠ راجع أيضا أعلام الاسلام ص ١٠٢ ٠

محبا لله ورسوله وآل بيته ، مهيبا ، مطاعا ، نافذ الكلمة ، سمحا ، سخيا ، بذل ما عنده من مال للثوار ٠

* ونبدأ في قصة جهاد الشيخ بدر الدين ، عندما طلب أحمد جمال باشا منه أن يتحفه ببعض ارشاداته خطا ، يريد بذلك الحصول على شهادة تبرىء ساحته في المستقبل ، وبما أن العاتي « جمالا » كان كبير النفس ، فلم يصرح ببغيته ، بل طلب الى سماحة الشيخ(١) أن يتحفه خطا ببعض نصائحه الغراء ، فزعم هذا الفاضل « حامل طلب أحمد جمال باشا » أن القائد يطلب النصائح والدعوات ، فأرسل اليه مع خطيب دار الحديث حضرة الاستاذ محمد يحيى أفندي « المكتبي » تحريرا فيه النصائح والارشادات لقواد وأمراء الجيوش كأنور وجمال وأترابهما ٠

والوثيقة حرفيا على الشكل التالي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى الانبياء والمرسلين ٠ أما بعد فأهدي حضرتكم جزيل السلام راجيا ممن برأ الانام أن يجعل لكم التوفيق أعظم رفيق ، وأن يجعلكم حصنا لمنع الضلال ، ومنهلا للفضل والكمال ، وأن ينفع بكم العباد بسلوك السداد ، فان الظفر والنصر ، واستقامة الامر ، باتباع الحق والعمل به بين الخلق ، وان الظلم وارتكاب المحرمات ، السبب الاقوى لنقص الارزاق ، وحلول أنواع البليات ، والمرجو دعاؤكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »(٢) ٠

محمد بدر الدين
عفا الله عنه

---

١ ـ تاريخ العصر الدموي للمحامي ناصيف بك أبي زيد ص ٣٥٠ ، لاحظ احترام المسيحيين لسماحته ٠

٢ ـ النص حرفيا من ص ٣٥٠ ، المرجع السابق ٠

* « ثم وصايا سيدي الشيخ بدر الدين(١) لقواد امراء الجيوش العثمانية كانه». وجمال وأترابهما ... الامر برعاية الله تعالى كالمحافظة على الصلوات في الاوقات والادب مع النبي صلى الله عليه وسلم .



الشيخ بدر الدين الحسني

الموجه الاول للثورة السورية الكبرى ، والاب الروحي لهـا .

ـ النهي عن الاستيلاء على الوظائف الدينية لغير الاهل ، فان تولية غير الاهل تؤدي الى محو الدين وأخذ الاجانب بلاد المسلمين .

---

١ ـ التوصيات من ص ٣٥٢ الى ٣٥٣ وكلمة سيدي الشيخ بدر الدين للمحامي ناصيف مؤلف المرجع المذكور .

ـ النهي عن الالتماس والشفاعة بغير الحق ، حتى تحفظ حقوق العباد ، ولا يدعو المظلوم ·
ـ الامر بالنهي عن ايذاء أهل الذمة ·

* ودعم الشيخ الثورة العربية ، واعترف بالشريف حسين وكيلا للدفاع عن قضية العرب ، وتعهد بأن تثور جميع الفرق العسكرية المرابطة بالشام ، حالما يتوصل الحسين الى اتفاق مع بريطانيا ··· « وفي سبيل دعم هذا التعهد ، سلم الشيخ بدر الدين الحسني ، وهو كبير علماء الدين في دمشق ، فيصلا ختمه ليحمله الى الشريف كدليل على ثقة الشام به »(١) ·

ولما علمت الحكومة الاسلامية بخروج الحسين عليها، أفتت بخروجه عن الطاعة وطلبت مقاتلته ، وقد صادق الناس على هذه مرغمين خوفا من الشنق والابعاد ، « ولما انتهى دور ختمها الى الشيخ بدر الدين امتنع ، فحاولوا اقناعه بالوعد تارة وبالوعيد أخرى ، حتى أن جمالا الطاغية كلف نجل الاستاذ الشيخ تاج الدين أفندي أن يقنع والده بختمها فأبى »(٢) ·

فهل يعقل بعد هذا ··· أن يوقع الشيخ بدر الدين كما يشيع بعض أصحاب الاغراض ولا دليل لهم طبعا ، على أن الشيخ بدر الدين أفتى بشنق شهداء ٦ أيار ١٩١٦ ؟!

قليل من الانصاف يا ناس !! فمن صفاته التي دونت منذ أكثر من خمسين سنة ، أن لا يعطي فتوى لاحد ، واذا أصر أحدهم عليه ، يحيله الى بعض تلامذته يفتيه ·

---

١ ـ كتاب « يقظة العرب » لجورج انطونيوس ، تعريب علي حيدر الركابي ، دمشق ١٣٦٥/١٩٤٦ ، ص ١٧٩ ، وتأكدت من ذلك من عشرات المجاهدين شفهيا ·

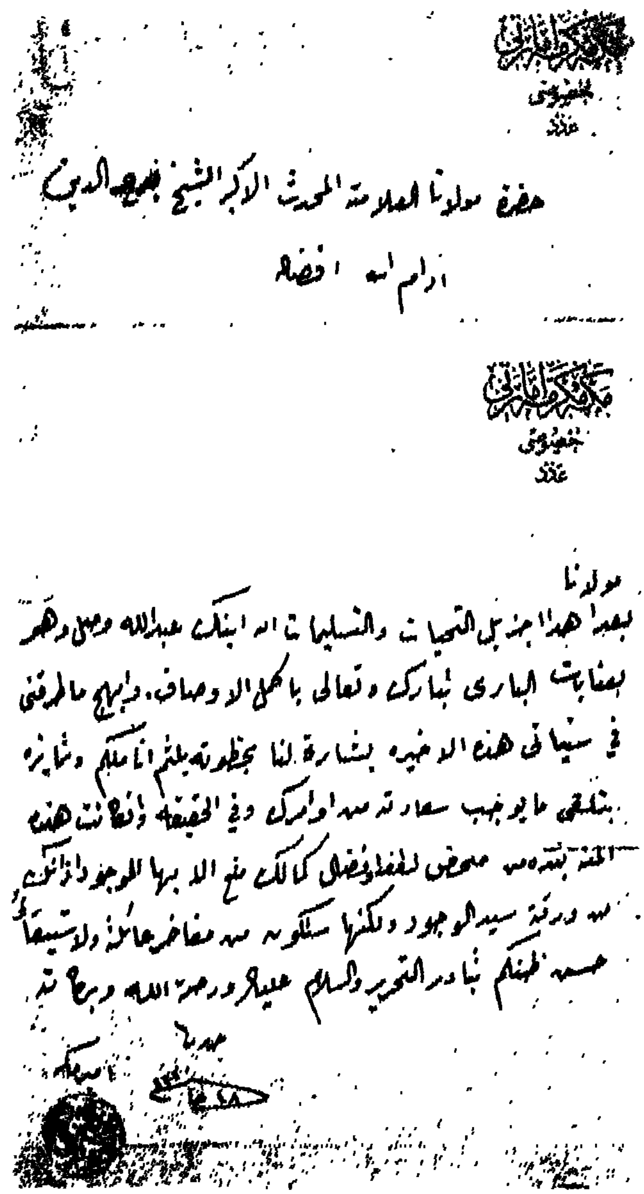
٢ ـ « تاريخ العصر الدموي » للمحامي ناصيف بك أبي زيد ، طبع مطبعة المفيد ، دمشق ١٩١٩ م ، ص ٣٥٤/٣٥٥ ·

روى الشيخ عبد الرحمن الزعبي(١) دخول امرأة الى دار الشيخ بدر الدين ، بعد عصر يوم من ايام ١٠ ذي الحجة، تسأل عن الاضحية وأحكامها ، فقال لها : سلي العلماء ، بل بالحرف الواحد : « يابا تسأل العلماء » ، فقام أحد التلاميذ وقال : أنتم العلماء يا سيدي ، علما أن جميع تلامذته الذين رباهم علماء ، فقام أربعة يفتي كل بمذهبه ، فقالت المرأة مخاطبة الشيخ بدر الدين : صحيح ؟ فقال سماحته : « يابا هيك قالوا ، على مسؤوليتهم لا على مسؤوليتي » ، فأراد أن يكونوا هم المفتين ، وليس هو . فان كان بهذا الورع ، وأرسل خاتمه الى الشريف حسين يحضه على الثورة فكيف يفتي بشنق شهداء أيار الذين من بينهم العلماء ، مثل : الشيخ عبد الحميد الزهراوي، والشيخ أحمد طبارة؟؟ قليلا من العقل والانصاف أولا ، ولا تظلموا التاريخ ثانيا ، فأين الوثائق التي تثبت أن الشيخ بدر الدين أفتى باعدامهم ؟

هذا ... ومحاضر محاكمة عاليه ، التي قضت باعدام شهداء أيار ، صدرت بكتاب عنوانه « ايضاحات ديوان الحرب العرفي بعاليه ، نشرها جمال السفاح القائد العام للجيش الرابع ، وصدر عام ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ . نشر السفاح هذه المحاضر لتعليل أسباب اعداماته الجائرة ، وليخفف من غليان الرأي العام العربي ، ولو كان السفاح قد أخذ فتوى من الشيخ بدر الدين ، لما احتاج الى نشر المحاضر ، ولاكتفى بنشر الفتوى ، فهي الوسيلة الوحيدة في حينها لتهدئة الرأي العام الذي كان يقدس الشيخ بدر الدين ويأتمر بأمره؟! فلو حصل السفاح على فتوى لجلجل بها أركان العالم العربي والاسلامي ولما احتاج الى تبرير عمله !

---

١ — سمعت هذه القصة من فضيلة السيد فخر الدين الحسني ورجعت الى نجل الشيخ عبد الرحمن الزغبي ، فكان ما كتبته بروايته . علما أن صاحب الاعلام قد سجل في ترجمة الشيخ بدر الدين أنه كان يكره الفتوى ولا يفتي ، ج ٨ ص ٣٣/٣٤ .



حضرة مولانا العلامة المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين

أدام الله أفضاله

مولانا

بعد إهداء جزيل التحيات والتسليمات ان ابنكم عبد الله وصل وهو
بعنايات الباري تبارك وتعالى بأكمل الأوصاف. وابهج ما رأيته
في سينا في هذه الأيام بشارة لنا بحظوره يلثم أناملكم وبادره
بتلقي ما يوجب سعادته منها وامرك وفي الحقيقة وان كانت هذه
المنة بنفسها معرضة للفخر وفضل كما لك من الآباء الوجود
من ورثة سيد الوجود ولكنها ستكون من مفاخر عائلته ولا سيما
حسن ظنكم تبادر التحرير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* « هذه الوثيقة » : من مراسلات سماحة الشيخ بدر الدين الحسني مع الشريف حسين أمير مكة ، وهي رسالة وصلت سماحة الشيخ بخط الشريف حسين بعد عودة ابنه عبد الله من دمشق « من عند الشيخ بدر الدين » يحمل اذن سماحته باعلان الثورة العربية الكبرى .

* وعشرات ذكروا لي ، ممن عاصروا سماحة الشيخ بدر الدين ، أنه أرسل مع عبد الله خاتم توقيعه الخاص للشريف حسين ، كدليل من سماحته له باعلان الثورة العربية الكبرى على تركيا التي حذفت الاسلام من حياتها .

والوثيقة المصورة المنشورة ، توضح صلة الشيخ بدر الدين ، بالشريف حسين ، واستئذان الشريف للشيخ بالثورة ، وذلك بارسال ابنه عبد الله الى دمشق ومقابلته لسماحة الشيخ بدر الدين ٠

وحقيقة سمعتها من أكثر من عالم ثقة تقول : لقد تشفع الشيخ بدر الدين بشهداء أيار ، فرفض جمال السفاح شفاعته ، وخوفا من هياج الرأي العام بسبب ذلك ، أخرج السفاح تعليلاته وايضاحاته بنشره محاضر محاكمات عاليه !!

ولو أفتى الشيخ بشنق الشهداء ، لما عين فيصل عند دخوله الى دمشق ولده الشيخ تاج الدين شيخا للاسلام ٠ وكان فيصل اذا نزل الى صلاة العيد ، تصطف جنوده في سوق الحميدية ، وفي طريق عودته تصطف جنوده في العصرونية حتى « دار الحديث » ، لمعايدة الشيخ بدر الدين والتبرك به ، ثم يخرج الى القصر ليتلقى التهنئة ٠

* ولما وصل غورو الى دمشق ، رفض الشيخ مقابلته ، ومنع الناس من دفع الضرائب للفرنسيين ، أو التعامل معهم(١) ، وصار يعلن ان الجهاد فرض على الناس في دروسه العامة ، علما أنه أرسل ابنه الشيخ تاج الدين والمفتي الشيخ عطا الكسم للقتال في ميسلون ٠

ولما هيأ الشيخ النفوس ضد فرنسا ، قام بجولته الشهيرة في المحافظات(٢) ، فكان أول عمل يعمله في أي مدينة ينزلها ، دخوله

---

١ ـ من مقابلة الشيخ عبد الحكيم المنير ، والسيد الفاضل أبو الهدى العاني في التواريخ الموضحة سابقا ٠

٢ ـ جولته ذكرتها كتب التاريخ : « الاعلام » ، « أعلام الاسلام » ، « كفاح الشعب العربي السوري » ٠٠٠٠ وسمعتها من عشرات المعاصرين للشيخ بدر الدين كالشيخ الفاضل محمود الرنكوسي ، والشيخ الفاضل عبد الحكيم المنير ، والشيخ الخطيب والسيد أبو الهدى العاني وغيرهم ٠٠٠ قال السيد العاني : كان يحث الناس في المحافظات على العصيان المدني ٠

المسجد الكبير فيها ، والقاؤه حكمه ومواعظه ، ويحث الجميع على الثورة ضد فرنسا • وما أن عاد الى دمشق حتى قامت الثورة في كل المحافظات في اليوم التالي لعودته •

حدثني فضيلة الشيخ محمود الرنكوسي في دار الحديث بتاريخ ١٩٧٥/٥/٣١ ظهرا ، ان الشيخ بدر الدين أحضر مفتي المناطق أيضا الى هذا المكان الذي نجلس فيه ، وسأل كل واحد منهم : كم فرنسي في بلدتكم ؟ فقال له الشيخ يوسف مفتي يبرود : من ١٠٠ ــ ١٥٠ فرنسي ، فقال الشيخ بدر الدين : وكم تعدون أنتم ؟ ألا تقتلونهم ؟ ماذا تنتظرون ؟!

وروى الشيخ الرنكوسي أيضا ، أن المرحوم يحيى المكتبي تلميذ الشيخ الخاص روى له قصة مجيء المندوب السامي الفرنسي لدار الحديث ، فأدخل الى غرفة فارغة من البشر ، ولبث بها قليلا ، ودخل الشيخ بدر الدين اليه ، فقام له احتراما.فطلب منه المندوب السامي تهدئة الاوضاع ، فأجابه الشيخ بدر الدين بعنف : لا تهدأ الثورة الا بخروجكم ، فقد تمدنا ، جئتم حسب رأيكم لتمديننا ، لقد تمدنا وما سمح للمندوب السامي أن يكثر معه الحديث(١) •

• وفي مقابلات المجاهدين ، ذكر لي الجميع أن الشيخ محمد الاشمر ، والمجاهد المؤمن حسن الخراط ، كانا صباحا قبيل فجر كل يوم يقابلان الشيخ بدار الحديث ويأخذان منه التعليمات • وكان الشيخ بدر الدين يضع يده على رأس الشيخ المجاهد محمد الاشمر وعلى رأس حسن الخراط ويقول : « علقوا قلوبكم بالله ولا تخشوا أحدا الا الله »(٢) •

---

١ ــ أكد هذا الحديث أيضا الاستاذ الزميل محمود المكتبي نجل الشيخ يحيى ، بحديث معه بتاريخ ١٩٧٥/٦/٨ بجلسة في ثانوية ابن خلدون •

٢ ــ من حديث الشيخ محمود الرنكوسي بتاريخ ١٩٧٥/٥/٣١ في دار الحديث في الغرفة ذاتها التي كان يقابل بها الشيخ الثوار •

وكان يمدهم عن طريق تلامذته كالشيخ محمد ديراني بالذخيرة والمؤن ، والشيخ عبد الله الافغاني خادم الشيخ الخاص • وكان همزة الوصل بين الثوار والشيخ أيضا شخص اسمه « الهايشي(١) » فكان يقدم تقريرا يوميا للشيخ عن سير معارك الغوطتين •

* ومما يذكر أن الضابط المغربي « عطاف باشا » وهو برتبة كابتن كان مؤمنا مسلما يحضر الى المسجد الاموي ليسترق النظر الى الشيخ بدر الدين ، وكان يصلي ركعات عديدة ، وفي يوم من الايام قال للفاضل السيد أبي الهدى العاني ، ان فلانا وفلانا وفلانا جواسيس ، حضروا بالامس الى مقر القيادة وتحدثوا طويلا عن تحركات الثوار ، قال السيد العاني : قلت ذلك الى المجاهد أبي عمر ديبو ، تلميذ الشيخ أمين الزملكاني ، أن الكابتن عطاف باشا يقول كذا وكذا عن فلان وفلان • فقال لي : ان كان عطاف باشا مسلم حقيقة فليمدنا بالسلاح •

يقول السيد أبو الهدى العاني : فقلت للباشا ذلك عندما وصل الاموي للصلاة ، فقال عطاف باشا « طيب » غدا سنخرج بحملة الى دوما ، وفي طريق العودة سننشطر شطرين ، شطر من الحملة سيرجع من الطريق الرسمي « الحالي » ، وشطر سينطلق من دوما عن طريق ترابي شمالي بين البساتين ، وهذا الشطر كله مغاربة ، سنضع لكم كمية من السلاح والذخيرة في كرم اتفق عليه وهو كرم الشيخ موسى بحرستا •

وفي طريق عودة الحملة ، وفي كرم الشيخ موسى ، فك عطاف باشا والمغاربة حمولة من ١٠٠ الى ١٥٠ بغل في المكان المحدد ، وكان الثوار وقائدهم أبو عمر ديبو على بعد ٥٠٠ م فقط ينظرون من خلف الشجر ، وبعد فك السلاح والذخيرة أطلق عطاف باشا سبع

---

١ ــ ونسي الشيخ عبد الحكيم الاسم الاول لهذا المجاهد • وقال حرفيا : حسن الخراط خرج بأمر الشيخ بدر الدين والعلماء ، وكان له صلة وثيقة بالشيخ يأتمر بأمره ، لقد كانت دمشق كلها تلوذ بالشيخ بدر الدين رحمه الله !!

طلقات في الهواء ، وهي اعلام لنا ، كما اتفقنا مسبقا ، على انتهاء العملية • فجاء الثوار وحلف لي أبو عمر ديبو أنا كنا نراهم وهم يضعون البنادق والطلقات والقنابل ، ويقول السيد العاني مبتسما: فأصبحت رايتي بيضاء عند أبي عمر بعد هذه العملية التي تكررت أكثر من عشرين مرة بسبب حب عطاف باشا للعلامة الفاضل الشيخ بدر الدين الحسني •

وذكر الشيخ الاشمر أن عطاف باشا ساعده في الميدان ، وقدم له كمية جيدة من السلاح • ومما يذكر أن فرنسا لم تنتبه للامر بحجة أن الحملة قد اشتبكت اشتباكا عنيفا وخسرت معظم ما معها ، والحقيقة أنها طلقات في الهواء للتضليل تدل على انتهاء عملية وضع الاسلحة للثوار(١) •



الشيخ محمد الاشمر

من ابطال معارك الغوطة •

١ ـ القصة برواية السيد أبي الهدى العاني ، فهو صلة الوصل بين الثوار وعطاف باشا • أيد القصة دولة الاستاذ حسن الحكيم في جلسة بداره بجلسة ٦/٥/١٩٧٥ بحضور الاستاذ محمد حسن الحمصي • وأيدها الاستاذ السيد فخر الدين الحسني ، وقال المجاهد صالح سلو بعد أن أيد القصة : انضم حوالي ٥٠٠ مغربي جزائري بكامل أسلحتهم للثوار في الغوطة قرب المليحة بسبب عاطفتهم الدينية الاسلامية وقال : « وبطولتهم تحير ، لا يخشون الموت » •

* وكان المجاهد حسن الخراط(١) اذا عقد محكمته يصدرها باسم



حسن الخراط

« بطل من الابطال ، لا يهاب الموت » ٠
دولة الاستاذ حسن الحكيم

---

١ ـ وصفه دولة الاستاذ حسن الحكيم أنه بطل من الابطال، وقال المجاهد صالح سلو : انه شجاع لا يقاتل الا واقفا ، وأيد الحقيقة التي ذكرناها،وأيدها أيضا الاستاذ هاني المبارك فقد سمعاها ممن عايشوا الثورة السورية الكبرى ٠

وكان حسن الخراط يقود المجاهدين مساء ١٨ تشرين الاول عام ١٩٢٥ ، فدخل معهم أحياء دمشق الجنوبية ، وهاجموا مخافر الجيش الفرنسي ، ثم تقدموا نحو وسط المدينة ، واقتربوا من قصر العظم ، حيث كان الجنرال ساراي مع أركان حربه وحاصروه ، ففر الجنرال ساراي الى بيروت ، وأخذت القلعة التي كان يرابط فيها الفرنسيون ، تطلق نيرانها بغزارة ، وأشعل الفرنسيون النيران في الاحياء الملاصقة لها ، فتعذر على الثوار الاقتراب من أبوابها ٠

وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٥ ، خاض البطل المجاهد حسن الخراط معركة الزور الثانية ، فارتد الفرنسيون ولكنه أصيب في كتفه ٠٠ ثم جرت معركة أخرى قرب يلدا ٢١ من كانون الاول ٠٠ ثم استشهد البطل وهو يدخل حي الشاغور ٠٠ لكن بقي خبر استشهاده سرا مدة ، لئلا يفت ذلك في عزيمة الثوار المجاهدين ٠٠

رحم الله الخراط ، لقد عاش بطلا كرس وقته لوطنه ، ومات بطلا فلم ينسه وطنه ٠

« امام المسلمين الشيخ بدر الدين الحسني » ، فهل بعد هذا دليل على قيادة الشيخ بدر الدين للثورة !

★ ★ ★

ومما يذكر أن فرنسا أثناء الثورة شجعت من تطوع بجيشها من غير المسلمين ليعتدوا على الاحياء الاسلامية ، وفي الميدان بخاصة ٠ ناهيك عن التنكيل بأسرى الثوار ، وعدم معاملتهم كأسرى حرب ، بحجة أنهم عصابات خارجة عن القانون ٠

أنذرهم الثوار كثيرا ، فقام بعض من نفد صبره من الاهلين بمضايقة غير المسلمين في أحيائهم فقام الشيخ بدر الدين بحمايتهم ، وأمر حسن الخراط بزيارة احيائهم ليثبت للعالم أجمع أن أهل الذمة في حماية امام المسلمين ٠

وقبل ايراد الوثائق التي تثبت ذلك نتذكر أيضا موقف الشيخ المجاهد عبد القادر الجزائري ، في حادثة دمشق ١٨٦٠ من قبل ٠

فان شرارة الفتنة قد انطلقت بدمشق في (١٢٧٦/١٢/٢١ هـ ١٠/٧/١٨٦٠ م) وامتدت الى صفوف اصطفت للقتال ، ذهب ضحيتها خلق كثير ٠ وكان للامير عبد القادر في هذه الحادثة المؤلمة مواقف شريفة تدعو الى الاعجاب ، اذ استطاع أن ينقذ أكثر من خمسة عشر ألفا من النصارى بعث بهم الى منازله التي غصت بهم(١) ٠

حتى انه أخذ مفاتيح قلعة دمشق ، ووضع بها كافة نصارى البلد يقدم لهم الطعام والشراب على حسابه الخاص لمدة خمسة عشر يوما كانت كلها اعمالا ايجابية لفائدة وقف الفتنة واطفاء نارها فاستطاع الامير بذلك أن يحول (عشرة آلاف) جندي فرنسي الى وجهة فرنسا بعد أن كانوا يستعدون لنسف بيروت بقنابلهم المدمرة

---

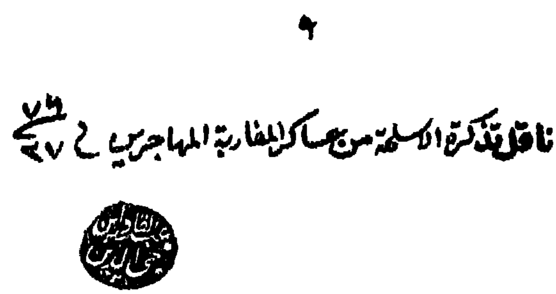
١ ـ بطل الكفاح الامير عبد القادر الجزائري ، يحيى أبو عزيز ، ص ٨٤ وما بعدها ٠

ويفرق جميع المراكب التي كانت ترابط هناك منتظرة تطور الاحداث

وكان لموقف الامير الاسلامي الانساني في هذه الفتنة . صدى في الاوساط العالمية ، فأتته رسائل شكر مصحوبة بالاوسمة وشارات الفخر والتقدير من جميع ملوك ورؤساء الدول العالمية • ونوهت به كبريات الصحف العالمية ، وأشادت بخصاله الكريمة ، ومواقفه الانسانية •

والوثيقة المنشورة هنا بصورتها وحجمها الطبيعي ، هي رخصة حمل سلاح للمسلمين ، أصدرها الامير نفسه لمن وقف معه من أهل الرأي لوقف الفتنة ، عندما لم يحرك الوالي العثماني ساكنا بشأن اخماد الفتنة ، لانه يجهل ما كان يجري في الاحياء بين الفئات الدينية •

وكانت هذه « الرخصة » بمثابة وثيقة تبرز عند سؤال السلطات العثمانية لحامل السلاح عن رخصته ، وما تجرأ أحد على رفضها مطلقا •


ناقل تذكرة الاسلحة من عساكر المغاربة المهاجرين
عبد القادر بن محي الدين

★ ★ ★

وبعد •• لنشهد الآن موقف سماحة الشيخ بدر الدين من الفتنة عام ١٩٢٦ •

أولا : قال مراسل « فرانكفورت غازت »(١) : [ان الاحيـاء

١ ــ الثورة السورية الوطنية ، مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، ص ٥٧ •

المسيحية التي تخلى عنها الفرنسيون في دمشق قد سلمت من النهب بفضل زعماء المسلمين ، ويجب على فرنسا أن تسلم الآن بأن سورية اليوم هي غير سورية المعروفة بتعدد منازعاتها الدينية، وان الوطنية السورية حلت محل الطائفية ، وقامت تطالب بحقها المهضوم] •

وهذا رد على اظهار الثورة بمظهر « التعصب الديني » ، عندما سحبت قواتها من باب توما ، والباب الشرقي، حيث يقطن المسيحيون من غير قوة مدافعة ، لعل الثوار يهاجمونها ، لتملأ الدنيا بأخبار تعدي المسلمين على النصارى • علما بأن الجهاد شيء والتعصب شيء آخر ، أبعد ما يكون عنه المسلم المتمسك بدينه •

لذلك زار المجاهد حسن الخراط محلات المسيحيين ، وهدأ روعهم قائلا لهم « انكم اخواننا »(١) •

وقد شهد التقرير القنصلي المشترك الذي وضعه القناصل في دمشق مثل هذه الشهادة ، وقرع الفرنسيين على ضربهم البلد من غير انذار ، وذكر كيف قام المسلمون بحماية اخوانهم في الوطن(٢) •

---

١ ــ نفس المصدر السابق •

٢ ــ ذكر ساطع الحصري في كتابه « يوم ميسلون ، صفحة من تاريخ العرب الحديث » ص ٣٠٥ ، وثيقة نشرتها جريدة العاصمة الصادرة بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠ ، رفعها الرؤساء الروحيون الى رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي هذا نصها :

* « يا حضرة الوزير الاعظم : اعلانا للحقيقة ، واعترافا بالفضل لذويه ، نرفع عن المسيحيين والموسويين المستقرين في دمشق وضواحيها علــى تعدد مللنا وطبقاتنا القومية ، تشكراتنا القلبية موجهة الى العلماء والاعيان والوجهاء والعامة من اخواننا المسلمين في دمشق وضواحيها ، لما صدر عنهم في الايام الاخيرة المخوفة من السهر الدائم على الراحة العامة ، واقامة جنود وطنية للمحافظة على الامن والسكينة ، ومنــع الاضطرابات المقلقة ، مما يسطر لهم الذكر الجميل في صحف التاريخ ، ويوجب لهم لدى معاليكم يا دولة الوزير ، أن يفوزوا بتكرمة وتقدير . وليحفظ الله مجد دولتكم العلية ، والدولة المنتدبة » •

التواقيع : بطريرك الروم الكاثوليك : تقلاوس ، متروبوليت بصرى وحوران : ميخائيل بحاش ، مطران السريان بدمشق مرخص أرمن بدمشق : استودس كيسهان ، النائب الاسقفي الماروني بدمشق : الخوري ابراهيم مساكي ، فارس الخوري ، ناصيف أبو زيد ، أسعد أبو شعر ، قسطاكي الحمصي ، ابراهيم طويل ، ميخائيل والياس صحناوي ، ميشيل أواديس ، شفيق قدسي ، انطوان أبو حمد ، خليل عنحوري ، اسبر خوري ، موسى سعد شاميه •

لقد حمى الشيخ بدر الدين أثناء الثورة السورية الكبرى نصارى سورية ولم يتعرض ثائر أو أي مسلم لاحيائهم أو لاشخاصهم حتى أن الاحياء المسيحية الواقعة بين أحياء اسلامية والتي تركتها فرنسا منسحبة منها ، لم تتعرض لاذى مطلقا ٠

* لذلك نشرت صحيفة « فتى العرب » العدد ١٥٤٣ السنة التاسعة ، الخميس ١٥ شعبان ١٣٤٥ هـ ، ١٧ شباط ١٩٢٧ م ، رسالة البابا التي حملها المنسنيور ابراهيم مسابكي ، لابلاغ سماحة الشيخ بدر الدين تحيات البابا القلبية وشكره الجزيل على حماية المسيحيين ، وعدم التعرض اليهم بأذى خلال الثورة ٠

* وقال المطران بشاره الشمالي مطران دمشق في كتابه « الاخوة الشهداء الثلاثة » ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٦ ٠ ص ٥٥ ما يلي :

* « ويلذ لنا أن نردد بالشكر والثناء والاعجاب ذكر السادة والاعيان وأصحاب الفضل والمروءة من المسلمين الذين دافعوا عن المسيحيين ، ذاكرين دائما ما جاء في الحديث النبوي : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ،وان المسيحيين هم في ذمة المسلمين ، أي في عهدهم كما يردد علينا ذلك ، ذاك الشيخ الجليل صاحب الفضيلة والعلم الصحيح الذي خبر بصادق فراسته ظواهر الدهر وبواطنه الشيخ بدر الدين الحسني في أوقات حرجة مرت علينا ، وعلى هذه البلاد أثناء الحرب الكونية ٠

وعند نشوب الفتنة الاخيرة التي دمرت البلاد ، وسفكت دماء العباد ، وأقلقت الراحة ، كانت تهيب بهذا الشيخ الوقور عواطف الشرف والمروءة ، وشعائر الحمية والغيرة ، فيهب كالليث المدافع عن عرينه ، ويطوف بنفسه على كنائس المسيحيين ، ومقامات الرئاسات الدينية منهم مشجعا اياهم بكلامه العذب متلطفا اليهم ، باذلا لهم

الوعود الجميلة ، والتسليات العذبة ، كما توحي اليه نفسه الكبيرة» وعقب المطران بشاره الشمالي مطران دمشق بقوله · « هذا أداء واجب ، فبذلت هذا التصريح اقرارا بالفضل » ·

* أما غبطة بطريرك الارمن في بيروت ، فقد أرسل الى سماحة الشيخ بدر الدين الحسني المحدث الاكبر ، رسالة هذا نصها حرفيا(١) :

* « لجانب العلامة الجليل ، صاحب السعادة الشيخ بدر الدين الحسني حفظه الله آمين ·

آخي العزيز

نزف اليكم تمنياتنا الاخوية ، داعين الى الله تعالى ، أن يديم أيامكم الثمينة ذاكرين على الدوام طيبة قلبكم الكبير ، وعواطفكم الانسانية الخالصة التي أظهرتموها في أجلى مظهر نحو أبناء ديننا الارمن ، اذ حميتموهم ، ومنعتم عنهم عاديات السوء أثناء حوادث تشرين الاول الدامية ·

وقد شكرنا لسيادتكم يومئذ بصورة شخصية، هذه المأثرة البيضاء ولا نزال الى الابد معترفين بهذا الجميل ·

كذلك فان الارمن ينظرون الى سيادتكم نظرهم الى والد كريم ، ويحزنهم اليوم وتشجي قلوبهم أن يتسرب الى نفوس اخوانهم المسلمين فيما يتعلق بموقف الارمن من هذه الازمة الشديدة التي تجتازها البلاد ، فهذا سوء تفاهم يدعو الى الاسف الشديد ، لما يترتب عليه من النتائج الوخيمة ·

---

١ ـ صحيفة « سورية الجديدة » العدد ١٤٤٠ ، السنة الثامنة ، تصدر بدمشق لصاحبها ورئيس تحريرها : حبيب كحالة ، العدد الصادر في ١٤ آذار ١٩٢٦ ، ١ رمضان ١٣٤٤ ، تحت عنوان : أخبار محلية ·

فيا أخي العزيز ، انا نؤكد لسيادتكم أنه ليس للارمن في هذه البلاد مطمع سياسي ، ولا يرمون الى غاية ما ، وهم لا يبطنون مقدار ذرة من العداوة لاخوانهم المسلمين ، بل يريدون أن يعيشوا واياهم بسلام وطمأنينة ووفاق تام ، وكيف لا يكون الامر كذلك وهم يشعرون بأن جميل أبناء هذه البلاد عليهم من مسلمين ونصارى مزدوج مضاعف ، فهم الذين آووهم أثناء الحرب العالمية ، حينما نفوا وأخرجوا من بلادهم ، وهم الذين استقبلوهم على الرحب والسعة مرة ثانية بعد هجرتهم من كيلكيا ، ثم عدوهم مواطنين لهم ، ان الارمن ليسوا من نكران الجميل بحيث ينسون العطف الذي لقوه من جانب العرب المسلمين ·

ومن جهة أخرى ، فانا نحن الرؤساء الروحانيين ، وجميع الذين يتبعوننا لا نفتأ نحض الارمن على الاخلاد للسكينة والطاعة لقوانين البلاد ،وحفظ العلائق حسنة مع اخوانهم المسلمين ، وكنا نحثهم دائما وأبدا على الوقوف موقف عطف ورفق تجاه أماني هؤلاء الوطنيين ، مع الامتناع عن اتخاذ موقف المشاركة الفعلية، او العداء لاي كان ·

فاذا كان ثمة نفر من الارمن تطوعوا(١) ، فان هذا لم يكن بموافقة منا ، بل انهم بدافع الفقر والحاجة تطوعوا في الجنديةدون استشارتنا ، واذا كان بين هؤلاء المتطوعين أفرادا أساؤوا السيرة ، وأقدموا على النهب والسلب وارتكاب بعض التجاوزات الشائنة ، كما ينسب اليهم في بعض الاندية ، فنحن أشد الناس بأن نراهم يعاقبون بما يستحقون ، واننا على فرض حدوث هذه الحوادث المؤسفة نستنكرها أعظم استنكار ، ولا ريب في أن سيادتكم على اتفاق معنا ، بأنه لا يصح ولا يعقل عن رؤساء الروحانيين ولا جمهور الطائفة الارمنية ، من رجال ونساء وأطفال مسؤولين عنها ،

---

١ ــ لمحاربة الثوار الى جانب الجيش الفرنسي ·

اذ ليس من العدل (أن يذهب الطائع ضحية العاصي) كما ورد في الامثال ٠

وكنا نود لو نزور سيادتكم بدمشق شخصيـا ، لنعرض عـلى مسامعكم الكريمة زيادة بيان ، وتأكيد عن موقف الشعب الارمني ، ولكني في الثمانين ، وحالتنا الصحية لا تسمح لنا باحتمال متاعب السفر ٠

لذلك جئنا بهذه الرسالة ، نتوسل الى سيادتكم أن تتكرموا أيضا على أبناء ملتنا بالحماية والرعاية ، وأن تبذلوا الجهد لتهدئـة خواطر اخواننا المسلمين ، وارجاع الصداقة والثقة المتبادلة بـين المسلمين والمسيحيين ، فتضيفون هذه المأثرة الغـراء الى مآثركـم الكثيرة ٠

ونحن في منصبنا كرئيس ديني وروحي للملة الارمنية ، لا نطمع لغير السلام والوئام بين جميع العناصر ، داعين الله تعالى أن يعيد السلام الى هذه البلاد ، ويفيض بركته عليها ، ويطيل أيامكم الثمينة بمنة وبركة » ٠

اسحاق الثاني
البطريرك الاعلى للطائفة الارمنية
في بيروت

★ ★ ★

* لقد سقت مواقفه من الثورة ، وسقت مواقف الثوار منه ، وسقت موقفه المشرف من الفتنة التي أشعلها المستعمر ، لنثبت ، تفاعل سماحته رحمه الله مع الاحداث ، وأنه المرجع الاول والاخير للثوار ولحل ما يعترضهم من مشكلات ، عسكرية أو اجتماعية ٠

لذلك ... لا غرابة أن نسمع عند وفاته قدس الله سره(١) غبطة بطريرك الروم الكاثوليك يؤبنه في أربعينه قائلا بالحرف الواحد(٢): « أترك لغيري من آمراء الكلام أن يعطروا هذا المنبر بذكر ما ازدان به الفقيد العظيم من المناقب العالية ، والاخلاق السامية والفضائل الجمة ، والعلوم الجامعة ، لكي أنظر الى ناحية من نواحي حياته ، بعيدة عن الافق ، فسيحة الدائرة ، فأجول في ميدانها جولة ، عساني أوفق الى الاحاطة بشيء من سعة مراميها ، تلك هي الناحية الاجتماعية ، وأثرها العميق في حياة مدينتنا الدمشقية ، بل بلادنا السورية الجمعاء .

لقد خلق الانسان اجتماعيا ، فلا حياة له الا مع الجماعة ، ولا سعادة ولا هناء ، ولا مجدولا سؤدد ، ولا كرامةولا فخار الا بالجماعة ومع الجماعة .

---

١ — توفي رحمه الله نهار الجمعة : ٢٧ ربيع الاول ١٣٥٤ هـ ، ٢٨ حزيران عام ١٩٣٥ ، ورأيت شخصيا ورقة التقويم العربي الهاشمي الصادر في دمشق السنة السابعة عشرة ، التي تحمل هذا التاريخ المذكور ، فكانت كرامة للشيخ ، اذ كتب على ظهرها قصيدة بعنوان : « البكاء على الدين » نظمت منذ ٦٨٣ سنة للشاعر عبد الغفار القوصي . فالتقويم مطبوع منذ أكثر من سبعة أشهر من وفاة الشيخ كما يلاحظ من تاريخ الوفاة وجاء في القصيدة :

فؤاد لا يقر له قرار — وأجفان مدامعها غزار
وليل طال بالافكار حتى — ظننت الليل ليس له نهار
ولم لا والتقى حلت عراه — وبان على بنيه الانكسار
ليبك معي على الدين البواكي — فقد أضحى وموطنه القفار

رحم الله الشيخ ، فموته موت للدين ، قال صلى الله عليه وسلم: «ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ..» رواه الامام أحمد في مسنده ، ومتفق عليه ، والترمذي ، وابن ماجه عن ابن عمر .

٢ — جريدة « الجزيرة » العدد ٣٢٦ ، الجمعة ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ هـ /١٦ أب سنة ١٩٣٥ م عدد خاص ١٢ صفحة ، عن حفلة تأبين الفقيد الاكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسيني ، والمقال الذي ننقله هنا على الصفحة الاولى والتاسعة تحت عنوان : « خطاب غبطة بطريرك بالروم الكاثوليك : لقد كان للبلاد ذخرا وسوف يبقى نورا وفخرا ، لقد عطف على المسيحيين ، فأحبوه واحترموه ، وعظم العالم المتمدن شأنه » .



الشيخ بدر الدين الحسني

« هذه الصورة ، اخر صورة أخـــذت لسماحته ، لقد التقطت خلسة قبل وفاته رحمه الله بسبعة ايام فقط » ٠

وتلك الجماعة تميل بفطرتها الى رجل كبير فذ عبقري يجمع شملها ويسير خطاها في مسالك الحياة ومجاهل الدنيا ٠

ولقد أوجد الله في الكثير من العصور ، وفي كل أمة من الامم رجالا أعلاما يهتدي الناس بهم ، ويلتفون حولهم ، ويسيرون بجاذبية سحرهم ، وينقادون الى مشيئتهم فيقولون قولهم ، ويرون في الحياة رأيهم :

نرى الناس ان سرنا يسيرونخلفنا   وان نحن أومأناالى الناسوقفوا

فان كان الرجل منهم نورا وضاء سار الناس بضياء أنواره في سبيل الهداية والطريق القويم ٠ هذا قس بن ساعدة ، وهذا علي

ابن أبي طالب ، وهو ذا الائمة الاربعة أبو حنيفة النعمان ورفاقه الثلاثة الاعلام العظام ، وهذا الاستاذ محمد عبده ، وغيرهم وغيرهم كثير ، وكلهم امام ، سارت الملايين في ركابهم مئات من السنين ·

ولقد نعمت دمشق والبلاد السورية ، مدة تنيف عن السبعين سنة بتلك الزعامة الاجتماعية ، بنبوغ فقيد الاوطان العربية المحدث الاكبر المغفور له ، الشيخ بدر الدين الحسني ·

فانه رحمه الله كان علما من الاعلام الكبرى الخفاقة ترجع الجماعة اليه ، وتستكن الى ظل طياته ·

فلقد جمع العلم والتقى والوجاهة والكرامة والشيخوخة الوقورة والمثل الاعلى من الصلاح ، فكانت له من المواهب سحرا جلب اليه الجماهير ، فباتت ترنو الى لحظة من لحظاته ، واشارة من أنامله فتسير بدافع ذلك السحر كتلة واحدة في طريق الخير والصلاح والفلاح ·

ولقد لمس بيده ورأى بأم عينه ما كان تأثير زعامته الاجتماعية على مئات الالوف · وعرف أن كلمة منه تذهب بهم يمينا وكلمة تسيرهم شمالا ، ولما كان بارا تقيا رجل السلام والصلاح ، فقد بات حياته كلها يستعمل تلك القوة الادبية الكبرى في سبيل الخير والانتصار للضعيف ، وكبح جماح الغاصب القوي(١) ·

كانت بلادنا العزيزة قد بقيت زمنا طويلا مرتعا للاحزاب ، وميدانا للتباغض والتنافر · فعمل حتى آخر دقيقة من سني شيخوخته الكريمة على لمّ شملها ، وتقارب أبنائها ، ونشر السلام في سهولها ، وعلى رباها فانقادت له الجماعة وخيمت على رأس كبيرهم وصغيرهم وعالمهم وجاهلهم ، وأميرهم وسوقتهم ، أعلام

---

١ ـ يعني بها المستعمر الفرنسي ·

المحبة والثقة المتبادلة ، مع احترام الاديان واعتبار الانسان لاخيه الانسان ٠

فكم مرت على البلاد محن وبلايا ، وكم ساقت الاقدار لها من الرزايا ، وكم مهدت ظروف الحال واطماع بعض الرجال للجموع المتحمسة من صنوف الايقاع لبعض المدن والبائسة ، فكان يقف دائما حصنا منيعا في وجه النافخ في النار ، ويصرف الجماعة عن المطامع والانتقام الى الوفاق والتسامح والسلام ٠

وان ما نراه اليوم بيننا من التآلف والتحالف ، وما انطوى دهره من الخصام رغم تباين العقائد ، وتنازع المشارب لهو ببعضه أو بكثره ثمرة جهود هذا الشيخ الامام ، ونتيجة ما زرعه من المحبة والسلام بين الالوف من الانام ٠

وهذه الحفلة التأبينية التي جمعت جنبا الى جنب المسلم والمسيحي وسمعت على هذا المنبر الامام الفاضل والكاهن العابد ، ليست الا تحقيقا لتعليمه ، وآثرا لسحر سلطانه على الجموع ٠

واذا كانت الاوطان لا تقوم الا على عمد الاتحاد والتضحية والمحبة والسلام بين الافراد ، فاليه يرجع الكثير الكثير من الفضل في تكوين هذا الوطن السوري العربي المفدى ٠

أنا لا أنكر على مواطني الدمشقيين ، خصوصا من الاخوان الاسلام دماثة أخلاقهم ، ولين عريكتهم ، وطيب قلوبهم ، وما ينبعث من حركاتهم وسكناتهم من حسن المعشر وكرم الجوار ، لكن بعض أيام العواصف لا بد أن خلقت أحيانا جوا مكهربا ، فكان الفقيد العظيم يعمل بحكمته ودرايته ونفوذه ورجاله على تبديد السحب وصيانة الاعراض والارواح والاموال ٠

لقد سارت الجموع في حياته تتبعه بقوة كلمته ٠

وسارت عشرات الالوف يوم وفاته تتبعه بجاذبية وكرامة رفاته ٠

وسارت اليوم ألوف الالوف تتبعه بسحر ذكره أو تعليمه وارشاده ·
فلقد كان للبلاد ذخرا ، وسوف يبقى نورا وفكرا وفخرا ·

فيجمل بنا أن نقتفي أثره ، و ننبذ التباعد، و نكون حزمة واحدة و نعرف أن لنا وطنا واحدا ولغة واحدة ، وأماني واحدة ، وكرامة ، بل سماء واحدة و الها واحدا ، هو خالق الكل ، وسيد الكل ، و نعيم الكل ·

لتنعم نفسك الكبيرة أيها الشيخ في جنات الخلود ، وليؤتنا الله أن نكون حسب تعاليمك : أبناء المحبة واخوة السلام على الدوام » ·

كما أبن الفقيد في أربعينه ، الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني ، وكلمة مصر ألقاها الاستاذ الاكبر الشيخ محمد بخيت المطيعي ، والشيخ طاهر الاتاسي ، والاستاذ عز الدين التنوخي · ومن رجال السياسة رئيس الوزراء آنذاك عطا الايوبي ، والسيد عبد القادر المغربي رئيس المجمع العربي ، والدكتور رضا سعيد عميد الجامعة ··· وحضر حفلة التأبين رئيس الجمهورية(١) ·

★ ★ ★

* وبعد ··· فماذا بعد هذه الوثائق والاحداث التي وقعت ، ودونها التاريخ ، ماذا بعدها من أدلة وبراهين يمكن أن تثبت دور هذا العلم من أعلام الاسلام ، في تهيئة النفوس والهابها ، وذلك بما زرعه في النفوس من حقيقة الاسلام ، وروعة الايمان · فكانت تلك الثورة العربية التحريرية التي لم تكن لتتفجر لولا الاسلام الذي جعله هذا العلامة يعمر القلوب ·

★ ★ ★

١ ـ لمعرفة الكلمات ، والوفود التي أمت دمشق في ذكرى الاربعين ، يرجع الى « الجزيرة » عدد خاص عن الفقيد في ١٢ ص ، العدد ٣٢٦ ، الجمعة ١٧ جمادى الاولى ١٣٥٤ هـ ، ١٦ آب ١٩٣٥ ·

* وهكذا ۰۰۰ فان الاجيال العربية المؤمنة والمخلصة لهذه الامة سوف تبقى ذاكرة بكل فخر واعتزاز هؤلاء المجاهدين الذين رفعوا اسم بلادهم عاليا في فم الزمن ، حين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، وعزة هذا الوطن ۰

* رحم الله أرواح شهداء ميسلون ، وجعلها في عليين ، و نخص أرواح السادة العلماء :

الشيخ عبد القادر كيوان ، الشيخ كمال الخطيب ، الشيخ محمد توفيق الدرا ، الشيخ ياسين كيوان ۰۰۰۰ وغيرهم ممن ذكرنا في طيات هذا البحث ۰

* وقدس الله سر العلامة المحدث الاكبر الشيـــخ بدر الديـــن الحسني ، وتلامذته الابرار ۰ وألهمنا سبحانه وتعالى أن ننصف تاريخ أمتنا ورجالاته ۰



المغـــرب

* « ان المغرب العربـــي بالاسلام كان ، وللاسلام عاش ، وعلى الاسلام سيسير في حياتـه المستقبلية » ٠

الامير عبد الكريـــم الخطابي في بيان«جبهة تحرير المغرب العربي»

* لما أفل نجم الدولة العثمانية ، انطلقت القوات الاوروبية من عقالها في مغامرات استعمارية ، وكان أكبر الخطر على المغرب هـو احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ ٠ فان المغرب اضطر لاجل ايقاف مطامع الاعداء ، الى محاربة فرنسا ١٨٤٤ ـ ١٨٤٥ واسبانيا ١٨٦٠ على التوالي ، وحد من هذا تدخل انجلترا الدبلوماسي استبقـاء لمكانتها البحرية ، وحتى لا يهدد جبل طارق الذي كانت تسيطر عليه منذ سنة ١٧٠٤ اقتراب نفوذ دولة أخرى ٠ ولكن ذلك لـم يمنع فرنسا من ربح معركة تونس عام ١٨٨١ ، وبذلك قبضت علـى المقاطعتين التركيتين تونس والجزائر ٠

---

* ـ مراجع هذا البحث الكتب التالية بشكل رئيسي :
١ ـ عبد الكريم الخطابي ، د٠ جلال يحيى ، سلسلة أعلام العرب ٧٨ ٠
٢ ـ المغرب ، سلسلة شعوب العالم ، العدد ١٤ ٠
٣ ـ الامير عبد الكريم الخطابي ، بطل الشمال الافريقي ، نشر المكتبة العلمية ومطبعتها ٠
٤ ـ عبد الكريم أمير الريف ، تأليف فورنو ، نشر دار دمشق ٠
٥ ـ المغرب العربي ، د٠ صلاح العقاد ، ط عام ١٩٦٢ ٠

وفي سنة ١٩٠٢ اتفقت ايطاليا وفرنسا على أن تطلق يد الاولى في طرابلس الغرب ، مقابل حرية العمل في المغرب للثانية ٠

وفي ٨ نيسان (ابريل) ١٩٠٤ ، تم الاتفاق بين فرنسا وانجلترا والتزمت فيه فرنسا بعدم عرقلة عمل انجلترا في مصر ، على أن تعترف انجلترا بحق فرنسا المطلق في المغرب ٠

وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٤ ، تم الاتفاق بين فرنسا واسبانيا على الموافقة على اتفاق ٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٤ نظير أن يكون لاسبانيا نفوذ في بعض مناطق المغرب، على أن تستبقي طنجة وضعها الخاص شبه الدولي ٠

ولكن الدبلوماسية الالمانية أحبطت هذه الاتفاقات ٠ ففي ٣١ اذار (مارس) سنة ١٩٠٥ نزل غليوم الثاني امبراطور ألمانيا بطنجة ، وخطب في وفد استقباله فقال : « ان زيارتي هذه هي لسلطان المغرب الملك المستقل ، وأتمنى أن يظل المغرب تحت سيادته العليا مفتوحا لمزاحمة سلمية بين جميع الدول »٠

وكان صدى هذه الزيارة : مؤتمر الجزيرة الخضراء ٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٠٦ الذي اعترفت فيه الدول بسيادة مراكش واستقلاله ، ووحدة مملكته ، وهكذا أخذت القضية المغربية الصبغة الدولية ٠

ولكن هذا لم يستمر الا ريثما اتفقت مصالح ألمانيا وفرنسا على تقسيم الغنائم الاستعمارية ، فأطلقت ألمانيا يد فرنسا في المغرب ، نظير ترك الكونغو الافريقي لالمانيا ــ معاهدة أجادير تموز (يوليو) سنة ١٩١١ ــ وتلا ذلك اتفاق فرنسي اسباني في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١١ على تجديد الاتفاقية المنعقدة في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ ٠

وفي ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩١٢ وقّع السلطان عبد الحفيظ

على المعاهدة المشؤومة التي أعلنت فيها الحماية على البلاد ٠

ولما استنفد المستعمر أغراضه من السلطان عبد الحفيظ ، أجبره على التخلي عن الحكم ، ومغادرة البلاد في ١٢ آب (أغسطس) سنة ١٩١٢ ، أي في نفس السنة التي وقّع فيها معاهدة الحماية »(١) ٠

يقول ا٠ د٠ موريل في هذا الصدد : « ان حكما سريا بالاعدام قد لفظ ضد مراكش ٠ وكان على فرنسا أن تلعب دور الجلاد ، وعلى اسبانيا أن تلعبدور المساعدصاحب المصلحة، وعلى بريطانيا ان تلعب دور الشاهد المعني »(٢) ٠

تركت فرنسا المنطقة الشماليةللاسبان، وهي المنطقة التي تعرف باسم « الريف »(٣) ، ترى كيف كانت سياستهم في هذه المنطقــة ؟!

لقد محا الاسبانيون معالم مدن الريف كمليلة وسبتة الاسلامية : « فحولت مساجدها الى كنائس »(٤) ٠ واتخذت اسبانيا من هاتــين المدينتين نقطة ارتكاز للانقضاض على المغرب ٠

ولم تكن الحرب هي السلاح الوحيد الذيمارسه الاسبان لاحتلال أجزاء المغرب ، فقد اتبعت اسبانيا منذ قرون سياسة الاستعمــار الفكري والروحي والسيطرة الاقتصادية ، وتحطيم اقتصاد البلاد ، بالاضافة الى اثارة الفتن بين القبائل ٠

لقد دفعها التعصب الديني الذي اشتهر عنها ، الى ارسال جماعة من الفرنسيسكان والرهبان الى البلاد ، لانشاء مراكــز ثقافيــة في

---

١ ــ الامير عبد الكريم الخطابي ، بطل الشمال الافريقي ، لمحمد عبد المنعم ابراهيم المحامي ، ومحمد عبد الوارث الصوفي ، ص ٢٦/٢٧ ٠

٢ ــ عبد الكريم أمير الريف ، لروبرت فورنو ، ص ٧ ٠

٣ ــ الريف ، شبه قوس يمتدمن نهر ملوية الىحدود منطقة طنجة وتعني «ريف» حافة أو جرفا ، أو ارضا مزروعة خصبة ٠ ولكنها تعني في مراكش جغرافيا : الساحل البحري الشمالي ، الدفاع الخارجي عن البلاد ٠ المرجع السابق ص ٨ ٠

٤ ــ المغرب ص ١٠٧ ٠

الظاهر ، ولكنها في حقيقة الامر مراكز تبشير وتجسس ٠ ولما انكشف أمر هؤلاء الرهبان ، وظهر للمغاربة أنهم يقومون بالتبشير وكأن المغاربة لا دين لهم ، عمد الاسبان الى تغيير الخطة ، ومتابعة ارسالهم كقناصل وسفراء ، ثم انقلب هؤلاء الرهبان الى طابور خامس ، عندما نشبت الحرب الاسبانية المغربية سنة ١٨٥٩ ٠ واستطاع الاسبان في مختلف الاوقات الحصول على امتيازات مختلفة حطمت اقتصاد البلاد ومعنويات الشعب ٠

وهكذا ٠٠٠ اذا كانت السلطة الفعلية في المغرب الاقصى قد عجزت عن مواجهة مؤامرات الاستعمار العسكرية والاقتصادية والتبشيرية ، فان ذلك لم يمنع من ظهور قيادات جديدة في الميدان ، عملت وجاهدت من اجل الاحتفاظ باستقلال البلاد ، وكان الاسلام مفجرها ومحركها ٠

★ ★ ★

محمد عبد الكريم الخطابي

على شاطىء البحر الابيض ، بين تطوان ومليلة ، تقع قرية أجدير ، في هذه القرية ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي في ١٥ شعبان ١٣٠١ هـ/ ١٨٨١ م ، كان والده السيد عبد الكريم الخطابي رجل علم ودين وتقوى ، والعدل في الفصل بين الناس، وكان مضرب الامثال في الجود والشجاعة ، انعقدت له زعامة قبيلة (بني ورياغل) الكبيرة ٠

نشأ هذا الرجل التقي أولاده على حب الحرية ، والتمسك بأهداب الدين ٠ وبعد أن حفظ ابنه محمد القرآن وتلقى مبادىء الدين واللغة العربية ، وجهه والده الى فاس حيث جامعة القرويين ، وهي أقدم جامعة في العالم ٠ ولما تخرج منها ، عين مدرسا بمليلة ،

فعرف بخصال حميدة ، منها الذكاء وحب العلم والاستقامة،والتبحر في الادب « واستمر فترة طويلة يحرر جريدة تلغراف ديل ريف ، وكثيرا ما دبج فيها المقالات العامرة بآيات الوطنية والايمان »(١)

فلما نبه شأنه ، وظهر فضله ، عين قاضيا للقضاة بمليلة ، فكان نعم القاضي العادل ، والفيصل الحق ، وله أحكام تشهد له بطول الباع ، وسمو النفس ، ورجاحة العقل »(٢) ٠

ثم كان ما كان من أمر سجنه بتهمة « عدم الميل للفرنسيين » ٠ وحقيقة سجنه تكمن بما يلي : أرسل والده للاسبان مهددا بأنه اذا لم تعدل اسبانيا عن سياستها الحمقاء ، والكف عن ايذاء الاهـالي في المنطقة التي يحتلونها ، فانه سيحاربهم ، وهنا أسرعت اسبانيا الى القبض على محمد بن عبد الكريم الخطابي ، والسبب الثاني : « احتجاج فرنسا على الاسبانيين بتوجيه التهمة لمحمد عبد الكريم ، وهو قاضي القضاة في مليلة بأن ميوله ضد الحلفاء ، تتفق مع سياسة الحياد الاسبانية التي كانت تلتزمها يومئذ ، مع أنه تولى القضاء باسم خليفة تطوان ، أي خليفة سلطان مراكش حسب معاهـــدة الحماية المعروفة بالمعاهدة الثلاثية « فرنسا واسبانيا ومراكش»(٣) ٠

تألف مجلس حربي برياسة الجنرال « اي اسبورو » الاسباني ، قائد القوات المحتلة في منطقة الريف ، وفي أثناء المعركة سئل محمد عبد الكريم الخطابي :

ـ هل حقيقة ميولك مع الحلفاء ؟

ـ نعم ٠

ـ لماذا ؟ ما هو سبب ذلك ؟

---

١ ـ الامير عبد الكريم الخطابي ، ص ١٩ ٠
٢ ـ المصدر السابق ٠
٣ ـ المرجع السابق ص ٣٢/٣٣ ولكنها بالكتاب على لسان الامير الخطابي ٠

ــ لان الدولة العثمانية دخلت الحرب باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ، وهي تقف بجانب ألمانيا واستوريا «النمسا» ، وأنا مسلم مراكشي ، والخليفة نادى بالجهاد ضد الحلفاء لتحرير بلادنا التي تحتلها فرنسا واسبانيا ٠

ــ وأنت ما هي علاقتك بالخلافة ؟

ــ انها خلافة المسلمين كلهم في مشارق الارض ومغاربها، ولذلك فأنا معهم لنحارب الحلفاء ٠

فضحك الجنرال ــ اي اسبورو ــ ثم قال :

ــ يا عبدالكريم أنا أعلم أنك رجل نبيل ومن أسرة نبيلة معروفة ولكن ألا تعلم أن دولة اسبانيا ملتزمة بالحياد ، وأنت قاضي القضاة في منطقة الحماية ؟! ٠

ــ هذا لا يمنعني من القيام بواجبي الوطني ، واني أرى الكثير من ضباطكم يتعاملون مع الالمان الموجودين هنا ، لتغذية الحرب ضد فرنسا بجانب تركيا ، « ثم اذا كانت الوظيفة تمنعني من القيام بالواجب الوطني ، فأنا مستقيل من هذه الوظيفة منذ الآن لاتفرغ للقيام بالواجب المحتم علي »(١) ٠

ــ الاستقالة لا تقبل اليوم ، ولا تقبل فرنسا ، التي تحتج علينا كل يوم هذا التصرف لاجلك ٠

* وعلى الرغم من أن نتيجة القضية البراءة ، اعتقل محمد عبد الكريم بعد ثلاثة أيام وسجن في مليلة ، وحاول الهرب ، لكن رجله اليسرى كسرت ، فأعيد الى السجن ٠

في هذه الايام قام العالم الجليل ، والمسلم التقي المجاهد عبد الكريم الخطابي والد الامير محمد بحركة ضد اسبانيا ، وقال لهم :

---

١ ــ بطل الشمال الافريقي ، ص ٣٤ ٠

لا تعتقدوا ان اعتقال ولدي وسجنه يمنعني من العمل ضدكم ، فهو وأنا وجميع أفراد العائلة مستعدون دائما لمواجهة الظالمين بمـــا يستحقونه ٠



محمد عبد الكريم الخطابي :

« ان المغرب العربي بالاسلام كان ، وللاسلام عاش ، وعلى الاسلام سيسير في حياته المستقبلية » ٠

طلب الاسبان من محمد وهو في سجنه أن يكف والده عن الثورة ، وهددوه بالنفي الى سجن « ملقة » ، فقال لهم : اني لا أستطيع أن آمر والدي بشيء ، بل هو الذي يأمرني ، وأنا مطيع له في كل شيء ٠

وبعد أشهر وقد فات على الاسبان ما أرادوا أخلي سبيل محمد ابن عبد الكريم ، فعاد الى اجادير ٠

كان انذار الزعيم العالم ، رئيس قبيلة (بني ورياغل) ــ والد الامير ــ للاسبان سنة ١٩٢٠ ، فكتل المستعمر قواه الحربية لغزو أراضي قبيلة بني ورياغل نفسها ٠

دارت معارك عديدة ، بين الاسبان وأهل الريف بقيادة الزعيم العالم بالدين ، والد الامير ٠ وبعد وفاة الوالد ، تولى الابن مركز

الزعامة في القبيلة ، وكان شابا في مقتبل العمر ، متبحرا في علوم الدنيا والدين ، فتابع الحروب التي شنها والده ، وأخذ أهبتـه لملاقاة الاسبان الذين يحتلون شرق الريف وغربه،وكان الفرنسيون يحتلون جنوب الريف ·

تقدم جيش الاسبان بقيادة الجنرال سلفستري ، واحتل حصن بلدة «انوال» ، ولكن الثوار استعادوه ، وأفنوا حاميته ، وغنموا كل ما به من ذخيرة ومؤن · فأرغى الجنرال سلفستري وأقسم ليبيدن جيش الحفاة والعصاة ، « ولقد صدق الجنرال سلفستري في قسمه عن الابادة ! ولكن بفارق واحد ، وهو أن أبيد هو والجيش الكبير المكون من ٢٥،٠٠٠ جندي على يد قلة لا تتجاوز الالف[١] ·· » · استمرت المعركة من ١٦ حزيران (يونيو) الى ٢١ حزيران سنة ١٩٢١ ·

« تعتبر معركة انوال من أكبر المعارك التي خاضها الوطنيون ضد قوات الإستعمار ، وتعتبر فتحا في عالم الحروب والمعارك ، وان أردنا تلخيصها على طريقة حسابية لقلنا أن ١٠٠٠ أزيد مـن ٢٥،٠٠٠ أو ١٠٠٠ أكبر من ٢٥،٠٠٠ · وتصبح المسألة مشكلة حسابية رياضية ، ولكن النسبة كفيلة بحل كل هذه المشكلات »[٢] · ان « أنوال » هزت العالم أجمع ، خصوصا اسبانيا وفرنسا ·

اهتزت اسبانيا للهزائم المتكررة المنكرة ، وللخسائر الفادحة في الارواح والذخائر ، وكانت قد قامت دكتاتورية « بريمودي ريفيرا» العسكرية في اسبانيا ، فترك الدكتاتور اسبانيا وهرع الى الريـف ليشرف على المعركة ، ولم ينفع الاشراف على المعركة ، وصارت الطائرات الاسبانية تتساقط في ميدان القتال ، وتم استيلاء الثوار على حصن « وادلاو » ثم حصن « الشاوون » ·

---

١ ـ بطل الشمال الافريقي ، ص ٤٤ ·
٢ ـ بطل الشمال الافريقي ص ٤٦ ·

وفقد الاسبان أعصابهم وعقولهم فاستعملوا الغازات السامة المحرقة ... وهي نقطة سوداء في تاريخهم تضاف الى تاريخهم الاسود في الاستعمار .

اتصل « بريمودي ريفيرا » بفرنسا ، وأثمرت الجهود واتفقت القوتان ، وكانت فرنسا تمثل أكبر جيش في العالم ، وكانت اسبانيا لديها من القوات ما يعد ثالث جيش في أوروبا وقتئذ ، وفي اول ربيع ١٩٢٥ ، بدأ الفرنسيون هجومهم تحت ستار صد هجوم مفتعل ، ليخففوا عن الاسبان وهم في ذروة القتال مع المجاهدين .

هزم الوطنيون المجاهدون الجيش الفرنسي في « مزيان » وغيرها وأصبح الطريق مفتوحا الى فاس العاصمة . فهرع رئيس وزراء فرنسا الى ميدان القتال ، وعزل الجنرال ليوتي الفرنسي الكبير ، وعين المارشال بيتان كبير العسكريين الفرنسيين ، فأسرع في آب (أغسطس) ١٩٢٥ وشد هجوما انتزع به «البرانس» بينما كانت اسبانيا في سبيلها الى النزول في اجدير . وفي ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٥ نزل الاسبان في اجدير بعد مقاومة شديدة ، وكانت رابع جبهة تفتح ، وصارت جبهة القتال ممتدة مسافة ٣٠٠ كيلو متر ، مسخرة لها جميع قوى فرنسا واسبانيا .

وفي آيار « مايو » ١٩٢٦ ابتدأت الجيوش الاسبانية والفرنسية الموحدة تحت قيادة بيتان تزحف من الشرق والغرب ومن الجنوب والشمال[1] ، وقد عرض الصلح على عبد الكريم أكثر من مرة ، ولكنه رفضه ، وهو يعلم أنه في آخر أيامه ، يحارب حربا خاسرة ،

---

١ ــ بلغ جند الفرنسيين والاسبان ربع مليون جندي مع طائرات وغازات وبوارج ، حتى الاسطول البريطاني حاصر شواطىء الريف . علما أن الامير لم يجمع اكثر من خمسة آلاف مجاهد فقط . ولما طلب من وزير خارجية فرنسا وضع حد للمجزرة الدائرة في مراكش قال : « انها معركة بين الهلال والصليب » ، راجع مأساة مراكش ــ روم رولاند ــ ص ٣١٠ .

ولكنه أبى أن يمضي معاهدة تنقص من حقوق بلاده ، وفضل لنفسه الاسر والهزيمة بشرف ، على أن يحيد قيد أنملة أو أن يعطي المستعمر صكا أو شبه صك يفيد الاستعمار ، أو يوهن من عزيمة أهل البلاد ٠

هزم محمد عبد الكريم أمام زحف الدولتين ، بعد معارك كثيرة انتصر فيها الايمان على تكتل الجيوش ، ولكن صيحته في التحرير لم تذهب هباء ، وحركته لم تمت ، فالشعلة التي أضاءها ما خمدت ، وصيحته لم ينقطع دويها ، وها هو ذا المغرب وشقيقتاه تونس والجزائر تجنيان ثمار الثورة :

١ ــ استقلال الارض وطرد المستعمر ٠

٢ ــ وعودة الى حظيرة الضاد والاسلام، وسقوط الفرنسة والدمج والصليبية !!

* وفي ١٠ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٢٦ نقلت باخرة البطل المسلم مع أهله وشقيقه الذي جاهد معه في كل معاركه ، وعمه عبد السلام « أمين بيت المال » الى جزيرة « رينيون » في شرق المحيط الهندي ، فبقي هناك بطل الاسلام في رياضة روحية عشر سنوات ، اعتكف لصقل نفسه وتصفيتها ، خصوصا والامير مسلم صوفي نشأ على محبة الله ورسوله وحب الصالحين ، ولم يكن ليجاهد هذا الجهاد ويسطر صفحات خالدة في التاريخ لو لم يكن كبير الايمان ، كبير القلب عظيم الهمة ، عبقري الصفات ، جاعلا مثله الاعلى دائما أبدا الرسول الكريم محمد صلوات الله عليه ، محرر الدنيا ومخرجها من الظلمات الى النور(١) ٠

وبعد عشر سنوات سمح للمنفيين بالتنقل في انحاء الجزيرة يصحبهم حرس شديد ٠ وفي عام ١٩٤٧ أعلنت فرنسا للعالم اطلاق

---

١ ــ الامير عبد الكريم الخطابي ، بطل الشمال الافريقي ، ص ٩٣ ٠

سراح بطل الريف وأهله شريطة السكن في فرنسا في أحد القصور التي أعدتها فرنسا الى أن تقضي فرنسا في شأنهم بعد ذلك بمـــا تراه ·

وفي ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٧ تمكن البطل من النزول في بور سعيد وعاش في مصر حتى وفاته في ٧ شباط ١٩٦٢ (١)، حيث دفن في مقبرة الشهداء ·

★ ★ ★

** هذا هو دور الاسلام في المغرب ، هذا وقوفه في وجه المستعمر وكل ما سبق غني عن التعليق والتأويل · لقد تمثل الاسلام الحـق بالبطل المسلم : محمد عبد الكريم الخطابي ·

* في القاهرة لم يستطع الامير أن يعتزل الجهاد ، في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ تشكلت « لجنة تحرير المغرب » برئاسته ، واصدرت ميثاقا وطنيا ، جاء فيه :

١ ــ ان المغرب العربي بالاسلام كان وللاسلام عاش ، وعلـى الاسلام سيسير في حياته المستقبلة ·

٢ ــ المغرب جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة (٢) ·

* قال المستر كورتي عضو مجلس العموم البريطاني : « انعبد الكريم رجل حرب وجلاد وزعيم يعرف كيف يجمل الجماهير تنقاد اليه حتى صار الناس في الهند و بغداد والقاهرة يرون فيه رجلا يصح أن يكون أميرا للمؤمنين ، وحاملا لسيف الاسلام ، فاذا أصبح والحالة هذه في مركز يدعو فيه الى الجهاد في افريقية الشمالية و بلاد العرب والاناضول ، فان فرنسا وانجلترا وايطاليا تتعرض لاخطار جسيمة

---

١ ــ مقال محمد العربي الخطابي ، في العربي ، العدد ٧٥ ، شباط ١٩٦٥ ·
٢ ــ المغرب العربي ، د· صلاح عقاد ص ٤٧٨ ،

ولا يبعد أن تمس هذه الاخطار دولا أخرى غير هذه ايضا »(١) ٠

* قال المارشال ليوتي مندوب فرنسا السامي في مراكش : « أرى أن خطر الحرب الحاضرة في الريف يتجاوز افريقيا الشمالية فان العالم الاسلامي يرقب الحرب بين ابن عبد الكريم واسبانيا باهتمام عظيم »(٢) ٠

* وقال المركيز دي سيجونزاك : « لا ريب أن ابن عبد الكريم يمطرنا الآن وابلا من الاحتجاجات السلمية بعد أن سوى المسألة الاسبانية ، ولكن من ذا يشك في أنه سيرتد علينا؟ ان العالم الاسلامي بأسره يستحلفه ويحثه على ذلك ، وتعتبره الهند ومصر وتونس وغيرها محرر افريقيا الشمالية وقاهر الظلم والاستبداد »(٣) ٠

* وقال مراسل الماتان العسكري : « الواقع أن حرب الريف لم تكن غير حدث دموي ، راح يهدد في بعض الاحايين العالم كله بثورة اسلامية عامة »(٤) ٠

* [وصف الكابتن غوزدون كاننج «أحد الضباط الاجانب الذين رافقوا الثائر المغربي مدة من الزمن » كيف كان يعيش عبد الكريم ويحارب سنة ١٩٢٦ فقال : « ان قائد المغاربة ربع القامة ، حاد النظرات ، مفتول العضلات ، قوي البنية ، حلو الحديث ، متواضع الى أبعد حدود التواضع ، يعيش عيشة الزاهد والمتقشف ، لا يقابل الناس الا نادرا ، وهو يترك لعمه وأخيه مهمة التحدث باسمه الى كل من يرغب في مقابلته ، شجاع الى حد الجنون ، وكثيرا ما يضطر رجاله الى ارغامه بالقوة على عدم الوثوب الى الامام في طليعتهم

---

١ ـ من كتاب « الامير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الافريقي » ص ١٠١/١٠٢/١٠٣ و ١٠٥ ٠
٢ ـ المرجع السابق ٠
٣ ـ المرجع السابق ٠
٤ ـ المرجع السابق ٠

خوفا على حياته ، له على أولئك الرجال سلطان ونفوذ لا يتصورهما عقل ، تقي ورع ، لا تفوته صلاة ، يرتدي الثوب المغربي الوطني المصنوع من الصوف](١) ٠

ان دور الاسلام في حياة ثورة المغرب ، دور لا يحتاج الى تحليلات « علمية » لنصل الى هدفنا ، فالمغرب بالاسلام حارب ، وبه عاش ، وهذا كله واضح غاية الوضوح ، صريح غاية الصراحة ، فهل أدى الاسلام ما عليه في المغرب عندما استعمر أم لا ؟ اللهم نعم ٠٠٠٠٠ والدلائل أكثر من أن تحصر !! ٠



١ ـ مجلة « المسلم » عدد ذي الحجة ١٣٧٥ ، ٩ تموز (يوليو) ١٩٥٦ ، العدد ٥ السنة ٦ ص ١٦ وما بعدها ٠

فلسطين

امتي ! كم غصة دامية
خنقت نجوى علاك في فمي
اي جرح في ابائي راعف
فاته الآسي ، فلم يلتئم
الاسرائيل تعلو راية
في حمى المهد وظل الحرم؟!
رب « وامعتصماه » انطلقت
ملء افواه البنات اليتم
لامست اسماعهم لكنها
لم تلامس نخوة المعتصم !

عمر أبو ريشه

الاحتلال :

* نكثت بريطانيا وعودها للعرب أثناء الحرب العالمية الاولى ، واصدرت وعد بلفور الذي يقضي بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وقد اعتبره الصهيونيون ميثاقا يمنحهم فلسطين لتأسيس وطن قومي لهم فيها • وكان هذا الوعد أساسا لمشكلة فلسطين التي لا تزال قائمة حتى اليوم •

وعندما دخلت جيوش الثورة العربية عام ١٩١٦ الى سورية ، جعل قائد الحملة البريطانية « اللنبي « Allenby » المنطقة الساحلية غرب نهر الاردن « أي فلسطين » تحت الادارة البريطانية ، بموجب صك الانتداب ، مع التزامها بتنفيذ وعد بلفور •

ومما يذكر عن اللنبي أنه لما دخل القدس تحركت فيه صليبية أوروبية ، فقال بعد أن توقف فيها تاركا متابعة الزحف نحو الشمال

الآن انتهت الحروب الصليبية »(١) ٠

أخذت بريطانيا تطبق سياستها بفلسطين ، فاستبدلت بالادارة العسكرية ، ادارة مدنية على رأسها « هربرت صموئيل » اليهودي الانجليزي مندوبا ساميا لها في فلسطين ، ففتح باب الهجرة لليهود ، وشجع على انتقال الاراضي من أيدي أصحابها العرب الى اليهود ، ومنح القروض والمساعدات والحماية لليهود ٠

المقاومة

* أدرك العرب في فلسطين مستقبلهم المحفوف بالمخاطر منذ أذيع وعد بلفور ، وخاصة بعد أن فصلت بلادهم عن سورية ، وفتحت أبواب الهجرة لليهود ٠ فحملوا راية الجهاد منذ نيسان ١٩٢٠ ؛ فبدأت على شكل مظاهرات دامية ، استمرت حتى اشتعلت الثورة عام ١٩٢١ في يافا وامتدت الى القدس ، مما جعل بريطانيا توقف الهجرة اليهودية مؤقتا ٠

وفي ١٥ آب (اغسطس) عام ١٩٢٩ ، تقدمت حشود يهودية نحو حائط المبكى بجوار المسجد الاقصى ، لمحاولة احتلال الحائط ، كانوا ينشدون نشيدهم المعروف « هاتكفا ــ أي الامل بالعربية » ٠ وهتفوا ايضا : الحائط حائطنا !! ٠

فخرج المسلمون بعد صلاة الجمعة في الحرم الشريف « الجمعة ٢٣ آب ١٩٢٩ » ، وأحرقوا منضدة الشماس اليهودي والاستراحات

---

١ ــ راجع « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » لصالح مسعود أبو يصير ، الطبعة الثالثة ، ص ٦٥ ، وراجع « الطليعة » القاهرية ، مقال وليم سليمان ، عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ ، ص ٨٤ ٠
هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني لاحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية ، التي سماها لويد جورج الحرب الصليبية الثامنة !٠

التي يضعها اليهود في ثقوب الحائط . وفي مدينة الخليل ، قاد الهجوم محمد جمجوم ، وعطا الزير ، وهاجم الشعب ثكنة « البوليس » في مدينة نابلس ، وحيفا والمستعمرات المجاورة لها ، وخاصة « كفرتا» ثم كانت معركة صفد الشهيرة التي قادها : فؤاد حجازي ، وأحمد طافش ، ونايف غنيم .

قدر عدد اصابات اليهود في ثورة ١٩٢٩ بنحو ١٠٠٠ اصابة بين قتيل وجريح ، واستشهد برصاص البوليس البريطاني نحو مائة عربي مجاهد ، وجرح عدد مماثل تقريبا .

قامت السلطات البريطانية بعد ذلك باعتقال الآلاف من الاحرار العرب ، وأعدمت ثلاثة من أبطال الجهاد المقدس ، نفذ فيهم حكم الاعدام شنقا في عهد الانتداب ، وهم : محمد جمجوم « من الخليل » وعطا الزير من الخليل أيضا ، وفؤاد حجازي « من صفد » .

★ ★ ★

ثورة الشيخ عز الدين القسّام

ولد الشيخ العالم محمد عز الدين بن عبد القادر القسام ، من أسرة كريمة في جبلة (في محافظة اللاذقية) وذلك في عام ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م(١) ، ونشأ في بيئة عربية اسلامية ، وحصل على تعليمه العالي في الازهر ، واشتغل في بلده بالتعليم والوعظ ، الى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في ختام الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨

١ ــ راجع كتاب « الثورة العربية الكبرى في فلسطين » لصبحي ياسين المجاهد الفلسطيني ، وكتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط ١٩٦٤/١٩٦٥ ، والاعلام جـ ٧ ، ص ١٤٩ ، و أعلام الاسلام ص ١٠٥ وما بعدها .

* وصورة الغلاف تمثل صورة الشيخ القسام الحقيقية .

عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، فكان له احترام خاص في نفوس المجاهدين ، فاشترك بدور بارز في ثورة جبل صهيون ضد الفرنسيين الغزاة لما عرف عنه من ايمان بالله عز وجل قوي متين ، وشخصية جذابة ، وحسن سيرة ومعاشرة ، ولباقة في الحديث ، وبراعة في الخطابة ٠

لقد كان يحيطه في ثورته في جبل صهيون تلاميذه ومريدوه ، وطارده الفرنسيون ، فقصد دمشق ، ابان الحكم الفيصلي ، ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها سنة ١٩٢٠ فأقام في حيفا ، وتولى فيها امامة جامع الاستقلال وخطابته ، ورياسة جمعية الشبان المسلمين ٠

هاجر الشيخ القسام من سورية لحكم بالاعدام صدر عليه من قبل الاستعمار الفرنسي ، ورافقه في هجرته اثنان من المجاهدين هما : الشيخ محمد الحنفي ، والشيخ علي الحاج عبيد ٠

بدأ منذ عام ١٩٢٢ يفكر بالثورة ، وابتدأ يخرج الى القرى منذ ١٩٢٩ ، واستعان على ذلك بالكتمان ، لذلك كان لا يبوح بالسر الكبير الذي يحمله ، وهو الدعوة للثورة المقدسة ، الا لاشخاص قلائل جدا بعد أن يدرس نفسيتهم دراسة كافية لمدة تطول عدة سنوات ٠

لقد تحدث عشرات من اخوانه ، أنه عندما كان يخطب على منبر جامع الاستقلال ، يراقب المصلين ، ويدعو من يتوسم فيه الخير والاستعداد لزيارته في منزله(١) ، وتتكرر الزيارات حتى يقنعه

---

١ ــ راجع : الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، ص ٢١/٢٢ ، ومما يذكر ان الشيخ القسام باع بيته الوحيد في حيفا واشترى بثمنه سلاحا لمريديه المجاهدين ٠ حقا كان الحافز والدافع لذلك دينه واسلامه !! ٠

ــ ولذلك سار جان بول سارتر الصهيوني بمظاهرة لجمع التبرعات قبيل حرب ١٩٦٧ لصالح اسرائيل وهو يحمل صناديق كتب عليها : « قاتلوا المسلمين » فجمع ألف مليون فرنك ، كما طبعت اسرائيل بطاقات معايدات كتبت عليها : « هزيمة الهلال»!!

بالعمل لانقاذ فلسطين مما يهددها من خطر ، ضمن مجموعات سرية صغيرة لا تزيد عن خمسة أنفار ٠

استمر القسام يعمل بكل الوسائل الشريفة لتأسيس نواة صالحة من اخوانه عرب فلسطين ، لتنطلق في الوقت المناسب ٠

لقد قاوم القسام بشدة انفاق أموال الاوقاف في تشييد الابنية « الفنادق » وتزيين المساجد ، حتى ولا المسجد الاقصى المبارك ، لان اعداد الشعب وتسليحه للجهاد لخوض المعركة أفضل وأحق من الامور الشكلية التي يمكن انجازها في أوقات أكثر مناسبة ٠ فمئات الالوف من الجنيهات كان بالامكان تسليح خمسة آلاف مقاتل مجاهد بها آنذاك !!

ويمكن القول ، انه الشيخ القسام أعد في المرحلة الاولى النفوس للثورة ، معتمدا على قلبه الكبير ، وعلمه الغزير ، واخلاصه العظيم بل معتمدا على ربه أولا وآخرا ٠

وفي **المرحلة الثانية** التي ابتدأت سنة ١٩٢٥ أسس حلقات ، وقسم المجاهدين الى وحدات عسكرية منظمة منها وحدة خاصة بشراء السلاح ٠ ومن قادتها البارزين : الشيخ حسن الباير « من قرية برقين » ، والشيخ نمر السعدي من غابة « شفا عمرو » ، ووحدة للتدريب العسكري يشرف عليها ضابط ممن خدموا في الجيش التركي ، ومنها وحدة ثالثة للتجسس على اليهود والانجليز لمعرفة خططهم السرية ، ومن أفرادها : الشيخ ناجي أبو زيد ٠

وخصص العلماء للدعاية والثورة في المساجد والمجتمعات ، كان الشيخ كامل القصاب موجها ومستشارا في هذه التنظيمات ٠ ومن أفراد الاتصالات السياسية « الشيخ سالم المخزومي الذي اتصل

بقنصل ايطاليا في القدس أثناء حرب الجيش، و بقنصل تركيا بقصد شراء أسلحة حديثة »(١) ٠

وفيما يلي أسماء البارزين من اخوان الشيخ العالم عز الدين القسام ، لنلاحظ دور العلماء الافاضل في ثورة القسام في فلسطين عام ١٩٣٥ :

١ ـ الشيخ محمد الحنفي	جبلة ـ سورية
٢ ـ الشيخ علي الحاج عبيد	جبلة ـ سورية
٣ ـ الشيخ عطيه أحمد عوض	من قرى حيفا
٤ ـ الشيخ يوسف الزيباوي	قرية الزيب
٥ ـ الشيخ محمد حنفي أحمد	القاهرة ـ مصر
٦ ـ الشيخ حسن الباير	قرية برقي
٧ ـ الشيخ فرحان السعدي	قرية المزار
٨ ـ الشيخ الحاج صالح طه	قرية صفورية
٩ ـ الشيخ نمر السعدي	غابة شفا عمرو
١٠ ـ الشيخ أحمد التوته	قرية صفورية
١١ ـ الشيخ نايف المفلح	قرية صفورية
١٢ ـ الشيخ أبو محمودالصفوري محمد الغزلان	قرية صفورية
١٣ ـ الشيخ علي ابراهيم زعرورة	قرية صفورية
١٤ ـ الشيخ محمود سالم المخزومي (أبو أحمد)	قرية زرعين
١٥ ـ الشيخ ناجي أبو زيد	حيفا

١ ـ ص ٢٣ ، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، وجدول أسماء أبرز العلماء المجاهدين تجدها في ص ٢٤ و ٢٥ من المرجع المذكور ٠

١٦ ـ الشيخ يوسف أبو درة	قرية السيلة الحارثية
١٧ ـ الشيخ محمد الصالح « أبو خالد »	قرية سيلة الظهر
١٨ ـ الشيخ عبد الفتاح أبو عبد الله	قرية سيلة الظهر
١٩ ـ الشيخ عارف الحمدان	قضاء جنين
٢٠ ـ الشيخ محمد الحلحولي	قرية حلحول
٢١ ـ الشيخ محمد الخالدي وأخوه خالد	حيفا
٢٢ ـ الشيخ أحمد جابر	حيفا
٢٣ ـ الشيخ عبد الله يوسف	قرية عراية
٢٤ ـ الشيخ معروف حجازي	قرية يعبد
٢٥ ـ الشيخ توفيق الزيري	قرية عرابة
٢٦ ـ الشيخ محمود ديراوي	قرية دير أبو ضعيف
٢٧ ـ الشيخ نايف الزغبي	قرية سولم
٢٨ ـ الشيخ محمد أبو جعب	قرية قباطية
٢٩ ـ الشيخ عبد القادر علي	قرية عرعرة
٣٠ ـ الشيخ خليل محمد عيسى (أبو ابراهيم الكبير)	شفا عمرو
٣١ ـ الشيخ حسين حماده	قرية اجزم
٣٢ ـ الشيخ عبد الله عقيله	قرية عبلين
٣٣ ـ الشيخ محمد العبد موسى	قرية كوكب أبو الهيجا
٣٤ ـ الشيخ رشيد عبيد الشيخ (أبو درويش)	قرية طيرة حيفا

ومنهم أيضا : السيد عربي بدوي (قضاء جنين) ، والسيد أبو علي مزرعاوي (قرية المزرعة ـ القدس) . والشيخ عبد الله من

(كفردان) ، والحاج حسين حماده (قرية اجزم) ، والشيخ سليمان (قرية سمسم قضاء غزة) ، والسيد محمود الخضري ، والشيخ داوود خطاب ٠

* ومما يذكر أن خلافا بسبب توقيت الثورة ضد الانجليز واليهود ، حدث بين القسام وبعض اخوانه ، لكنه ظل خافيا على السلطات الحكومية أكثر من خمس سنوات ، وهذا يدل على الايمان الراسخ في قلوب المجاهدين ، وعلى تقديرهم للرسالة التي يعملون لاجلها باخلاص واقدام ، خمس سنوات كاملة وعدد كبير من اخوانه القسام غير راضين عن الانتظار ، ومع ذلك استمروا يعملون سرا ضمن مخطط القسام الثوري بدون أي انحراف(١) ٠

أما **المرحلة الثالثة للثورة** ، فقد كانت قتل اليهود أينماوجدوا ففي حادثة « نهلال » ذهب الشيخ أحمد التوبة ، والمجاهد مصطفى علي الاحمد ، والحاج صالح أحمد طه ٠٠ الى مستعمرة نهلال الواقعة بين حيفا والناصرة قرب قرية المجيدل ، حيث قتلوا بعض اليهود وجرحوا آخرين ٠ وكانت محاكمة جائرة حكم فيها على مصطفى علي الاحمد بالاعدام ونفذ الحكم ، وحكم بخمس عشرة سنة على أحمد الغلاييني الذي صنع السلاح المستعمل في نهلال وكان قنبلة ذات حجم كبير ٠

وفي **المرحلة الرابعة** : غادر الشيخ القسام ليلة ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ ومعه أكثر من خمسة وعشرين من اخوانه مدينة حيفا ، الى قرى قضاء جنين لدعوة الشعب على نطاق واسع للاشتراك بالثورة ، وكانت أول قرية دخلها (كفردان) ، ومنها أرسل الرسل الى القرى تشرح أهداف الثورة ، والشعب يعرف القسام من على منبر جامع الاستقلال في حيفا ، ويعرف القسام من خلال زياراته

---

١ ــ الثورة العربية الكبرى في فلسطين ص ٢٤ ٠

الى حفلات الافراح في القرى ، ويعرف اخلاص القسام ، لذلك فقد استجاب له ولرسله أعداد كبيرة من الرجال المخلصين ٠

وكانت الرصاصة الاولى في ١٤/١١/ ١٩٣٥ باشتباك قـرب قرية « البارو » أسفر عن استشهاد البطل الشيخ محمد الحلموني ، واستمرت الدعوة العلنية للجهاد في القرى حتى ١٩/١١/١٩٣٥ ، حيث جرت معركة في أحراج يعبد ، قضاء جنين ، أسفـرت عـن استشهاد القسام ٠

لقد طوقت قوات انجليزية عددها بين ٤٠٠ ـ ٦٠٠ رجل ، الشيخ القسام ومعه أحد عشر من اخوانه في قرية الشيخ زيد ، داخل أحراج يعبد وهم : الشيخ محمد الحنفي أحمد ، الشيـخ يوسـف الزيباوي ، الشيخ حسن الباير ، الشيخ أحمد جابر ، الشيخ أسـعد كلش ، الشيخ نمر السعدي ، السيد عربي بدوي ، توفيق الزيري ، الشيخ ناجي أبو زيد ، الشيخ محمد يوسف ، والشيخ داوودخطاب٠

حاصر الأنجليز الشيخ ومن معه ، وكان قتالا فدائيا ، لان كل مجاهد كان يحارب نحو من أربعين انجليزيا بكامل أسلحتهم ٠ ومع ذلك استمرت المعركة من الصباح حتى الظهر ٠٠٠ حيث استشهد الشيخ محمد حنفي أحمد ، والشيخ عبد الله الزيباوي ، ثم استشهد القائد الشيخ عز الدين القسام وجرح قسم وأسر قسم آخر ٠

وكانت ساعات تشييع الشيخ الشهيد القائد المسلم محمد عـز الدين القسام ، الى مقره الاخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو من عشر كيلو مترات على الأكتاف ، ساعات مشهورة ، انـه لمشهد رائع لتقدير الشعب للعاملين المخلصين في سبيل الله والذود عن حياض الوطن وكرامته ٠

ولا يمكن أن ينسى امتزاج الدم العربي في ثورة القسام ، دم

السوري والفلسطيني مع دم المصري الشهيد محمد حنفي عطيه الذي كان في مقدمة الشهداء بدافع من اسلامه وايمانه ٠

ولم يفت استشهاد القائد في عضد اخوانه ، فقد زودهم في دروسه الدينية بما جعلهم يواصلون الكفاح مؤمنين حتى النهاية ، لقد رفضوا الاستسلام ، وقامت جماعاتهم في ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ بقيادة الشيخ المجاهد فرحان السعدي ، والسيد محمد ديراوي بعمليات جريئة ٠٠٠ أعقبها عموم الثورة في فلسطين ٠ وتشكيل لجنة عربية عليا برئاسة الحاج أمين الحسيني في ٢٥ نيسان ١٩٣٦ ٠

فأعلنت حكومة الانتداب قانون الطوارىء ، وعم الاضراب منذ ٢٠ نيسان ١٩٣٦ لمدة ستة أشهر ، وأعطيت للمحاكم العسكرية صلاحيات كبيرة فتم اعدام ٣٠٠ شهيد منهم المجاهد الكبير الشيخ فرحان السعدي ، وكان عمره ٨٠ سنة[١] ٠

ان بقاع فلسطين شهدت في هذه الفترة ، ثورة ضد الاحتلال على يد علمائها ٠٠ في حيفا وصفد وطبريا ، وبيسان ، والناصرة ، وعكا ، ونابلس وجنين ، والقدس وطولكرم ، ٠٠٠ فلو أردنا تسجيل أسماء الجميع لاحتجنا الى صفحات عديدة ٠ والفكرة التي أخذناها عن دور الاسلام في هذه الثورة تكفي كل منصف موضوعي!

★ ★ ★

من كلمات الشيخ القسام من فوق منبر جامع الاستقلال :

* يا أهل حيفا ٠٠ يا مسلمون ، ألا تعرفون فؤاد حجازي ؟ ٠٠٠

---

١ ــ وفي ص ٣٦/٣٥ من الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، أسماء بعض هؤلاء الشهداء ، وفي ص ٤٨ و ٤٩ ، أسماء بعض القادة العلماء الذين اشتركوا في الثورة حتى نهايتها ٠

ألم يكن فؤاد حجازي ، وعطا المصري ومحمد الجمجوم اخوانكم ؟ ألم يجلسوا معكم في دروس جامع الاستقلال ؟! انهم الآن على أبواب المشانق ، حكم عليهم الانجليز بالاعدام من أجل اليهود ·

أيها المؤمنون : أين نخوتكم ؟ أين ايمانكم ؟ أين هي مروءتكم؟»

وكانت هذه الكلمات الصادرة من القلب، وقودا روحيا للمجاهدين فكبّروا ، واهتزت جنبات المسجد طربا لتكبيرهم ، لقد صاح مع الجميع : الله أكبر ·· الله أكبر مستذكرين قول فؤاد حجازي في السجن :

يا ظلام السجن خيم
اننا نهوى الظلاما

ليس بعد السجن الا
فجر بدر يتسامى

* وقال : « ان الصليبية الغربية الانجليزية ، والصهيونية الفاجرة اليهودية ، تريد ذبحكم ، كما ذبحوا الهنود الحمر في امريكا تريدان ابادتكم ايها المسلمون ، حتى يحتلوا أرضكم من الفرات الى النيل ، ويأخذوا القدس ، ويستولوا على المدينة المنورة ، ويحرقوا قبر الرسول ، انهم يريدون اللعب بأمهاتكم وبناتكم واخواتكم ، وتحويلهن الى خدم لهم وسبايا !!

يا ويلكم ألا تفهمون ؟ رسول الله صلى عليه وسلم يقول : اذا ديس شبر من أرض المسلمين ، فعلى المرأة أن تخرج بغير اذن زوجها وعلى الرجل أن يخرج بغير اذن أبيه ، أيها المسلمون ألا تفهمون ؟

* أيها المؤمنون ، فرض الله علينا الجهاد ليحمينا به ·· ليحمي أرضنا وعرضنا ، قال تعالى : [قاتلوا الذين يلونكم من الكفار

وليجدوا فيكم غلظة](١) ، لقد ملأ اليهود بلادكم ٠٠ لقد سرقوا أرضكم ٠

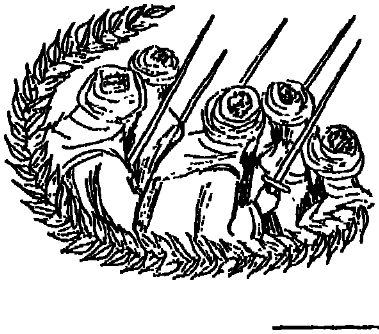
ولما حان الوقت المناسب ، صرخ القسام من فوق منبر الاستقلال بالوف المسلمين :

* « باسم الله نعلن الثورة ، سأخرج فورا الى الجهاد ، لن أعود الى هذا الجامع الا بعد طرد الانجليز واليهود » ٠

★ ★ ★

واستشهد القسام وهو يقاتل بشجاعة واقفا ، برصاصة بجبينه، وانفجرت ثورة عمت فلسطين ، فجرها في كل مدن فلسطين تلاميذه ، وكانت الثورات بقيادتهم ، ولكن أين السلاح الكافي لمقاومة الانجليز واليهود ، فحكام العرب في حينها غافلون نائمون أيقظهم الاعداء ليدخلوا جيوشهم الى فلسطين ويخرجوا الثوار ، ثم يخرجوا لتبقى فلسطين لليهود !!

الاستعمار أينما كان يعلم ما للاسلام من أثر حاسم في احباط مشاريعه ، ويعرف ما كان للاسلام في بناء الصمود الفلسطيني واطلاق الثورات في وجه الانتداب الانجليزي على فلسطين،وفي وجه الصهيونية ، بل ما كان له من أثر في ولادة الحركة الفدائية نفسها !



---

١ ـ سورة التوبة الآية الكريمة : ١٢٣ ٠

العـــراق

* «أنا لا أؤمن بديمقراطية الانجليز ، ولا بنازية الالمان ، ولا ببلشفة الروس ، أنا عربي مسلم ، لا أرضى دون ذلــك بديلاً من مزاعم وفلسفات» ·

صلاح الدين الصباغ

ثورة رشيد عالي الكيلاني

ان أهم أسباب هذه الثورة ، وجود مفتي فلسطين الحاج أمــين الحسيني في بغداد وحثه العقداء الاربعة على منــاوأة بريطانيــا والتصدي لمخططاتها ، ولم يكن الحاج أمين واثقا من امكانية التغلب على بريطانيا فحسب ، بل كان يفضل العمل مع دول المحور(١) ، وفي نيسان (ابريل) ١٩٤١ ، نشرت جريدة « الديلي تلغراف » برقية لمراسلها في بيروت مستر « مرثون » ، تؤكد نشاط مفتي فلسطين في بغداد ، وتحريضه على بريطانيا، وانه على اتصال بدمشق ،وهناك تعليمات ومساعدات مادية بانتظام بين بغداد ودمشق وطهران ···

---

١ ـ راجع للتوسع في هذا البحث الكتب التالية التي اعتمدتها :
ـ حركة رشيد عالي الكيلاني للاستاذ اسماعيل احمد ياغي ، دار الطليعة بيروت ·
ـ الوحدة العربية ، للاستاذ محمد غزة دروزة ·
ـ صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة في العراق ·
ـ مذكرات رشيد عالي الكيلاني ، نشرتها آخر ساعة ، عام ١٩٥٧

الكتاب الغربيون من بريطانيين وأمريكيين تعمدوا تشويه هذه الثورة بطريقة ساذجة تبعث على السخرية ، فيزعم « سبيسر » أستاذ السياميات في جامعة بنسلفانيا ، أن هدف الحركة هو وضع العراق تحت تصرف ألمانيا النازية(١) ، وتردد الكاتبة « كليرهو لنجورث » هذا الزعم نفسه ، فتقول : ان غرض الكيلاني والعقداء الاربعة من الحركة التي قاموا بها هو : « تصفية وضع البريطانيين ، أو طردهم من البلاد وتسليمها الى الالمان الذين كان النصر حليفهم في الحرب وقتئذ، والذين كانوا يوجهون انتباها خاصا نحو العراق»(٢) ٠

ورغم سذاجة هذه المزاعم والاكاذيب ، فمما لا شك فيه ، أن حركة الكيلاني كانت حركة وطنية تحريرية ، هدفها تحرير العراق من براثن الاسد البريطاني ، لا ليقع تحت مخالب النسر الالمانـي ، بل ليمارس سيادته واستقلاله الوطني كاملا غير منقوص ٠

ان الحركة الكيلانية كانت « تهدف الى تحرير العراق ، وقيام وحدة عراقية شامية على الاقل »(٣) ٠

يقول صلاح الدين الصباغ ، أحد العقداء الاربعة : « بـدأ اتصالنا برشيد عالي الكيلاني بواسطة المفتي الحاج أمين ، وتطور ببطء من التعارف السطحي الى الاطمئنان والثقة(٤) ٠ ويقول الكيلاني في مذكراته : كانت صلتي بضباط الجيش قد تدعمت أثناء وزارتي ٢١ آذار (مارس) ١٩٤٠ ــ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤١ ٠ لقد أدركوا أن سياستي الحيادية تتفق مع السياسة الوطنية التي يريدونها لبلادهم(٥) ٠

---

١ ــ حركة رشيد عالي الكيلاني ، ص ١٢٢ عن :
« Spaiser, E. A. : The United States and the Near East, P. 95. »
٢ ــ المرجع السابق عن :
« Holling worth, C : The Arabs and the West, P. 62. »
٣ ــ القول للاستاذ محمد عزة دروزة ، الوحدة العربية ص ٤٦٨ ٠
٤ ــ فرسان العروبة في العراق ، صلاح الدين الصباغ ، ص ١٣٩ ٠
٥ ــ مذكرات رشيد عالي الكيلاني ، آخر ساعة ، العدد ١١٦٧ ، ١٩٥٧/٣/٦

ولما اتضحت أبعاد خطة الانجليز والوصي على العرش ، خلال عهد وزارة طه الهاشمي ، تشكلت « اللجنة العربية » برئاسة الحاج أمين الحسيني رئيسا ، وثلاثة من الضباط : صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، ومحمود سليمان • وثلاثة من المدنيين : يونس السبعاوي ، وناجي شوكت ، ورشيد عالي الكيلاني • وهي اللجنة التي تولت لحركة الكيلاني في أول نيسان (ابريل) ١٩٤١ •

* واما عن ايديولوجية الحركة ، فكانت ايديولوجية عربية نابعة من ايمان القائمين بعروبتهم وبدينهم ، ورفضهم كل الايديولوجيات والعقائد الاجتماعية والاقتصادية الاجنبية ، يقول الصباغ في مذكراته : أنا لا أؤمن بديمقراطية الانجليز ، ولا بنازية الالمان ، ولا ببلشفة الروس ، أنا عربي مسلم لا أرضى دون ذلك بديلا من مزاعم وفلسفات(١) •

ويقول الدكتور أنيس صايغ : « من يراجع مذكرات صلاح الدين الصباغ ، بطل الفكرة العربية في ١٩٣٩/١٩٤١ ، يندهش لاثر الحس الطائفي في تفكيره ، أثرا جعله لا يفرق بين العروبة والاسلام »(٢) •

ويروي الكيلاني في مذكراته(٣) أنه في اليوم الذي وقع فيه الاصطدام بين حامية (الحبانية) البريطانية ، وبين الجيش العراقي دعا زعماء القبائل والعشائر الى اجتماع عقده في مكتبه برئاسة مجلس الوزراء ، وشرح لهم الموقف مبينا أن حكومته تحاشت الحرب• على حين أن الانجليز هم الذين أرادوها • ثم يقول : ولن أنسى في حياتي واحدا من هذه القبائل ، انه الشيخ عبد الواحد سكر ، كان

---

١ ــ ص ١٢٤ ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، عن فرسان العروبة في العراق لصلاح الدين الصباغ ، ص ١٨ •

٢ ــ انظر الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، ص ٣٠٨ •

٣ ــ « آخر ساعة » العددان ١١٦٩/١١٧٠ ، ٢٠ و ١٩٥٧/٣/٢٧ •

رجلا عظيما ، وكان وطنيا متطرفا ، قال وهو يتوجه بالحديث الى زملائه : ان موقفنا من الحرب يشبه موقف أحدنا وكأنما اصطحب زوجته وهو يحمل بندقيته ، ذهب بها لتزور أهلها في قرية قريبة من قريته ، ، وفي الطريق خرج عليه عشرون من قطاع الطرق المسلحين بالبنادق الرشاشة • ماذا يفعل ؟ هل يستسلم ويترك عرضه لكون الذين هاجموه أكثر منه قوة وسلاحا ؟ أم يقتل في سبيل الدفاع عن عرضه وكرامته ؟ وقام الرجل من مكانه وأخذ يصيح : سنقاتل بالبندقية اليتيمة حتى الموت دفاعا عن بلادنا ، ولن نستسلم لنرى بلادنا بأعيننا وهي تداس وتهدر كرامتها •

وأثار الرجل حماسة زملائي،ولم يكن‌مني الا أن‌قمت‌واحتضنته وقرر زعماء القبائل أن يهبوا جميعا لنصرة الوطن ، واتفقوا على اعلان الجهاد المقدس ضد الانجليز وأذنابهم في العراق » •

ولم يقتصر التأييد للحركة على رؤساء القبائل والعشائر ••• بل أصدر رجال الدين والعلماء فتاوى باعلان الجهاد المقدس ضد بريطانيا ، وكانت لهذه الفتاوى أثرها في اذكاء شعلة الكفاح والجهاد •

وأصدر مفتي فلسطين ، الذي طالبت بريطانيا من الكيلاني طرده من العراق مع الثوار جماعته مقابل الاعتراف بالعهد الجديد في العراق(١) ، وتجهيز الجيش العراقي بالاسلحة والعتاد ، أصدر اعلانا للجهاد • لقد أثر مفتي فلسطين على مجرى الاحداث ، أثناء اقامته في بغداد ، فقد نهض فجأة لاثارة الرأي العام في العالم الاسلامي ضد بريطانيا • ففي حديث اذاعي في ٩ أيار « مايو » عام ١٩٤١ ، أعلن الجهاد ، ودعا كل مسلم قادر على الاشتراك في الحرب ضد « أكبر عدو للاسلام » •

---

١ ـ قدم مطلب بريطانيا هذا سفيرها « كورنواليس » مع طلبات أخرى منها انشاء مطارات عسكرية •••

لقد كانت حركة رشيد عالي الكيلاني حركة اسلامية ، لذلك لما فشلت ، لاسباب سترد ، قام اليهود يستعدون للاحتفال بعيد النبي يوشع « Shevuoth » من ١ ـ ٢ حزيران « يونيه » ، وفي أول يوم للاحتفال خرجوا للاحتفال بالعيد واستقبال الوصي(١) • فأخذ بعض شبابهم يستفزون أهل بغداد المسلمين ، ويظهرون شماتتهم بفشل الحركة الكيلانية ، بل لم يتورع بعض الشبان اليهود النزقين من اسماع فلول الجيش العراقي المنسحب الكلمات الاستفزازية النابية(٢) !

وتعترف مس بيل في « فصول من تاريخ العراق القريب » ص ٥٠ ـ ٥٢ ، بأن « جمعية النهضة الاسلامية » كانت أول من وقف في وجه الاحتلال البريطاني في العراق •

★ ★ ★

• أسباب فشل حركة الكيلاني :

• تميز الانجليز بالمبادرة والمبادأة في الحرب، فهم الذين اختاروا توقيتها ، وجعلوا العراق أمام الامر الواقع بانزال قواتهم في البصرة وهم الذين بدؤوا شن الهجوم على القوات العراقية المرابطة على التلال المحيطة بقاعدة الحبانية الجوية ، في الوقت الذي لم تكن فيه قوات الثورة مستعدة للحرب ، ناهيك عن قوة الطيران الانجليزية في الحبانية •

---

١ ـ كان مصرع الملك غازي في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٣٩ ، فنودي بابنه فيصل الثاني ملكا وعبد الاله وصيا عليه •

٢ ـ ص ١٦٢ ، حركة رشيد عالي الكيلاني ، عن الاسرار الخفية ص ٢٥٥/ ٢٥٦ •

يقول العقيد توفيق القره غولي(١) عن الساعات الاولى لبدء الاصطدام في ٢ أيار « مايو » ١٩٤١ : « وفجأة استيقظ الجميع على أصوات أزيز الطائرات الذي ملأ الفضاء والقنابل تتهاطل على النتوات والاهداف المعينة ؛ وكنا بين مكذب ومصدق ، فسارع من كان يرتدي « بيجامته » بخلعها ليرتدي ملابسه العسكرية ، وهرع الجنود الى رشاشاتهم يوجهون نيرانها الى الطائرات . وعندئذ فقط عرفنا أننا نقاتل الانجليز على غير استعداد »(٢) ·

* كما تأخرت المساعدات الالمانية ، لان المانيا كانت عاجزة عن حشد قوات احتياطية كافية ·

* كان عدد الجيش العراقي (٣٠ ألف جندي) ولكن دون تسليح لم يكن يملك دبابة واحدة ، وليس فيه مدافع مضادة للطيران ، وذخائره تكاد لا تكفي أسبوعا واحدا للقتال · وهذه الامكانيات لن تقف في وجه جيوش الامبراطورية البريطانية !!

* كما شنت مدرسة عبد الاله ــ نوري السعيد ، حربا نفسية على الحركة ، روجوا معلومات كاذبة أضعفت الروح المعنوية للجيش ·

* كما بالغت المانيا في تقدير قدرة الجيش العراقي على القتال ، بشكل يفوق الواقع بكثير(٣) ·

لقد اتهمت اللجنة العراقية المكلفة بالتحقيق في حوادث ١ و ٢ حزيران « يونيه » ، التي سبقتها احتفالات اليهود بعيد النبي يوشع مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني بأنه من المحركين الاوائل للثورة

---

١ ــ اقوى العقداء الاربعة في الحركة هم : صلاح الدين الصباغ ، فهمي سعيد كامل شبيب ، ومحمود سليمان ·

٢ ــ عن كتاب : حركة رشيد عالي الكيلاني ص ١٨٥ وما بعدها ، نقلا عن : « سر اجتماع الفالوجة ، جريدة المنار العراقية ١٣/٣/١٩٦٧ » ·

٣ ــ « لوكاز هيرزويز » : المانيا الهتلرية والمشرق العربي ص ٢٢٦ ·

في العراق ، لقد قام يدعو الى نبذ الظلم ، ويدعو الى فلسطين باسم العروبة والدين • وأنه « قد أثر في رجال الحكم ، وفي قواعد الجيش تأثيرا كبيرا ، الى درجة أنه كانت تصدر الاوامر من داره •••»(١)

وهكذا ••• قاوم الاستعمار البريطاني ، وعملاؤه عبد الاله و نوري السعيد في العراق :

١ ــ اللجنة العربية التي كانت برئاسة الشيخ الحاج أمين الحسيني •

٢ ــ جمعية النهضة الاسلامية ، التي كانت أول من وقف في وجه الاحتلال البريطاني في العراق •

ويكفينا أن فكر الحركة كان دينيا مبنيا على فكرة الجهاد المقدس فهذا هو أبرز العقداء الاربعة ، العقيد صلاح الدين الصباغ يقرر .

« أنا عربي مسلم ، لا أرضى دون ذلك بديلا من مزاعم وفلسفات » •

★ ★ ★

* ومن العلماء المسلمين ، الذين وقفوا أنفسهم للجهاد ، في وجه الطغيان والاستعمار :

الشيخ محمود شكري الآلوسي

وهو أبو المعالي ، محمود شكري بن عبد الله بن محمود بن عبد

---

١ ــ راجع : حركة رشيد عالي الكيلاني للاستاذ اسماعيل أحمد ياغي ، ص ٢٠٤ • وانظر مصدر المعلومات في نص تقرير لجنة التحقيق في الاسرار الخفية ص ٢٦٩/٢٥٩ ، وانظر كذلك :

Pearlnan, M : Mafti of Jerusalem . The Story of Haj Amin El-Husseiny, P. 34 — 35,39 .

الله بن محمود الخطيب الالوسي نسبة الى قرية « آلوس » ، قرب « عانات » على نهر الفرات ·

ولد سنة ١٢٧٢ هـ في رصافة بغداد ، في بيت من بيوت العلم والمجد ، فنشأ في رحاب العلم ، فأخذه عن أبيه وعمه وغيرهما · وتصدر للتدريس في داره ، وفي بعض المساجد ، وحمل على أهل البدع في الاسلام برسائل أصدرها · نادى بالاصلاح ، ودعا لتطهير الدين مما طرأ عليه وليس منه ، فعودي ، ووشي به الى الوالي ، فأصدر آمرا بنفيه الى بلاد الاناضول مع عدد ممن هم على رأيه ، فلما وصل الموصل ذاهبا الى الاناضول سنة ١٣٢٠ هـ ، قام أعيان الموصل ومنعوه من السفر ، وكتبوا الى السلطان عبد الحميد يحتجون فجاء الامر بابقاء الاستاذ الشيخ في بلده ، فأعيد ومن معه الى بغداد ·

* وفي زمن دخول الانجليز العراق ، عرضت عليه وظائف كبيرة ، فرفض · وقبل عضوية مجلس المعارف فقط ، للتوجيه القويم ، وللاصلاح ، بدلا من أن يكون فيه انسان فاسق مطيع للانجليز ، فهذه ايجابية تحمد له ، فقد تمكن من توسيع نطاق التعليم في العراق ·

وكان عضوا فخريا في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وتولى انشاء القسم العربي في جريدة « الزوراء » وهي أول جريدة أنشئت في بغداد ، أنشأها مدحت باشا ، وفي أول القرن الرابع عشر للهجرة ، اقترحت لجنة اللغات الشرقية في استكهولم على العلماء ، تأليف كتاب : « تاريخ العرب والاسلام في الشرق والغرب » ، واشترك الشيخ الاستاذ الآلوسي في ذلك ، وألف كتاب : « بلوغ الارب في أحوال العرب » ، في ثلاثة أجزاء ، وعرض كتابه على اللجنة ، فنال الجائزة والوسام الذهبي ·

له مؤلفات كثيرة تزيد على الخمسين منها : تجريد السنان في

الذب عن أبي حنيفة النعمان ، وبلوغ الارب ، المذكور • تاريخ بغداد في ثلاثة أجزاء ، الدر اليتيم في شمائل ذي الخلق العظيم «صلى الله عليه وسلم» •••

توفي الآلوسي رحمه الله عام ١٣٤٢ هـ/١٩٢٤ م -

* ومن مواقفه الوطنية ، ناهيك عن نشره العلم والاصلاح وفكرة ايجاد طبقة مستنيرة في البلاد تشعر بمسؤولياتها ، أنه لما نشبت الحرب العالمية الاولى وهاجم البريطانيون العراق ، سافر الى نجد وسعى لمناصرة العراق وذلك عام ١٣٣٣ هـ ، ولما أخفق في مهمته عاد الى العراق ولزم بيته عاكفا على التأليف ، وبث روح الجهاد في التدريس في المساجد • حاول البريطانيون ارضاءه عندما عرضوا عليه قضاء بغداد ، فزهد فيه انقباضا عن مخالطتهم ، ولم ينل عملا بعد ذلك غير عضوية مجلس المعارف كما أسلفنا[1] •

رحم الله الشيخ الاستاذ الآلوسي ، فقد كرس حياته للاصلاح وتحرير بلاده من الاستعمار ، شارك بكل طاقاته ، بقلمه ونفسه •



---

١ ـ راجع اعلام الاسلام ص ٩٠ •
والاعلام ، جـ٨ ، ص ٤٩ •

خاتمة

* «تاريخ أحداث هذه الدنيا
هو في حقيقته تاريخ ما صنع
الرجال العظام هنا فوق
سطح هذه الارض» ٠

* لا يفوتنا ــ ونحن نطوي صفحات هذا الكتاب الاخيرة ــ أن نذكر :

موريتانيا

حيث بدأ التدخل الفرنسي فيها منذ : ١٨٥٤ م ، وذلك بارسالها حملات كانت تنطلق من مستعمرتها « السنغال » ٠

وفي عام ١٩٠٢ غزا الفرنسيون موريتانيا(١)، وفي ١٩٠٣ أعلنوا الحماية عليها ٠

وكعادة الاسلام ، قام للذود عن أرض الوطن ، قام ليأخذ دوره الطبيعي في مكافحة الاستعمار ٠ فكانت المقاومة بزعامة الشيخ ماء العينين ، وهو مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مأمين الشنقيطي القلقمي ، أبو الانوار ، الملقب بماء العينين ، من عرب شنقيط ، مولده ببلدة الحوض ، ووفاته في تزنيت من مدن السوس الاقصى عام ١٩١٠ م عالم بالحديث واللغة والسير ٠ قال صاحب معجم

---

١ ــ كانت تعرف قبل عام ١٨٩٩ ببلاد الشنقيط ٠

الشيوخ : وأخباره في العلم والطريق والسياسة واسعة ، تحتاج الى مؤلف خاص له ، مؤلفاته عديدة كثيرة(١) ·

ومما يذكر أن ابنه « هبة الله » تزعم المقاومة من بعده ·

★ ★ ★

اليمن

لمع في سمائها الشيخ عبد الله الحكيمي « الزعيم الحر اليمني الشاذلي المصلح » ، الذي توفي في الخامس من ذي الحجة سنة ١٣٧٣ هـ الموافق ٤ آب « أغسطس » ١٩٥٤ ، حياته جهاد من أجل الله ، ومن اجل حرية الوطن ·

حمل الاسلام الى جزر « كارديف » ، وأسس الجمعية العلوية الشاذلية ، وأصدر هناك مجلة « السلام » ، وأقام مسجد « نور الاسلام » ، الذي كان سبب هداية المئات الى الاسلام الصحيح ·

وعند عودته الى اليمن في أيامه الاخيرة ، تزعم حركة التحرير الوطني حتى لقي ربه ، وقد غرق في الديون والفاقة حتى رهن بيته الذي كان يسكنه في سبيل دينه وبلده ، بقدر ما هو غريق في اعجاب الناس به ، وتقديرهم لتاريخه وجهاده المتواصل ·

---

١ ــ الاعلام ، جـ ٨ ، ص ١٤٥ ، وراجع مجلة « الاعتصام » الصادرة في الرباط العدد ٢ ، السنة ١ ، جمادى الثانية ١٣٩٥ هـ ، يونيه ١٩٧٥ ، مقال : من أعلام الصحراء المغربية ، الشيخ ماء العينين ، للاستاذ الحاج أحمد معنينو من ص ٤٨ الى ٥٢ ·

ومما جاء في المقال عن الشيخ ماءالعينين ، أنه كان«ملجأ للخائفين،ومورد للجائعين ومنهج للتائبين العابدين ، ورحمة للضعفاء والمساكين ·· وحد بين أبناء الامة المسلمة وآخى بين افرادها ، كما كان رحمه الله ذا أنفة اسلامية تمنعه من الإنضواء الى الاجانب ، بل كان من أعدى أعاديهم بالصحراء ·

وأجمل كاتب المقال أعماله ، فذكر أهمها جهاده ، ورباطة جأشه في سبيل الله ، ضد العدو المحتل واستمراره في جهاده حتى لقاء وجه ربه ··

ولو أنهم مدوا ايديهم اليه ببعض العون ، لكان أثره أكبر ، وجهاده أخطر ، ولكنهم تركوه وربه ، واكتفوا بالتفرج عليه من بعيد ، وهذا لسوء الحظ شأن كثير من المسلمين مع كل مصلح أمين(١) ٠

★ ★ ★

* ولا يفوتنا ايضا ذكر المراكز العربية التي كانت خارج الوطن العربي ، لقد عمل الافغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده في باريس لصالح القضية العربية ٠ لقد حددا سياستهما في العدد الاول من « العروة الوثقى »(٢) ، أنهما كانا يريدان أن يكون لهؤلاء الضعفاء وهم المسلمون ، دول قوية آخذة بأسباب المدنية والعمران الموصلة الى العزة والاستقلال ، مع مراعاة تعاليم الاسلام الاساسية ٠

* وعمل المجاهد علي باش حمبه مع جماعة مسلمة مؤمنة في الاستانة ، لصالح المقاومة في تونس ٠

* وتمركز الامير شكيب ارسلان (١٢٨٦ ـ ١٣٦٦ هـ/١٨٦٩ ـ ١٩٤٦ م) في جنيف ، مكرسا وقته وقلمه للقضايا الاسلامية والعربية ، فما ترك ناحية منها الا تناولها تفصيلا واجمالا ، وأصدر مجلة باللغة الفرنسية : « La Nation Arabe » في جنيف للدفاع عن القضايا الاسلامية والعربية(٣) ٠

ولما جاء « الظهير البربري » في سنة ١٩٣٠ ، ليؤكد الصفة الاسلامية للحركة الوطنية عند نشأتها في مراكش ، واعتبر «الظهير» سياسة التبشير تهدف الى تنصير البربر بالقوة ، تعاون مع الامير شكيب أرسلان ومع تلامذته ، لاثبات هذه الحقيقة في جميع أقطار

---

١ ـ المسلم ، عدد صفر ١٣٧٥ هـ ، ١٨ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٥ ، ص ٤١ ٠
٢ ـ الصادر بتاريخ جمادى الاولى ١٣٠١ هـ في باريس ٠
٣ ـ الاعلام ، جـ ٣ ، ص ٢٥١/٢٥٢ ٠

العالم الاسلامي ، وحاول الامير شكيب ارسلان دخول المغرب بنفسه لهذه المناسبة ، ولكن السلطات الفرنسية أبعدته(١) ٠

ولم يكن الامير بعيدا عن أحداث الجزائر ايضا، فلما شكل مصالي احمد بن الحاج هيئة النجمة لشمال أفريقيا بين عامي ١٩٢٦/٢٥ ، شاب أفكارها الغموض ، لقد وصفت بأنها تجمع بين الشعارات الماركسية، والوطنية الجزائرية العاطفية،والتمسك بفكرة التضامن الاسلامي ٠

وفي جنيف اتصل بالامير شكيب الذي له أثر كبير على مصالي الحاج ، وأدى هذا الاتصال الى تحول مصالي من صورته الشيوعية الفرنسية ، الى مظهره العربي الاسلامي ، مما سبب اتصال مصالي الحاج بالحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر ذاتها(٢) ٠

★ ★ ★

وما يذكر في المغرب أيضا ، تشكل حزب الاستقلال ، الذي أعلن مبادئه ، التي توضح بجلاء نزعة أصحابها الدينية ٠ فهي تعلن أن المغرب متمسك بالاسلام ٠ وان الاصلاحات في جميع الميادين ، بما في ذلك النظام النيابي والانتخابي ، لا بد وأن تستمد من الشريعة الاسلامية ، كذلك طالب الحزب بمكافحة التبشير في بلاد البربر ، فكان يتتبع الحفلات الدينية التبشيرية ويقابلها باحياء الذكريات الاسلامية ، كما أسس لجانا خاصة بالتقويم الخلقي ، وخصص لجنة أخرى للدفاع عن قضية فلسطين ٠

وكل هذه الامور تبرز التربية الدينية التي انطبعت في زعيمه علال الفاسي(٣) ٠

---

١ ــ المغرب العربي ، ص ٣٨٩ ٠

٢ ــ المغرب العربي ، ص ٣٩٤ ٠

٣ ــ المغرب العربي ص ٣٩٥ ، ومما يذكر في المغرب ايضا العلماء السادة : محمد بن كنون ، ابراهيم التادلي ، ادريس بن عبد الهادي ، المهدي الوزاني ، شعيب الدكالي ، محمد بن العربي العلوي ، أبو القاسم الحفناوي ، مبارك الميلي ٠٠٠ الذين عملوا بدافع من دينهم في حركة التحرر والاستقلال ٠

* لقد لعب الاسلام دورا أساسيا ، ايجابيا وفعالا . في حياة هذه الامة ، فقد تفاعل مع أحداثها ، وقام متمثلا برجالاته للذود عن حياض هذه الارض ، وشرف هذه الامة .

فهو الذي خلص الامة العربية من الروم والفرس ، وحرر الارض والانسان .

ــ وهو الذي صد آكبر غزو جندت له أوروبا كل طاقاتها الروحية والبشرية ، والمادية ، والاعلامية . لقد صد الاسلام ، والاسلام وحده الصليبيين ، وحرر الارض ، فعادت عربية اسلامية .

ــ وهو الذي دحر التتار وقهرهم لاول مرة في تاريخهم المليء بالانتصارات ، قهرهم على يد المظفر « قطز » ، الذي كانت كلمة « واسلاماه » صرخته في « عين جالوت » وهي الوقود الروحي لجند الله ، وكان النصر ، وتخلصت الارض العربية من برابرة أواسط آسية .

* وهو الذي تصدى لمحاربة الاستعمار الحديث بكل أشكاله ، العسكري منها والفكري . فالعالم كله يعرف من طريق صحافته :

ــ أن الجامعات الامريكية التبشيرية تتغذى بأموال الكنائس ، للنيل من الاسلام .

ــ وأمريكا تمد اثيوبيا بالسلاح لمحاربة الاريتريين ، لان الاريتريين مسلمون كلهم .

ــ والصحف والمجلات الامريكية والبريطانية والاوروبية كلها توجه شعوبها بأن الحرب في فلسطين هي حرب بين اسلام ويهود ، ومن الخير للمسيحيين في فلسطين أن يكونوا في حماية اليهود من اضطهاد الاسلام والمسلمين »(١) .

---

١ ــ وبما أننا هنا خصصنا البحث : لحركات التحرر العربية ، لن نذكر ما يجري في البلاد الاسلامية غير العربية من فظائع ، ونكتفي بالقول كمثال : ان امريكا أعطت قوات جوية للجيش الفيليبيني الكاثوليكي ، المنصرف لحرب الاقليات المسلمة التي تسكن جزيرة « مند ناو » .

* كل ذلك لا نخشاه ، ان كان أبناء الاسلام متمسكين بعقيدتهم على هدى و بصيرة ٠

وكل ما نخشاه جهل الابناء بأبيهم ! و تنكر الفرع للاصل !! فيتشرد الابن ، و يجف الفرع !!

* الهجمات التبشيرية الصليبية لا نخشاها ، ان كان أبناءالاسلام على وحدة العقيدة ، و على علم كامل صحيح بها ، و قد أخذوها من كل أركانها ٠

فالخطر يكمن في جهل الابناء ، و هذا ما نخشاه !!!

الخطر يكمن في أدعياء الاسلام ، و هذا ما نخشاه !!

الخطر يكمن في عدم مواكبة ركب الحضارة ، و موكب العلم ، و باسم الاسلام ! فسبب فشل بعض الحركات التحريرية ، مرده الى عدم التصنيع ، وعدم الاخذ بأسباب العلم في كل مجالاته أيام الدولة العثمانية ، فكما كان تسلح الدولة العثمانية في أول عهدها سببا في توسعها وقهرها للصفويين والمماليك ، وو صولها الى أسوار فيينا، كان سبب سقوطها أيضا عدم مواكبتها للعلم الحديث ، و التقدم التكنولوجي ٠

الخطر يكمن بالتصاق الرجعية بالاسلام عن قصد ودراسة و خبث « لهذا كان الاستعمار ، وما زال ، يوصي الرجعية بالالتصاق الدائم بالشعار الاسلامي ، تآمرا على هذا الشعار نفسه ، وعلى الحركة التقدمية صاحبة الحقيقة » ٠

و ستبقى الاسماء التي ذكرت في هذا الكتاب ، مشاعل نور ، مهما حاول أدعياء « التحليل العلمي » أن يسدلوا الظلمات فوقها ، حقدا و مجانبة للواقع ، و غمطا لحق الاسلام ودوره الايجابي في الحياة ٠

و سيبقى دور الاسلام في حركات التحرر واضحا جليا لكل موضوعي

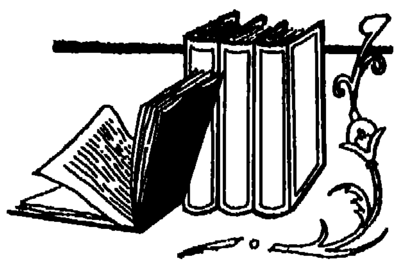
منصف ، ترك الهوى واتبع الحقيقة • وهؤلاء الاعلام الذين ذكرنا ، منارات هدي لكل من يريد أن يعرف بعد أن يقرأ كتب التاريخ المؤلفة حديثا : أين دور الاسلام ؟!

وعلى مر الزمن ، سيجد الاسلام من أبنائه من ينافح عنه ، وانه لجهاد يطيب للعاملين ، لو يعلم مزورو التاريخ •

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » •

« الانبياء : ١٨ »

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا



مصادر البحث

١ ــ ابن باديس « حياته وآثاره » : اعداد وتصنيف عمار الطالبي ط١ ١٣٨٨/١٩٦٨
٢ ــ الامير عبد الكريم الخطابي : محمد عبد المنعم ابراهيم ، محمدعبد الوارث الصوفي المكتبة العلميه ١٩٥٨
٣ ــ المغرب العربي : د٠ صلاح عقاد مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢؛
٤ ــ أسس الاشتراكية العربية : د٠ عصمت سيف الدولة ، الدار القومية للطباعة والنشر .
٥ ــ الاسلام في القرن العشرين : عباس محمود العقاد ، كتاب الهلال ، العدد ١٨٠٨
٦ ــ الاسلام والفلسفات المعاصرة : د٠ محمد البهي ، المكتب الفني للنشر ، القاهرة
٧ ــ الاسلام والوجودالدولي للمسلمين : محمود شلتوت ، المكتب الفني للنشر ، القاهرة
٨ ــ السلام العالمي والاسلام : سيد قطب ، مكتبة وهبة
٩ ــ المختار من تاريخ الجبرتي : اختيار محمد قنديل البقلي ، كتاب الشعب ٢٧ عام ١٩٥٨
١٠ ــ الثورة العربيةالكبرى في فلسطين : صبحي ياسين ، النادي الفلسطيني العربي بالقاهرة
١١ ــ السودان الشقيق : ابراهيم الاسيوطي محمد ، كتب سياسية ١٨٧
١٢ ــ افريقيا الغربية في ظل الاسلام : نعيم قداح ، وزارةالثقافةوالارشاد القومي ــ سورية
١٣ ــ الجيش « مجلة الجيش الوطني الشعبي » : العدد ١٠٢ ، سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ ــ الجزائر
١٤ ــ الثورة العرابية : د٠أحمد عبد الرحيم مصطفى، المكتبة الثقافية «٣٠»
١٥ ــ التبشير والاستعمار : د٠ خالدي ، د٠ فروخ ، ط ٢ ١٩٧٢ ، المكتبة العصرية ــ صيدا
١٦ ــ اعلام الاسلام : عبد الوهاب سكر، نشر و توزيع المكتبة العربية بحلب
١٧ ــ الاعلام : خير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة
١٨ ــ اليمين واليسار في الاسلام : أحمد عباس صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت
١٩ ــ الثورة السورية الوطنية : مذكرات عبد الرحمن الشهبندر ، مطبوعات دار الجزيرة العربية ١٣٥٢/١٩٣٣

٢٠ ـ ايضاحات ديوان الحـــرب العرفي بعاليه : نشر من قبل جمال السفاح ، مطبعة الطنين ١٣٣٤ هـ
٢١ ـ الجزائر أرض المعارك : د. بهي الدين الزيان ، دار الكتاب المصري ١٩٥٨
٢٢ ـ المهدي والمهدية : د. أحمد أمين ، سلسلة اقرأ ، ١٠٣
٢٣ ـ أعلام الاسلام « مهدي الله » : توفيق أحمد البكري ، دائرة المعارف الاسلامية
٢٤ ـ أسرار الانتداب الفرنسي فـــي سوريا : غالب العياشي ، بيروت مطابع أشقر
٢٥ ـ الاخوة الشهداء الثلاثة : المطران بشاره الشمالي ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٦
٢٦ ـ الهلال : عدد خاص « دولة الاسلام » ، أكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٣
٢٧ ـ الهلال : مصر المحاربة ، عدد خاص ، سبتمبر (أيلول) ، ١٩٧١
٢٨ ـ الهلال : « الثورة العرابية بعد ٩٠ سنة » عدد خـــاص سبتمبر (ايلول) ١٩٧١ .
٢٩ ـ الصومال : حسن محمد جوهر ، سلسلة شعوب العالم ، ١٧ دار المعارف
٣٠ ـ المغرب : حسن محمد جوهر ، صلاح العرب عبد الجواد ، شعوب العالم ، ١٤
٣١ ـ العربي : العددان : ١٢٠ و ١١٨
٣٢ ـ الصحف : فتى العرب ، الرأي العام، سورية الجديدة،الجزيرة
٣٣ ـ بطل الكفاح الامير عبد القـــادر الجزائري : يحيى أبو عزيز ، المكتبة الشرقية ط ١ ، ١٩٥٧
٣٤ ـ تاريخ السودان الحديث : ضرار صالح ضرار ، الدار السودانية ط ١٩٧٤
٣٥ ـ تاريخ أوروبا الحديث : هـ. ا. ل. فشر ، ط٤ ، دار المعارف ١٩٦٤
٣٦ ـ تاريخ العصر الدموي : ناصيف أبي زيد ، مطبعة المفيد ، دمشق ١٩١٩
٣٧ ـ تاريخ العرب الحديث والمعاصر : د. الخاني ، خيمي ، عفلق ، مطابع فتى العرب ٦٤/ ١٩٦٥
٣٨ ـ ثورة ١٩١٩ : محمد كامل سليم ، كتاب اليوم ، القاهرة
٣٩ ـ ثمن الكرامة : سلامه خاطر ، سلسلة اقرأ ، ٢١٩
٤٠ ـ حركة رشيد عالي الكيلاني : اسماعيل أحمد ياغي ، دار الطليعة ، بيروت
٤١ ـ حلية البشر في تاريخ القــــرن الثالث عشر : الشيخ عبد الرزاق البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٣٨٣ هـ
٤٢ ـ حقائق عن قضية فلسطين : سماحة محمد أمين الحسيني ط ٢ ١٩٥٦ الهيئة العربية العليا

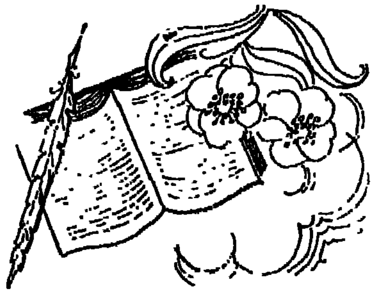
٤٣ ـ خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني	: محمد المخزومي ، دار الفكر الحديث ، لبنان ، ط ٢ ١٩٦٥
٤٤ ـ روما والشرق الروماني	: د٠ سليم عادل عبد الحق ، المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٨هـ/١٩٥٩ م
٤٥ ـ زعيم مصر الاول السيد عمرمكرم	: محمد فريد ابو حديد ، كتاب الهلال ، ١٩٥١
٤٦ ـ شروط النهضة	: مالك بن نبي ، دار الفكر
٤٧ ـ عمر المختار « مقاتلا وشهيدا »	: كتاب السفير ، دار العروة الوثقى للنشر ، بيروت
٤٨ ـ عبد الرحمن الكواكبي	: د٠ سامي الدهان ، نوابغ الفكر العربي ٢٣ ، دار المعارف بمصر
٤٩ ـ عبد الرحمن الكواكبي	: د٠ محمد عبد الرحمن برج ، أعلام العرب ٩٩
٥٠ ـ عبد الكريم الخطابي	: د٠جلال يحيى ، أعلام العرب ٧٨
٥١ ـ عبد الكريم « أمير الريف »	: روبرت فورنو ، تعريب د٠ فؤاد أيوب ، دار دمشق
٥٢ ـ علماء في وجه الطغيان	: محمد رجب البيومي ، مذاهب وشخصيات ، الدار القومية
٥٣ ـ فاجعة ميسلون	: محي الدين السفرجلاني ، ط ١ ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٦٦
٥٤ ـ فلسطين بين تقسيم الامس واليوم	: محمود الخالدي ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٦٦
٥٥ ـ قصة الكفاح بين العرب والاستعمار	: عريان د٠ شيال ٠ ط ٢ ١٩٦٠ ، دار المعارف بمصر
٥٦ ـ قضية الجلاء عن مصر	: د٠ عبد العزيز رفاعي ، المكتبة الثقافية ٣٩
٥٧ ـ كفاح الشعب العربي السوري	: احسان هندي ، منشورات ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي
٥٨ ـ ليبيـــا	: حسن محمد جوهر ـ محمد مرسي أبو الليل ، شعوب العالم ، ١٥
٥٩ ـ مصطفى كامل	: عبد الرحمن الرافعي ، ط ٣ ١٩٥٠ مكتبة النهضة المصرية
٦٠ محمد توفيق البكري	: د٠ ماهر حسن فهمي ، أعلام العرب ، ٦٤
٦١ ـ مع القومية العربية وجها لوجه	: جاك بولين ، كتب سياسية ، ٢٠٤
٦٢ ـ مع الابطال ٠	: محمد رجب بيومي ، مذاهب وشخصيات ١٢٣ ، الدار القومية
٦٣ ـ معركة ميسلون	: احسان الهندي ، وزارة الثقافة ١٩٦٧ ، دمشق
٦٤ ـ وثائق جديدة عن الثورة العرابية	: حصلت عليها من باريس فريدة مرعي ، علق عليها د٠ أحمد مصطفى ، نشرتها الهلال
٦٥ ـ وحدة العرب	: ابراهيم البساطي ، سلسلة اقرأ ، ٢١٦

٦٦ ـ يقظة العرب : جورج انطونيوس ، تعريب علي حيدر الركابي ، دمشق ، ١٩٤٦

٦٧ ـ يوم ميسلون : ساطع الحصري ، صفحة من تاريخ العرب الحديث

٦٨ ـ مؤسسو مصر الحديثة : ماري رولات ، المكتب التجاري ، بيروت

* مع مصادر اخرى ، أشرنا اليها في حينها خلال البحث .



المحتوى



كتب للمؤلف :

- ★ القادسية (طبعة ثانية)
- ★ اليرموك
- ★ نهاوند « فتح افتوح »
- ★ حصن بابليون وذات الصواري
- ★ فتح الاندلس (معركة وادي لكة) ـ قيد الطبع
- ★ الانسان بين العلم والدين
- ★ الاسلام في قفص الاتهام (طبعة ثانية)
- ★ غريزة أم تقدير الهي ؟
- ★ من ضيع القرآن ؟
- ★ الاسلام وحركات التحرر العربية
- ★ اراء تبعتها على اصحابها ـ قيد الطبع ـ

تطلب من دار الرشيد

دمشق ـ حلبوني ـ تجاه ثانوية أسعد عبد الله

ص٠ب ٢٤١٣

من منشورات دار الرشيد

★ سلسلة (قصص من التاريخ) للاستاذ محمد حسن الحمصي

١ ـ الدين الحق (طبعة ثالثة)

٢ ـ فاين الله ؟ (طبعة ثانية)

٣ ـ الايمان والزنزانة المتجولة

٤ ـ أم لا كالامهات (نفـذ)

٥ ـ صراع بين الفضيلة والرذيلة

٦ ـ مهد البطولات

★ سلسلة شعب الايمان : للاستاذ محمد حسن الحمصي

١ ـ الايمان بالله تعالى

٢ ـ الايمان بالرسل (يصدر قريبا)

★ مجموعة حكايات حارثة للاستاذ عبد الودود يوسف

★ حكايات عن القرآن الكريم للاستاذ عبد الودود يوسف .

★ المناهج الاصولية في الاجتهاد بالرأي الدكتور فتحي الدريني

وهو كتاب يجمع بين الدراسة القانونية والدراسة الشرعية

طبع في :
دار الأنوار للطباعة
دمشق ـ المنطقة الصناعية